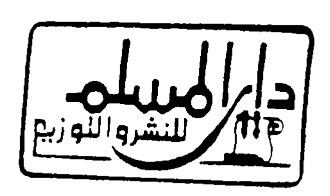


تأليف

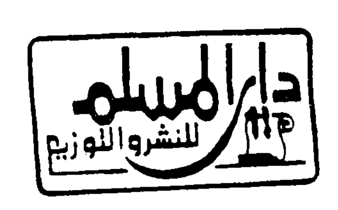
د. سليمان بن إبراهيم اللاحم



الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

الصف والإخراج
مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس ٤٩٣١١٤٩

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى من تعلقت قلوبهم بكتاب الله عز وجل، حفظاً لآياته وتدبراً لمعانيه، وتطبيقاً لأحكامه، والتماساً لمنهج السلف وأهل السنة في تفسيره.


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

الحمد لله، وهو للحمد أهل، والصلاة والسلام على نبي أشاع النور، وبدد الظلمة وقضى على الجهل، صلى الله عليه، وعلى آله وصحابته، ومن سار على نهجهم، واقتفى آثارهم، إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد كانت البشرية تموج بالفوضى والاضطرابات، وتدهور الأخلاق، وانتشار الرذائل حتى أذن الله بظهور شمس الإسلام، ونزول القرآن الكريم، الذي فيه بيان الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والرشد من الغي، والذي به أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، والذي تكفل الله بحفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾[1]، وتحقيقا لوعد الله : فقد بذل الصحابة والتابعون ـ رضوان الله عليهم ـ جهودًا كبيرة في خدمة هذا الكتاب العزيز، في التفسير، والقراءات، والتجويد، وسائر علوم القرآن، كما بذل من جاء بعدهم من العلماء من تابعي التابعين، وتابعيهم، ومن بعدهم أعظم الجهود في ذلك، وها هي المكتبة الإسلامية تزخر بما يجل عن الحصر والتعداد، من هذه المؤلفات الموجود منها، فضلاً عن المفقود.

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

وإن من أجل الكتب التي ألفت في التفسير، والتي جمعت تفاسير الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم «**تفسير القرآن العظيم**» للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، وهو التفسير الذي وقع اختياري عليه لأقدم دراسة عن منهجه في التفسير في هذه الرسالة، وكم كنت أشعر بالغبطة والسرور حينما وفقني الله لاختيار موضوع رسالتي في التفسير، ووفقني لاختيار «منهج ابن كثير في التفسير» بالذات من بين سائر مناهج المفسرين، وهذا توفيق من الله جل وعلا. فله الحمد والمنة.

وكان من أهم أسباب اختاري لمنهج هذا التفسير أنه يعد من أحسن وأصح كتب التفسير بالمنقول، إن لم يكن أحسنها وأصحها على الإطلاق، لعنايته بمناقشة أسانيد ومتون الأحاديث والآثار.

ولأن الحافظ ابن كثير اختار أحسن الطرق في تفسير القرآن والتي سيأتي الإفصاح عنها إن شاء الله تعالى.

ولتمسكه في تفسيره بعقيدة السلف في كلامه على آيات العقائد والأسماء والصفات. وموقفه الواضح والمتشدد من الأخبار الإسرائيلية مما لم يكن لغيره من المفسرين. ومنزلته بين جمهور المفسرين ونبوغه في كثير من العلوم، مما جعل مؤلفاته جديرة بالعناية والخدمة والدراسة والتحقيق. إضافة إلى ما تقدم فإن دراسة التفسير تعتبر خدمة لكتاب الله الذي هو أجل كتاب وأشرف علم، وفي خدمته ودراسته الأجر والثواب إن شاء الله إلى غير ذلك من الأسباب والاعتبارات التي

كانت سببًا في اختياري لهذا الموضوع والتي سيأتي ذكرها ضمن مميزات هذا التفسير إن شاء الله تعالى.

وقد قسمت الكلام في هذا البحث إلى أربعة أبواب :

الباب الأول: ترجمة الحافظ ابن كثير، وآثاره العلمية، وفيه ثلاثة فصول:

أ) **الفصل الأول**: ترجمة الحافظ ابن كثير.

ب) **الفصل الثاني**: آثاره العلمية.

جـ) **الفصل الثالث**: التعريف بتفسيره.

الباب الثاني: المصادر التي اعتمد عليها ابن كثير في تفسيره وكيفية استفادته منها، وفيه فصلان:

أ) **الفصل الأول**: مصادره من كتب التفسير.

ب) **الفصل الثاني**: مصادره من غير كتب التفسير.

الباب الثالث: منهج ابن كثير في التفسير، ويقوم على دعامتين:

أ ـ التفسير بالمأثور.

ب ـ الاعتماد على اللغة.

أ) **الفصل الأول**: التفسير بالمأثور، وفيه تمهيد وستة مباحث:

١ـ المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

٢ـ المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

٣ـ المبحث الثالث: تفسير القرآن بأسباب النزول.

٤ـ المبحث الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

٥ـ المبحث الخامس: تفسير القرآن بأقوال المجتهدين والفقهاء.

٦ـ المبحث السادس: تفسير القرآن بالأخبار التاريخية والإسرائيلية.

ب) **الفصل الثاني**: اعتماد ابن كثير على اللغة في تفسير القرآن، وفيه مبحثان:

١ـ المبحث الأول: أهمية اللغة في تفسير القرآن.

٢ـ المبحث الثاني: مدى اهتمام ابن كثير باللغة في تفسيره وطريقته في ذلك.

الباب الرابع: تقويم تفسير ابن كثير.

أولاً: بيان أهم مميزات تفسيره.

ثانيًا: آراء العلماء فيه.

ثالثًا: المآخذ عليه بين القبول والرد.

رابعًا: أثره فيمن بعده:

أ ـ استفادة من جاء بعده من المفسرين وغيرهم منه.

ب ـ اهتمام المسلمين عمومًا بهذا التفسير واستفادتهم منه واعتباره مرجعًا أوليًا في تفسير القرآن.

الخاتمة:

وأسأل الله العلي القدير أن يسدد خطانا وأن يأخذ بنواصينا إلى ما

يرضيه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



الباب الأول

وفيه ثلاثة فصول:

١ـ **الفصل الأول:** ترجمة الحافظ ابن كثير.

٢ـ **الفصل الثاني:** آثاره العلمية.

٣ـ **الفصل الثالث:** التعريف بتفسيره.

الفصل الأول

ترجمة الحافظ ابن كثير

تمهيد: في الأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في عصره:

لقد عاش الحافظ ابن كثير في غضون الثلاثة الأرباع الأولى من القرن الثامن الهجري، في ظل دولة المماليك، التي كانت تحكم مصر والشام، حيث كان الحاكم يقيم في مصر وينيب عنه حاكمًا في الشام. وقد كانت هذه الفترة امتدادًا لأحداث عظيمة ونكبات شديدة مرت على العالم الإسلامي، منها الحروب الصليبية التي ظلت طيلة مائتي سنة وذلك من سنة ٤٩٠هـ وحتى سنة ٦٩٠هـ[١].

ومنها الحادث الأليم الذي زلزل كيان العالم الإسلامي، وهو هجوم التتار على البلاد الإسلامية، وسقوط بغداد في أيديهم سنة ٦٥٦هـ، والقضاء على الخلافة الإسلامية، وقتل الخليفة المستعصم بالله، وإراقة الدماء البريئة، وقتل الفقهاء والأعيان، واستمرار القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يومًا، وقد ذهب ضحية هذا الحادث كثير من الأرواح والأموال[٢].

ومنها النزاع بين السلاطين على السلطنة، مما سبب خلع الكثير منهم وقتله أو اعتقاله، فلا يكاد يصل الواحد منهم إلى السلطنة حتى تحدق

---

(١) انظر: خطط الشام ٢: ١٢٣ ـ ١٢٤ وما بعدها، والبداية والنهاية ١٣: ٢٠٠ ومابعدها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٧: ٥٠، وخطط الشام ٢: ١٠٤ ومابعدها.

به كل هذه الأخطار. وقد ذكر السيوطي في «حسن المحاضرة»[١]. أن الملك الناصر بن السلطان بن الملك المنصور لم يلبث في السلطة سوى أقل من شهرين، ثم خلع سنة ٧٤٢هـ، ثم نفي هو وإخوته إلى «قوص»، ثم قتل بها،وبعده أقيم أخوه علاء الدين كجك، ولقب الملك الأشرف وعمره دون ست سنين، فأقام خمسة أشهر ثم خلع واعتقل حتى مات، وبعده تولى أخوه شهاب الدين أحمد، ولقب الملك الناصر وبقى أربعين يوماً، ثم خلع سنة ٧٤٣هـ، وقتل من أول سنة ٧٤٥هـ، وأقيم بعده أخوه عماد الدين إسماعيل ولقب الملك الصالح، فأقام إلى أن مات في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين، وعمره نحو عشرين سنة.

وقال صاحب «خطط الشام»[٢] في كلامه عن هذه الفترة: «وتواتر عزل الولاة والنواب بحلب جرى كل هذا في مدة يسيرة، وجرى في هذه السنة ٧٤٢ من تقلبات الملوك والنواب واضطرابهم ما لم يجر في مئات من السنين. . . ».

وقال أيضًا تحت عنوان: «أحداث وكوائن وعصيان ومخامرات»: «ومن الأحداث أن نائب الشام يلبغا اليحياوي هرب فتبعه جماعة من عسكر دمشق، فتقاتل معهم فقتل.

وفي مصر سنة «٧٥٠» دخل جبغا نائب طرابلس مدينة دمشق في

---

(١) ٢: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) خطط الشام ٢: ١٤٦ ـ ١٤٧.

جماعة كثيرة، وكان أرغون شاه نائب الشام مقيما بالقصر الأبلق، فدخل عليه الأمير جبغا وهو نائم بين عياله وقبضه»، ثم ذكر بعد هذا مقتل أرغون شاه، وبعده شنق جبغا إلى أن قال: «وإن الخلل الذي طرأ على السلطنة بمصر بعد ذهاب عظماء السلاطين من أولاد قلاوون، وسرعة قتلهم، واستخلاف غيرهم من المماليك قد سرى من شرارته شيء كثير في هذه الحقبة من الزمن، ومسألة اليحياوي مع أرغون شاه مثال منها. ومن أمثلة الخلل في تلك الدولة، خروج بيبغا أروس نائب حلب عن الطاعة، وكذلك بكلمش نائب طرابلس، وأحمد نائب حماة، والطنبغا نائب صفد، ولم يبق على الطاعة إلا نائب دمشق أرغون الكاملي، فأرسل يخبر السلطان في مصر بما جرى من النواب...»[1].

وقد كان للخلافات المذهبية بين أهل السنة والرافضة سبب في هذا الاضطراب السياسي[2].

وقد أدى اضطراب الأحوال السياسية إلى سوء الحالة الاجتماعية، فحصل كثير من المجاعات بسبب الاحتكار وعدم استقرار الحياة، كما أدى ذلك إلى انتشار كثير من الأوبئة وكثرة الوفيات[3].

ومع ما كانت عليه هذه الفترة من اضطراب الأحوال السياسية،

---

(١) الخطط: ١٤٨ ـ ١٥١، وانظر أيضًا من ١٣٠ ـ ١٥٤ نفس الجزء، وانظر الجزء ١٤ من البداية والنهاية في أحداث هذه الفترة.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٣: ١٩٦، ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٣: ٢٠٣ و١٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٩.

وتدهور الأحوال الاجتماعية، فقد سادها نشاط علمي كبير، ولعل أهم أسباب هذا النشاط: تنافس المماليك في تشجيع العلوم، وتقريبهم للعلماء، وإجزال العطاء لهم، وكثرة الأوقاف عليهم، حيث علم المماليك أن تشجيع العلم أساس لقيام دولتهم، لاسيما وهم يؤسسون دولة، فلم يألوا جهدًا في سبيل تشجيع العلم والعلماء. ومن الأسباب لهذا النشاط يقظة الرأي العام الإسلامي، بعد تلك المحن والأحداث المؤلمة التي مرت بالأمة الإسلامية، وكذا اتصال الأقطار الإسلامية بعضها ببعض، وغير ذلك. وقد تمثل هذا النشاط بكثرة دور التعليم[١] التي شملت كثيرًا من المساجد والمدارس والخوانق في مصر والشام، وبكثرة المؤلفات في سائر العلوم، وتعدد المجتهدين والحفاظ الذين برزوا في كثير من العلوم كشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظين المزي والذهبي والعلامة ابن القيم والحافظ ابن كثير وغيرهم. وقد امتازت هذه الفترة بحرية الفكر والبحث العلمي، وبالقيمة الرفيعة والمنزلة العالية التي يحتلها العلماء بين العامة والخاصة على حد سواء، وكان جل اهتمام العلماء في هذا العصر الانصراف إلى الإفادة من كتب الأقدمين، ودراستها ونقدها وتخريج أحاديثها واختصارها أو المقارنة والموازنة بينها، وهو منصرف أيضًا في الغالب إلى علوم الدين واللغة، وقد كان طبيعيًا أن تنصرف دراسة الحافظ ابن كثير إلى هذه العلوم، وأن تكون وفق ما كان معهودًا في عصره، وهو دراسة كتب الأقدمين

---

(١) انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي ١: ٣٥٩ ـ ٣٧٦.

ونقدها، لكن من يقرأ في كتب الحافظ ابن كثير في التفسير والحديث والتاريخ والفقه وغير ذلك يجد أنه صاحب مبدأ وعقيدة يتمسك بها ويدعو إليها ويدافع عنها، كما أنه صاحب هدف واضح جلي في جميع مؤلفاته.

نسبه ومولده ونشأته:

نسبه: هو الإمام الحافظ الحجة المحدث المؤرخ المفسر الفقيه ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عُمَر بن كثير بن ضوء ابن كثير بن زرع القيسي، القرشي النسب، البصروي الأصل، الدمشقي النشأة والتربية والتعليم، الشافعي المذهب.

مولده: ولد ـ رحمه الله ـ بقرية «مَجْدِل» من أعمال مدينة «بُصْرَى» ـ بلد بالشام من أعمال «دمشق» ـ وكان أبوه من أهل بصرى وأمه من قرية «مجدل»[(١)].

واختلف المترجمون له في سنة مولده، وكل هذه الأقوال تتراوح بين سنة سبعمائة ٧٠٠هـ واحدى وسبعمائة ٧٠١هـ. قال الذهبي: «ولد بعدا لسبعمائة أو فيها»[(٢)]، وقال الحسيني: «ولد سنة

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤: ٣١، تذكر الحفاظ للذهبي ٤: ١٥٠٨، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص٥٧ ـ ٥٨، الدرر الكامنة ١: ٤٤٥ ـ ٤٤٦، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢٩ ـ ٥٣٠، شذرات الذهب ٦: ٢٣١ ـ ٢٣٢، الأعلام ١: ٣١٧ ـ ٣١٨. وانظر أيضًا ترجمته بقلم الشيخ محمدعبدالرزاق حمزة في مقدمة كتاب «الباعث الحثيث».

(٢) تذكرة الحفاظ ٤: ١٥٠٨.

٧٠١هـ»[١] وقال ابن حجر: «ولد سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بيسير»[٢]. وقال السيوطي: «ولد سنة ٧٠٠هـ»[٣].

قال الشيخ أحمد شاكر ـ بعد ما أشار إلى قول الحافظ ابن حجر المتقدم: «وهو تاريخ تقريبي أرجح أنه مستنبط من كلامه في ترجمة أبيه، حيث ذكر أن أباه توفي سنة ٧٠٣هـ قال: وكنت إذ ذاك صغيرًا ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم، ثم قال: وابن ثلاث سنين لا يعرف تاريخ السنين ـ على اليقين ـ في تلك السن، فقد سمع إذن تحديد السنة التي مات فيها أبوه ممن حوله من إخوة أو أهل أو جيران، ولكنه يدرك أباه «كالحلم»، فالذي هو في سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئًا «كالحلم» ولا أبعد من الحلم ولا أقرب، فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة في أكبر ظني ـ ولذلك أرجح أن مولده كان في سنة «٧٠٠هـ»، أو قبلها بقليل، وهو أقرب إلى الصحة من قول الحافظ ابن حجر «أو بعدها بقليل» لأن الذي بعدها لا يكاد يبلغ الثالثة عند موت أبيه»[٤].

نشأته:

نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم فقد كان أبوه أبو حفص عمر بن كثير خطيبًا فقيهًا عالمًا، عني بالعربية واللغة والنحو وحفظ

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص٥٧.
(٢) الدرر الكامنة ١: ٤٤٥.
(٣) طبقات الحفاظ ٥٢٩.
(٤) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١: ٢٢ ـ ٢٣.

أشعار العرب. وقد ترجم له ابنه الحافظ في تاريخه الكبير المشهور «البداية والنهاية»[١]، ومما قال عنه في ترجمته: «إنه ولد في حدود أربعين وستمائة، ثم قال: واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى، فقرأ «البداية»[٢] في مذهب أبي حنيفة، وحفظ «جمل الزجاجي»[٣]، وعني بالنحو والعربية واللغة وحفظ أشعار العرب، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي، وقليل من الهجاء، وقرأ بمدارس «بُصْرَى»، ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي «بصرى»، وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي، والشيخ تقي الدين الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني، فأقام بها نحواً من اثنتي عشرة سنة، ثم تحول إلى خطابة «مجدل»، القرية التي منها الوالدة، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيدًا، وله مقول عند الناس، ولكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته، وكان يؤثر الإقامة في البلاد[٤] لمايرى فيها من الرفق، ووجود الحلال له ولعياله، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة، ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل، ثم يونس، وإدريس، ثم من الوالدة: عبدالوهاب، وعبدالعزيز، وأخوات عدة،

---

(١) ١٤ : ٣١ ـ ٣٣.

(٢) المراد بداية المبتدي للفقيه الحنفي برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني المرغيناني ولد سنة ٥٣٠هـ، وتوفي سنة ٥٩٣هـ. انظر الأعلام ٥ : ٧٣.

(٣) هو عبدالرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، توفي سنة ٣٣٧هـ. انظر: الأعلام ٤ : ٦٩.

(٤) يعني القرى.

ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل، لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها، بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ معه مقدمة في النحو، وحفظ «التنبيه»[١] وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصّل «المنتخب» في أصول الفقه، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أيامًا ومات، فَوَجَد الوالد عليه وجْدًا كثيرًا، ورثاه بأبيات كثيرة، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وأصغرهم وآخرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لمن بقي، توفي والدي في جمادى الأولى من سنة ٧٠٣هـ في قرية «مجدل»، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون، وكنت إذ ذاك صغيرًا، ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة ٧٠٧هـ[٢] إلى دمشق، صحبة كمال الدين عبدالوهاب وقد كان لنا شقيقا وبنا رفيقا شفوقا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين[٣] فاشتغلت على يديه بالعلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر».

---

(١) التنبيه للشيرازي في فروع الشافعية.

(٢) وقيل سنة ٧٠٦هـ. انظر شذرات الذهب ٦ : ٢٣١، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص٥٧.

(٣) يعني إلى سنة ٧٥٠هـ.

حياته العلمية

طلبه العلم وشيوخه:

كانت دراسة الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ متجهة كما أشرت سابقا إلى علوم الدين واللغة العربية، حيث كانت هذه هي الوجهة الغالبة في عصره، وقد بدأ في الاشتغال بالعلم على يدي أخيه عبدالوهاب ـ كما قال آنفًا ـ واجتهد في تحصيل العلوم على كبار العلماء في عصره، وقد حفظ القرآن في سن مبكرة، كما ذكر في تاريخه حيث قال في ذكر وفاة الشيخ نورالدين علي بن أبي الهيجاء الكركي الشوبكي قال: «كان معنا في المقرى والكتاب، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة»[١].

وقرأ بالقراءات حتى اعتبره الداودي[٢] من القراء فترجم له في طبقات القراء.

سمع صحيح مسلم في تسعة مجالس بقراءة محمد بن محمد ابن سهل بن محمد الأزدي الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٧٣٠هـ على الشيخ نجم الدين بن العسقلاني[٣].

وسمع الموطأ وغيره، وقرأ «تهذيب الكمال» للمزّي في تاريخ

(١) البداية والنهاية ١٤: ٣١٢، وانظر ١٥٠.
(٢) وهو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المصري المتوفى سنة ٩٤٥هـ. انظر الأعلام ٧: ١٨٤.
(٣) البداية والنهاية ١٤: ١٤٩.

الرجال، وحفظ «التنبيه» للشيرازي، في فروع الفقه الشافعي، و«مختصر ابن الحاجب» في الأصول، وبرع في الحديث والتفسير والتاريخ والفقه والأصول والنحو، ودرس الحساب، وقد منحه الله حافظة قوية وفهمًا ثاقبًا وعلمًا جمًا واطلاعًا واسعًا شهد له بذلك شيوخه وتلاميذه.

وفيما يلي بيان لبعض شيوخه الذين اشتهر أخذه عنهم وتأثره بهم:

منهم: العلامة برهان الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ[١].

ومنهم: ابن السويدي، البدر محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة ٧١١هـ[٢].

ومنهم: العلامة الزاهد ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعي المتوفى سنة ٧٢٢هـ[٣].

ومنهم: عبدالله الزوبندي النحوي، وقد اشتغل عليه الحافظ ابن كثير في النحو. توفي سنة ٧٢٣هـ[٤].

ومنهم: بهاء الدين القاسم بن عساكر. قال الحافظ ابن كثير: «وقد خرّج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة سمعناها عليه في سنة

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤: ٤٠.
(٢) المصدر السابق ١٤: ٦٣.
(٣) المصدر السابق ١٤: ١٠٣.
(٤) المصدر السابق ١٤: ١٠٧.

وفاته» توفي سنة ٧٢٣هـ[١].

ومنهم: أبو نصر الشيرازي، وكانت وفاته سنة ٧٢٣هـ[٢].

ومنهم: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي، قال الحافظ ابن كثير: «سمعنا عليه الدارقطني وغيره» وكانت وفاته سنة ٧٢٤هـ[٣].

ومنهم: إسحاق بن يحيى الآمدي، شيخ دار الحديث الظاهرية المتوفى سنة ٧٢٥هـ[٤].

ومنهم: عفيف الدين محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي المتوفى سنة ٧٢٥هـ، قال الحافظ ابن كثير: «آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي سمعنا عليه شيئاً منها»[٥].

ومنهم: كمال الدين، أبو محمد عبدالوهاب بن قاضي شهبة المتوفى سنة ٧٢٦هـ[٦].

ومنهم: أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبدالملك المتوفى سنة ٧٢٧هـ. قال الحافظ ابن كثير: «وكان له سماع كثير

---

(١) المصدر السابق ١٤: ١٠٨.
(٢) المصدر السابق ١٤: ١٠٩.
(٣) المصدر السابق ١٤: ١١٥.
(٤) المصدر السابق ١٤: ١٢٠.
(٥) المصدر السابق ١٤: ١١٩.
(٦) المصدر السابق ١٤: ١٢٦ ـ ١٢٧.

سمعنا عليه منه»[١].

ومنهم: كمال الدين ابن الزملكاني شيخ الشافعية المتوفى سنة ٧٢٧هـ[٢].

ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ[٣]، وقد لازمه وتخرج على يديه، وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وقد تأثر به وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق[٤] وامتحن بسبب ذلك وأوذي[٥]، ويعتبر صاحبه في الروح والعقيدة والمذهب السلفي، وقد استفاد كثيرًا منه ومن آثاره في جميع مؤلفاته وخصوصًا التفسير كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى[٦]. قال الحافظ ابن كثير[٧]: «سمعت العلامة ابن تيمية يقول نقل البرزالي نقرفي حجر». وقال ابن حجر[٨] : «وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه».

ومنهم: ابن الدواليبي البغدادي عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالمحسن الحنبلي، شيخ دار الحديث المستنصرية سمع الكثير، وله

---

(١) المصدر السابق ١٤ : ١٣٠.
(٢) المصدر السابق ١٤ : ١٣١ ـ ١٣٢. وانظر ١٤ : ٣٢.
(٣) المصدر السابق ١٤ : ١٣٥ ـ ١٤١، وانظر «الدرر الكامنة» ١ : ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
(٤) أي وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة.
(٥) انظر «شذرات الذهب» ٦ : ٢٣١.
(٦) انظر: ص١٦٤.
(٧) «البداية والنهاية» ١٤ : ١٨٥.
(٨) في الدرر الكامنة ١/ ٤٤٥ ترجمة ابن كثير.

إجازات عالية، قال الحافظ ابن كثير: «وقد أجازني فيمن أجاز من مشائخ بغداد ولله الحمد» توفي سنة ٧٢٨هـ(١).

ومنهم: الشيخ المفتي برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري، الشهير بابن الفركاح، المتوفى سنة ٧٢٩هـ وقد تفقه عليه، وسمع عليه صحيح مسلم وغيره كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في ترجمته، وقد أثنى عليه أيضًا فقال قبل نهاية الكلام عنه «وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار، حسن الأخلاق . . .»(٢).

ومنهم: العلامة نجم الدين علي بن محمد بن عمر بن عبدالرحمن أبو محمد بن المسلم، قال الحافظ ابن كثير: «سمعنا عليه الموطأ وغيره». توفي سنة ٧٢٩هـ(٣).

ومنهم: العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي. قال الحافظ ابن كثير: «وخرجت له مشيخة سمعناها عليه» توفي سنة ٧٢٩هـ(٤).

ومنهم: الصاحب عز الدين أبو يعلى حمزة بن مؤيد الدين أبو المعالي التميمي الدمشقي، قال الحافظ: «سمع الحديث من جماعة

---

(١) انظر: البداية والنهاية» ١٤: ١٤١ ـ ١٤٢.
(٢) انظر: المصدر السابق ١٤: ١٤٦، «طبقات الشافعية» ٦: ٤٥.
(٣) «البداية والنهاية» ١٤: ١٤٥.
(٤) المصدر السابق ١٤: ١٤٧.

ورواه، سمعنا عليه». وكانت وفاته سنة ٧٢٩هـ[١].

ومنهم: شيخه الكبير: أحمد بن أبي طالب المعمّر الرحلة شهاب الدين الحجّار أبو العباس المعروف بابن الشحنة المتوفى سنة ٧٣٠هـ، قال في ترجمته: «سمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحوًا من خمسمائة جزء بالإجازت والسماع»[٢]. وقد ورد ذكره في التفسير[٣].

ومنهم: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٠هـ قال: «وعليه ختمت القرآن في سنة إحدى عشرة وسبعمائة»[٤].

ومنهم: الشيخ علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الشافعي المتوفى سنة ٧٣٢هـ[٥].

ومنهم: الشيخ أبو حفص عمر بن علي بن سالم، المعروف بابن الفاكهاني قال الحافظ ابن كثير: «وسمعنا عليه ومعه» توفي سنة ٧٣٤هـ[٦].

---

(١) المصدر السابق ١٤: ١٤٧.
(٢) المصدر السابق ١٤: ١٥٠.
(٣) انظر: ٤: ٣٥٧.
(٤) البداية والنهاية ١٤: ١٥٠.
(٥) انظر: المصدر السابق ١٤: ١٦٠.
(٦) المصدر السابق ١٤: ١٦٨.

ومنهم: الشيخ شمس الدين أبو محمدعبدالله بن العفيف بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبدالمنعم بن نعمة المقدسي النابلسي، قال الحافظ ابن كثير: «قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس كثيرًا من الأجزاء والفوائد» توفي سنة ٧٣٧هـ[١].

ومنهم: الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي مؤرخ الشام المتوفى سنة ٧٣٩هـ[٢].

ومنهم: شيخه الحافظ الكبير، أبو الحجاج جمال الدين يوسف المزّي المتوفى سنة ٧٤٢هـ صاحب «تهذيب الكمال» و«أطراف الكتب الستة» وقد لازمه، وقرأ عليه مؤلفه العظيم في الرجال «تهذيب الكمال»، وقد تزوج ابنته زينب، كماذكر ذلك في تاريخه[٣].

ومنهم: شيخه الحافظ المؤرخ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، المتوفى سنة ٧٤٨هـ[٤] فقد قرأ عليه، ونقل شيئًا من كلامه على بعض الأحاديث في التفسير[٥]، كما سيأتي بيان ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ كما نقل عنه في كتابه «البداية

---

(١) المصدر السابق ١٤: ١٧٩.
(٢) المصدر السابق ١٤: ٣٢، ١٨٣، ١٨٥.
(٣) المصدر السابق ١٤: ١٩١ ـ ١٩٢. وانظر أمثلة مما نقله عن شيخه المزي ص١٦٩ مما يأتي.
(٤) المصدر السابق ١٤: ٢٢٥.
(٥) انظر: ما يأتي ص١٧١.

والنهاية»[١]، وفي علوم الحديث وفي كثير من مؤلفاته.

ومنهم: شمس الدين أبوالبقاء محمودبن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الشافعي الأصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وقد قرأ عليه في الأصول.

ومنهم: الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن قيم الجوزية المولود سنة «٦٩١» المتوفى سنة ٧٥١هـ[٢].

ومنهم: الحاضري وقد أخذ عنه الحساب[٣]، وعيسى بن المطعم، ومحمد بن زراد وغيرهم. وقد أجاز له من مصر أبو موسى القرافي، والحسيني، وأبو الفتح الدبوسي، وعلي بن عمر الواني، ويوسف الختني، وابن الرضي وغير واحد.

وهؤلاء قليل من كثير من شيوخه ـ رحمه الله ـ وكل منهم له قدم راسخ في العلم والمعرفة والتأليف، ولولا خشية الإطالة لذكرت بعض مؤلفاتهم وطرفا من حياتهم العلمية.

تأثره بهم:

أما تأثره بهم فيبدو واضحًا تمامًا، خصوصًا من لازمهم وأعجب بهم. فقد تأثر بشيخه ابن تيمية في عقيدته السلفية، وآرائه المستقلة

---

(١) انظر: مثلا ١٣: ٢٠٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٤: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق ١٤: ٣٩.

وشخصيته الواضحة.

كما تأثر بالحافظين المزي والذهبي وغيرهما من شيوخه في الحديث، حيث غلب الحديث وعلومه على ثقافته، فمع أنه اشتهر في التفسير والتاريخ والفقه والأصول وغير ذلك، فإن شهرته في هذه العلوم ترجع غالبًا إلى بروزه في نقد الأسانيد ومتون الأحاديث والآثار والأخبار، وتحقيق القول فيها صحة وضعفًا، مما جعل مؤلفاته تحظى بلدرجة الأولى بين سائر المؤلفات.

بيان المدارس التي تولاها وذكر أشهر تلاميذه:

لقد شارك الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الحياة الاجتماعية، وكان مرجعًا في الفتوى لدى السلاطين، ولدى خاصة الناس وعامتهم لدينه وورعه وعلمه وتواضعه، وقد تولى التدريس في عدة مدارس، من أشهرها:

المدرسة النجيبية: وهذه المدرسة بناهاالأمير الكبير آقوش النجيبي وهي مدرسة للفقه الشافعي، وقد أسندت إليه سنة ٧٣٦هـ[١].

تربة أم الصالح: وهي دار حديث وقرآن، تولى التدريس فيها بعد موت شيخه الحافظ الذهبي[٢].

مدرسة دار الحديث الأشرفية[٣]: وهي كبرى مدارس الحديث

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٣: ٢٨١، ١٤: ١٧٣.
(٢) انظر: المصدر السابق ١٤: ٢٢٥، وتاريخ آداب اللغة ٣: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٣) انظر: تاريخ آداب اللغة ٣: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

بدمشق، بناها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل، افتتحت ليلة النصف من شعبان سنة ٦٣٠هـ وقد تولاها بعد موت تقي الدين السبكي ولم يستمر بها طويلاً.

التنكزية: وهي دار حديث وقرآن، بناها الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وقد بدىء ببنائها سنة ٧٢٨هـ[١]، وقد تولاها بعد موت شيخه الذهبي.

وهو أول من خطب بجامع الفوقاني سنة ٧٤٨هـ[٢].

وله درس تفسير بالجامع الأموي[٣]. ونظرًا لتعدد المناصب التعليمية التي تولاها الحافظ ابن كثير فإنه ليس من السهل حصر تلاميذه الذين تلقوا علومهم عليه، وسأكتفي بذكر المشهورين منهم، وهم كما يلي:

١ـ أبو المحاسن الدمشقي الشريف محمد بن علي بن الحسن ابن حمزة بن أبي المحاسن الدمشقي، وهو المشهور بالحسيني، ولد سنة ٧١٥هـ وتوفي سنة ٧٦٥هـ[٤].

٢ـ الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، وقد تتلمذ للحافظ ابن كثير وتلقى عنه الحديث بدمشق، وهو صاحب كتاب «البرهان في علوم القرآن» ولد سنة ٧٤٥هـ وتوفي سنة ٧٩٤هـ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤: ١٣٣.
(٢) المصدر السابق ١٤: ٢٦٣.
(٣) المصدر السابق ١٤: ٣٢١.
(٤) انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٣٣.

٣ـ أبو جعفر بن عنقة اليشكري، حمل عن ابن كثير وعن غيره، توفي سنة ٨٠٤هـ.

٤ـ سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل النووي الشافعي، أخذ عنه وقرأ عليه في علم الحديث وأذِنَ له، توفي سنة ٨٠٥هـ.

٥ـ الحافظ الكبير زين الدين العراقي عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن الكردي، الشهير بالعراقي، الشافعي، ولد سنة ٧٢٥هـ وقد شهد له بالفضل والمعرفة كثير من العلماء منهم ابن كثير، توفي سنة ٨٠٦هـ[١].

٦ـ شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي المعروف بالسلاوي الشافعي، سمع من ابن كثير وابن رافع وغيرهما، توفي سنة ٨١٣هـ.

٧ـ العلامة أحمد بن علاء الدين بن حجي بن موسى بن أحمد الدمشقي الشافعي الحافظ، مؤرخ الإسلام، تخرج على الحافظ ابن كثير وابن رافع في علوم الحديث، وقد لازم الحافظ ابن كثير ست سنين واستفاد منه الكثير[٢]، وله عدة مؤلفات منها ذيل على تاريخ ابن كثير، توفي سنة ٨١٨هـ.

٨ـ أبو زرعة العراقي أحمد بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي الشافعي، ولد سنة ٧٦٢هـ وتوفي سنة ٨٦٢هـ[٣].

---

(١) المصدرالسابق ص٥٣٩.

(٢) انظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١: ٣٦ ـ ٣٧، وإنباء الغمر في أبناء العمر ١: ٤٦.

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٤٣.

٩ـ ابن الجزري المقري: محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الجزري، الشافعي، ولد سنة ٧٥١هـ وسمع من كثير من العلماء منهم ابن كثير توفي سنة ٨٣٣هـ[1].

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٤٣ ـ ٥٤٤. وانظر: «جهود الحافظ ابن كثير القرشي في علمي الحديث دراية ورواية» ص٦٨ ـ ٧١.

مذهبه في العقيدة

يعتبر الحافظ ابن كثير سلفي العقيدة، يظهر ذلك من خلال تمسكه بعقيدة السلف وتقريره لها في مؤلفاته، وخصوصًا التفسير، حيث نجد أنه في تفسيره لآيات العقائد والأسماء والصفات يقرر أصول العقيدة الإسلامية الستة كما هو معتقد أهل السنة والسلف الصالح، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره[١]. وبما أن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وانفراده بالربوبية والعبودية واتصافه بالكمال المطلق من جميع الوجوه فقد قرر الحافظ ابن كثير هذا كله في كلامه على الآيات المتعلقة بالتوحيد وأنواعه، توحيد الربوبية[٢] وتوحيد الألوهية[٣] وتوحيد الأسماء والصفات[٤].

كما قرر عقيدة السلف بوجوب الإيمان بجميع الأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن والسنة، كوجود النار[٥] وعذاب القبر[٦] وثبوت رؤية

---

(١) انظر مثلا «التفسير» ١: ٢٠٧ـ ٢٠٨، ٢: ٢٦٨، ٤: ٣٣.
(٢) انظر مثلا «التفسير» ١: ٦٧.
(٣) انظر مثلا «التفسير» ١: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
(٤) انظر مثلا «التفسير» ١: ٣٩٩، ٥٨٧ـ ٥٨٨، ٢: ١٨٠، ٢٢٠، ٣: ١٤٢، ٤٠٤، ٤: ٥٠٧.
(٥) انظر مثلا «التفسير» ١: ٦١ـ ٦٢.
(٦) انظر مثلا «التفسير» ٣: ٣٩٧.

المؤمنين لربهم يوم القيامة[١]، وغير ذلك مما يجب الإيمان به من أمور الغيب.

وكما قرر عقيدة السلف فقد ذب ودافع عنها وذاد عن حياضها، ورد على طوائف البدع والضلال من الدهريين والمشركين[٢] والمعتزلة[٣] والشيعة[٤] والخوارج[٥] وغيرهم.

وهذا كله يدل على شدة تمسكه بعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم إيمانًا بها ودفاعًا عنها وردًا على مخالفيها؛ وتفسيره من أوله إلى آخره أكبر شاهد على هذا، بل إن جميع مؤلفاته تعطينا دلالة واضحة على هذه الروح الإسلامية الخالصة من شوائب البدع والانحرافات، ولا غرو في هذا ولا عجب إذا عرفنا أنه تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فنهل من معين علمه وتأثر به في الخلق والدين واستقلال الشخصية وفي صفاء العقيدة وسلامتها، فحيث كان شيخه له الفضل الأكبر بين علماء الإسلام في إيضاح عقيدة السلف والتمسك بها، والذب عنها، والذود عن حياضها، والرد على طوائف البدع والضلالات والزيغ والانحرافات، والملحدين والزنادقة، وغيرهم من الفرق الضالة، حيث كان شيخه بهذه المثابة، فقد جاء متتبعًا لآثاره،

---

(١) انظر مثلا «التفسير» ٤: ٤٥٠.
(٢) انظر «التفسير» ٤: ١٤٣.
(٣) انظر «التفسير» ٢: ١٦١، ٤: ٢٦٧.
(٤) انظر «التفسير» ٢: ٢٦ـ ٢٩، ٣٢ـ ٣٣، ٣: ٥١٦ـ ٥١٧.
(٥) انظر «التفسير» ٤: ٢١١.

مترسمًا لخطاه في ذلك كله فوضح طريقة السلف، وذب عنها، ورد على مخالفيها، فكان خير خلف لخير سلف ـ رحمهما الله ـ شيخًا وتلميذًا، وأسكنهما بحبوح جنته آمين.

مذهبه الفقهي وشخصيته المستقلة

لم يكن الحافظ ابن كثير من العلماء الأتباع المقلِّدين، وإنما كان ذا شخصية مستقلة، ومن العلماء المجتهدين الذين ينظرون في الأدلة ويختارون من الأقوال ما ترجحه تلك الأدلة، فهو ـ رحمه الله ـ بما أوتي من علم جم، وثقافه واسعة، واطلاع عظيم في شتى علوم الشريعة يدور مع الدليل حيث كان.

كماكانت طريقة شيخيه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم فهو لا يتعصب لمذهب من المذاهب أو غيره، فمع أنه شافعي المذهب نراه كما سبق يفتي في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، كما هو رأي شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ وقد امتحن الحافظ ابن كثير بسبب ذلك وأوذي، فثبت على قوله وصبر على ما يلقى في سبيل الله. وهو وإن كان يعطي مذهب الشافعي اهتمامًا كبيرًا في تفسيره، فقد اهتم بغيره من المذاهب وخصوصًا المذاهب الثلاثة، وليس أدل على إنصافه لجميع المذاهب وعدم تعصبه من كونه في بعض الأحيان قد يخالف الشافعي ويأخذ بقول غيره، كما سيأتي بيان ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الكلام على تفسير القرآن بأقوال المجتهدين والفقهاء.

كرم خلقه وعدله

لقد كان الحافظ ابن كثير على مكانة عالية من سمو الأخلاق وجليل الصفات، وكان موضع التقدير والإعجاب عند شيوخه وتلاميذه وغيرهم من خاصة الناس وعامتهم، والذي يقرأ في مؤلفاته ويطلع على علاقاته مع معاصريه يجد أكبر شاهد على هذا، ولست في معرض الكلام عن تلك الصفات، فذلك مما لا قبل لي به، وإنماسأذكر بعض الشواهد التي تدل على كرم أخلاقه وإنصافه وعدله.

فمن ذلك موقفه من المحنة التي لحقت قاضي القضاة السبكي[١]، مع علمه ومعرفته بما كان بين شيخه ابن تيمية وتقي الدين السبكي، حيث كتب عليه فتوى لتغريمه، وداروا بها على المفتين، قال ابن كثير: «وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت، لما فيها من التشويش على الحكام ثم قال: وكانوا له في نية عجيبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية»[٢].

وقال أيضًا: «وعندما عقد مجلس بسبب ما رمي به قاضي القضاة السكبي وكتب فيه محضران أحدهما له والآخر عليه»، وفي المحضر الذي كتب له. قال ابن كثير: «فيه خطوط جماعات من المذاهب بالثناء

---

(١) هو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبدالكافي بن علي توفي سنة ٧٥٦هـ. انظر الأعلام ٥: ١١٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢٢. وهذه المحنة بسبب دعوى أقيمت عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا وإلى الفخري كما ذكر ابن كثير، انظر البداية والنهاية ١٤: ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق ١٤: ٢٠٤.

عليه، وفيه خطي بأني ما رأيت فيه إلا خيرًا». كما ذكر أيضا: أنه ممن أشار بالصلح بين الشيخ السبكي وخصمائه[١].

ومما يدل على كرم خلقه أيضا وإنصافه: لزومه العدل والحق حتى مع غير المسلمين، قال في تاريخه «البداية والنهاية»[٢] في أحداث سنة ٧٦٧هـ بعدما ذكر غدر الإفرنج بمدينة الإسكندرية، وما عاثوه فيها من الفساد:

«وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم، لعمارة ما خرب من الإسكندرية ولعمارة مراكب تغزو الإفرنج، فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم، وخافوا أن يقتلوا، ولم يفهموا ما يراد بهم، فهربوا كل مهرب، ولم تكن هذه الحركة شرعية، ولا يجوز اعتمادها شرعًا» ثم قال: «وقد طلبت يوم السبت ـ السادس عشر من صفر ـ إلى الميدان الأخضر، للاجتماع بنائب السلطنة، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ، بعد الفراغ من لعب الكرة، فرأيت منه أنسا كبيرا، ورأيته كامل الفهم حسن العبارة، كريم المجالسة، فذكرت له: أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى، فقال: إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير بذلك، فقلت له: هذا مما لا يسوغ شرعًا، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون الجزية ملتزمين بالذلة

---

(١) انظر المصدر السابق ١٤: ٣١٦.
(٢) ١٤: ٣١٤ـ٣١٥.

والصغار، وأحكام الملة قائمة، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية، ومثل هذا لا يخفى على الأمير . . ».

قال الأستاذ أحمد شاكر[١] تعليقًا على هذا الموقف العادل للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «فانظر إلى هذا الإمام العظيم الذي يقف عند حدود الشريعة المطهرة، يقيم ميزان العدل الصحيح كما عرفه من دينه الحنيف، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة، من أمراء طغاة جائرين، كما ألم واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين من غدر النصارى وبغيهم، وشتان بين هذا وذاك، ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل، فكان هذا العقل المستقل العظيم الثابت على الحق، والذي لا تغلبه العواطف والأهواء مما يجعل للرجل منزلة عند الناس كبيرة يثق به أنصاره وموافقوه ومخالفوه».

---

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١ : ٣٢ـ ٣٣.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

لقد احتل الحافظ ابن كثير منزلة عالية في الحديث وعلومه، والتفسير والتاريخ والفقه والفتوى وغير ذلك، وكانت له المكانة الرفيعة في حياته بين تلاميذه ومعاصريه، وقد خلد هذه القيمة بما تركه للمكتبة الإسلامية من مؤلفات حملت ذكره خالدًا بعد وفاته.

ومما يدل على شهرته، وقيمته العلمية، وانتشار مؤلفاته واشتهارها في حياته، ما ذكره في تاريخه «البداية والنهاية»[(١)]: «أن شابًا أعجميًا حضر من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلمًا وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك، وأنه امتحنه بقراءة مجالس من البخاري وغيره بحضرة ـ قاضي القضاة ـ وجماعة من الفضلاء: ثم قال: وفرح بكتابي له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور».

وهذا يدل على اهتمام العلماء وطلاب العلم بمؤلفاته في حياته وقبل إتمام تأليفها، لأن الظاهر حسب ما وصل إلينا من أجزاء هذا الكتاب «جامع المسانيد» أنه لم يتم تأليفه، ومع ذلك وصل ما نسخ من هذا الكتاب إلى أقصى الشرق في تبريز وخراسان.

وقد أثنى عليه كثير من العلماء:

قال فيه ابن حبيب[(٢)]: «إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب

---

(١) ١٤: ٢٩٤ـ٢٩٥.

(٢) هو المحدث الفاضل أبو القاسم عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الدمشقي ولد سنة =

التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد وطارت فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير[١]».

وقال شيخه الذهبي في «تذكرة الحفاظ»[٢]: «سمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وناظر وصنف وفسر وتقدم».

وقال في «المعجم المختص»[٣]: «الإمام المفتي المحدث البارع، فقيه متفنن محدث متقن، مفسر نقال، وله تصانيف مفيدة».

وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني: «أفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل»[٤].

وقال تلميذه شهاب الدين بن حجي: «كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر كثيرًا في التفسير والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهًا جيد الفهم، صحيح الذهن يحفظ التنبيه إلى آخر وقت، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم

= ٦٦٣هـ، وتوفي سنة ٧٢٦هـ. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢٦.

(١) شذرات الذهب ٦: ٢٣١ـ ٢٣٢.

(٢) ٤: ١٥٠٨.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص٥٨، وانظر إنباء الغمر في أبناء العمر ١: ٤٦.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ ص٥٨.

الشعر. وماأعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه، إلا استفدت منه[١] وقد لازمته ست سنين»[٢].

وقال الحافظ العلامة ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ: «الشيخ العلامة الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين علم المفسرين»[٣].

وقال ابن حجر[٤]: «ولازم المزي وقرأ عليه «تهذيب الكمال» وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه، وكان كثير الاستحضار حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته ـ ثم قال: ولم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي، وتمييزالعالي من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثي الفقهاء، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح وله فيه فوائد».

وقال السيوطي في «طبقات الحفاظ»[٥]: «له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله». كما نقل السيوطي أيضًا في الطبقات قول الحافظ ابن حجر أنه لم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل.. إلخ، ثم تعقبه بقوله: «العمدة في علم

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١: ٣٦ـ ٣٧.
(٢) إنباء الغمر في أبناء العمر ١: ٤٦.
(٣) الرد الوافي ص٩٢.
(٤) الدرر الكامنة ١: ٤٤٥ـ ٤٤٦.
(٥) ص٥٢٩ـ ٥٣٠.

الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلاً، أما العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات، لا من الأصول المهمة» وهذا حق وصدق.

وقال العلامة العيني: «كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة مفيدة»(١).

وقال ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ: «كان كثير الاستحضار قليل النسيان، جيد الفهم، يشارك في العربية، وينظم نظمًا وسطا، لا يذكر له إلا القليل من النظم مثل قوله:

تمر بنا الأيام تترى وإنما ... نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذاالمشيب المكدر(٢)

وقال الشوكاني(٣) في «البدر الطالع»(٤) في ترجمة الحافظ ابن كثير: «عماد الدين إسماعيل بن عمر، برع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وأفتى ودرس، وله تصانيف مفيدة».

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردى المتوفي سنة ٨٧٤هـ. ١١: ١٢٣.
(٢) شذرات الذهب ٦: ٢٣١ـ ٢٣٢.
(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر الأعلام ٧: ١٩٠.
(٤) ١: ١٥٣.

وقال الشيخ أحمد شاكر بعدما ذكر ماجاء في «البداية والنهاية»[١]: من أن البترك بشارة الملقب ميخائيل استشار الحافظ ابن كثير في بعض عقائد طوائف النصارى الثلاث الملكية، واليعقوبية، والنسطورية.

قال: «ولا يعجبن القارىء من أن يكون ابن كثير أعلم بعقائد طوائف النصارى من أحد بتاركتهم ـ أستغفر الله ـ بل إنه يذكر عن ذاك البترك ميخائيل الذي تكلم معه أنه يفهم بعض الشيء، لأن ابن كثير من أوسع العلماء اطلاعًا على أقوال أهل الملل والنحل، وخاصة مذاهب المسيحيين، كما يدل عليه كلامه في مواضع كثيرة من التفسير والتاريخ، بل يكفي في الدلالة على سعة اطلاعه في ذلك أن يكون تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي ألف موسوعته النفيسة في ذلك «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وهو مطبوع معروف»[٢].

وقال أيضا: «ولم يكن ممن ينخدع في الفتاوى التي ظاهرها قصد الاستفتاء، ووراءها ألاعيب سياسية أو أغراض شخصية غير سليمة، وإن كان المستفتي من الأمراء، وممن يخشى بأسه[٣]»، ثم ذكر ما جاء في تاريخه البداية والنهاية في حوادث سنة ٧٦٢هـ[٤] من قوله: «وجاءتني فتيا صورتها، ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلامًا فأحسن إليه وأعطاه وقدمه، ثم إنه وثب على سيده فقتله، وأخذ ماله

---

(١) ١٤: ٣١٩: ٣٢٠.
(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١: ٣٢ـ ٣٤.
(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١: ٢٩ـ ٣٠.
(٤) ١٤: ٢٨١ـ ٢٨٢.

ومنع ورثته منه، وتصرف في المملكة، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله، فهل له الامتناع منه؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيدًا؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال؟ أفتونا مأجورين» ثم قال أحمد شاكر تعقيبا على هذا: «فهذا استفتاء صيغ في صورة توحي بالجواب، وباطنه أن ذاك الأمير السائل يريد أن يمتنع على الملك الذي دعاه للحضور عنده ويريد أن يثير فتنة وقتالاً على صاحب الأمر، لعله يصل إلى ما وصل إليه ذاك من الملك، كعادة الأمراء من المماليك في ذلك العهد، ولكن ابن كثير يجيبه جواباً حكيماً يكشف عن بعض مقصده، ويضمن جوابه النصيحة الواجبة في مثل هذه الحال فيقول: فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير: إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ، فهو أعلم بنيته في الذي يقصده، ولا يسعى في تحصيل حق معين، إذا ترتبت على ذلك مفسدة راجحة في ذلك، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه فلابد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه»[١].

---

(١) البداية والنهاية ١٤: ٢٨١ـ ٢٨٢.

وفاتــه

كان ـ رحمه الله ـ قد كف بصره في آخر عمره، ومات يوم الخميس منتصف شعبان[١]، وقيل يوم الخميس السادس والعشرين منه سنة ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م عن أربع وسبعين سنة[٢].

وقال ابن ناصر الدين: وكانت له جنازة حافلة مشهورة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية، بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق[٣].

ولما مات رثاه بعض طلبته بقوله:

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا ... وجادوا بدمعٍ لا يبيد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما ... لكان قليلاً فيك يابن كثيرِ[٤]

---

(١) إنباء الغمر في أبناء العمر ١ :٤٦.

(٢) انظر: «الدرر الكامنة» ١ : ٤٤٥، «النجوم الزاهرة ١١ : ٢٣١ : ٢٣٢»، وانظر ترجمة ابن كثير للشيخ محمد عبدالرزاق حمزة في مقدمة كتاب «الباعث الحثيث» وللشيخ أحمد شاكر في مقدمة «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير».

(٣) «الرد الوافر» ص٩٢.

(٤) «النجوم الزاهرة» ١ : ١٢٤.

الفصل الثاني: آثاره العلمية(١)

لقد خلف الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ للمكتبة الإسلامية ثروة علمية كبيرة في شتى فنون المعرفة من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وغير ذلك. غير أن هذه الثروة التي خلفها لم تصل كلها إلى المكتبة الإسلامية، بل إنه لم يصل إلا بعض منها، أما البعض الآخر، وهو القسم الأكبر منها فلم يهتد إلى مكانه، وحرمت منه المكتبة الإسلامية، كما أن من بين القسم الموجود مؤلفات لازالت مخطوطة، وبحاجة إلى طباعة بعد دراسة وتحقيق، وسأتناول ـ إن شاء الله ـ في هذا الفصل ذكر ما توصلت إليه من مؤلفاته وآثاره، وغالبها مفقود كما أشرت، إنما الذي وصل إلينا فقط هو نسبة هذه المؤلفات إليه، إما عن طريق المؤرخين الذين ترجموا للحافظ ـ رحمه الله ـ وإما عن طريق إشارته في كتبه الموجودة إلى هذه المؤلفات، وقد أشار في تفسيره للقرآن العظيم إلى أغلبها، وفيما يلي بيان هذه المؤلفات:

١ـ «**تفسير القرآن العظيم**» وسيأتي التعريف به في فصل مستقل ـ إن شاء الله ـ .

---

(١) المصادر: «تفسير القرآن العظيم»، «البداية والنهاية» لابن كثير، «تذكرة الحفاظ» للذهبي ٤: ١٥٠٨، و«ذيل الحفاظ» للحسيني ص٥٧، الدرر الكامنة ١: ٤٤٥ـ ٤٤٦، طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٩ـ ٥٣٠، شذرات الذهب ٦: ٢٣١: ٢٣٢، «الأعلام» ١: ٣١٧ـ ٣١٨.
وترجمته للشيخ محمد عبدالرزاق حمزة في أول كتاب «الباعث الحثيث» وللشيخ أحمد شاكر في مقدمة «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» وجهود الحافظ ابن كثير القرشي في علمي الحديث: دراية ورواية» للعجمي دمنهوري خليفة.

٢ـ التاريخ الكبير المسمى: «البداية والنهاية» ويعد من أعظم المراجع التاريخية، ومن أوثقها، قال العيني: «وله التاريخ الذي فاق على سائر التواريخ، وهو عمدة تاريخي هذا الذي جمعته وزدت عليه من غيره» وقال ابن تغرى بردى: «وهو في غاية الجودة».

وقد قسمه الحافظ ابن كثير إلى ثلاثة أقسام: الأول في بدء الخليقة وقصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، وأخبار العرب، وأحداث الجاهلية قبل الإسلام وقد اعتمد في هذا القسم على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعلى من تقدمه من المؤرخين، كالطبري والواقدي، وغيرهما من المؤرخين وأصحاب السير، مع مناقشة أسانيد الأحاديث والآثار التي يذكرها وبيان وجه الدلالة منها.

والقسم الثاني: فيه ذكر أخبار الدولة الإسلامية، ابتداء بسيرة الرسول ﷺ وأيامه، وغزواته وجميع الوقائع في عهده ﷺ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ثم ذكر أخبار الخلافة الراشدة وأيامها ووقائعها، ثم أخبار الدولة الأموية، فالدولة العباسية وما بعدهما إلى سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ، ثم ما بعد ذلك من أخبار المماليك وغيرهم، إلى ما قبل وفاته ـ رحمه الله ـ لست سنوات تقريبًا وذلك سنة ٧٦٨هـ، وهذا القسم يمكن أن نسميه تاريخ الإسلام.

أما القسم الثالث: وهو المسمى بالنهاية، فقد جمع فيه ما ورد من الأخبار في الفتن والملاحم، وأشراط الساعة وأحوال القيامة والآخرة،

وصفة الجنة والنار.

وقد رسم طريقته في هذا الكتاب في مقدمته، كما ذكر فيه حكم رواية الإسرائيليات، وبين أنه لا ينقل في هذا التاريخ إلا ما أذن به الشرع مماكان موافقًا لشرعنا، أو كان من القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، وهذا التاريخ مطبوع ومتداول في أربعةعشر مجلدا، وهو يحيل في هذا التاريخ إلى كتابه في التفسير، كما يحيل في التفسير إلى هذا التاريخ، فلا أدري أقام بتأليفهما معاً؟ أم أنه يحيل على ما كان ينوي أن يقوم به؟ وهو ماجاء متأخرا منهما سواء التاريخ أو التفسير، وقد تداولت المطابع طبعه عدة مرات، فقد طبع بمطبعة كردستان العالمية سنة ١٣٤٨هـ، كما قامت مطبعة السعادة بطبعه سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م بتصحيح عبد الحفيظ سعد عطية القاهرة.

وقامت مكتبة النصر بالرياض بنشره سنة ١٩٦٦م، ونشرته دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م بتحقيق محمد الزيني القاهرة، كما قامت مكتبة الفلاح بالرياض بنشره بطبعة جديدة ومنقحة كاملة تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبدالعزيز النجار، طبع مطبعة الفجالة الجديدة. وقد اقتصرت هذه الطبعات على ما يسمى (بالبداية) من هذا التاريخ، أما (النهاية) وهي في الفتن، والملاحم، فلم تنل حظا من هذه الطبعات التي تناولت (البداية)، وقد قام بطبعها أخيرًا الشيخ طه زيني في مجلدين وعلق عليها، وطبعت في الرياض بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري مكتبة النور عام ١٣٨٨هـ.

ومماينبغي التنبيه عليه أن الشيخ محمد فهيم أبو عبية قام بنشرها وعلق عليها تعليقات غير سديدة، فيها رد للأحاديث الثابتة، وتأويل لها وإسقاط لبعض النصوص[١].

٣ـ اختصار علوم الحديث: وقد اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، وقد أضاف إليه فوائدة كثيرة، ورتبه . وقد قام الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة بتصحيح هذا الكتاب، وطبع أول مرة بمكة المكرمة بالمطبعة الماجدية سنة ١٣٥٣هـ، ثم قام الأستاذ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ بشرحه شرحًا متوسطًا، وطبع في مصر في شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٥هـ، ثم أعاد الأستاذ طبعته مرة أخرى، مع زيادات وتنقيح في الشرح، في شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٠هـ باسم «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث». وهذا الكتاب متداول ومشهور.

٤ـ السيرة النبوية «مطولة». أشارت الكتب التي ترجمت للحافظ ابن كثير وذكرت مؤلفاته إلى أن من ضمن هذه المؤلفات كتابين في السيرة النبوية وهما: السيرة النبوية مطولة، والسيرة مختصرة.

وقد أشار إلى كتاب السيرة المطولة في تفسير سورة الجن[٢]، كما أشار إلى كتاب السيرة مختصرًا وبسيطًا في سورة الأحزاب، في ذكر قصة بني قريظة[٣]، وتارة يشير إلى كتاب السيرة مطلقًا[٤].

---

(١) انظر: جهود الحافظ ابن كثير القرشي في علمي الحديث دراية ورواية ص٦٥.
(٢) التفسير ٤ : ٤٣٠.
(٣) التفسير ٣ : ٤٧٨.
(٤) انظر التفسير ١ : ٥٤٧، ٢ : ٢٨٤، ٣٥٦، ٣ : ٥٥، ٤ : ٥٦٣.

وقد قام الأستاذ مصطفى عبدالواحد باستخلاص السيرة النبوية من التاريخ الكبير «البداية والنهاية» وقام بتحقيقها وطبعها على حدة، في أربعة مجلدات بالقاهرة بمطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٦م. كما قام باستخلاص شمائل الرسولﷺ، وحققها وطبعها في مجلد واحد بالقاهرة بمطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

وقد قال في مقدمة كتاب قصص الأنبياء، الذي استخلصه أيضًا في مجلدين من هذا التاريخ: «تبينت من كلام ابن كثير في تفسيره، ومن كتب التراجم، أنه كان لابن كثير سيرة مطولة، ورجحت أنه ضمنها في كتابه «البداية والنهاية» الذي ألفه في آخر عمره».

٥ـ أما كتاب السيرة المختصرة، فلعله الذي يوجد مطبوعًا باسم «الفصول في اختصار سيرة الرسول»، وقد طبع في القاهرة بمطبعة العلوم بمصر سنة ١٣٥٨هـ[(١)]، كما طبع سنة ١٣٨٥هـ بتصحيح الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة باسم الطبعة الأولى، وطبع سنة ١٣٩٩هـ بتحقيق الدكتور محمد عيد الخطراوي والأستاذ محيي الدين مستو.

وقد جاء في مقدمته قوله: «وهي مشتملة على ذكر نسب رسول الله ﷺ وسيرته وأعلامه، وذكر أيام الإسلام بعده إلى يومنا هذا، مما يمس حاجة ذوي الأرب إليه، على سبيل الاقتصاد ـ إن شاء الله تعالى ـ»[(٢)].

والكتاب يعتبر ملخصًا لسيرة النبي ﷺ في ذكر نسبه ومولده،

---

(١) عن مخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.
(٢) ص٣.

ونزول الوحي عليه، وحياته وأيامه، والأحداث التي لاقاها في طريق دعوته وخصائصه، وصفاته وما كان عليه ﷺ من حسن المعاملة لربه، وأصحابه وغيرهم، وذكر بعض غزواته وحروبه، إلى آخر حياته ﷺ ثم مرضه ووفاته، وبعض من أحكام زوجاته، قبل وفاته وبعدها . . . والكتاب يقع في ١٧٠ صفحة من القطع المتوسط ـ. وكل ما جاء في هذا المطبوع هو مما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ فقط، دون زيادة على ذلك كما أشار الحافظ في المقدمة إلى أنه سيذكر فيه أيضًا أيام الإسلام إلى يومه، فإما أن يكون الحافظ اقتصر على هذا القدر، وإما أنه لم يصل إلينا إلا بعض هذا الكتاب، وهو القسم الأول منه، في سيرة الرسول ﷺ .

٦ـ «**جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن**» وقد جمع فيه الحافظ ابن كثير بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى الموصلي والطبراني مع الكتب الستة، وقد ذكر الحافظ ـ رحمه الله ـ طريقته في مقدمة هذا الكتاب فقال: «جمعت فيه من كتب الإسلام المعتمدة، في الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ ومن ذلك الكتب الستة، وهي الصحيحان البخاري ومسلم، والسنن الأربع لأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومن ذلك مسند الإمام أحمد، ومسند أبي بكر البزار، ومسند الحافظ أبي يعلى الموصلي، والمعجم الكبير للطبراني ـ رحمهم الله ـ فهذه عشرة كاملة، أذكر في كتابي هذا مجموع ما في

هذه العشرة وربما زدت عليها من غيرها[١]، وقل ما يخرج عنها من الأحاديث مما يحتاج إليه في الدين، وهذه الكتب العشرة تشتمل على أربى من مائة ألف حديث بالمكررة، وفيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع». وبعد هذا أخذ في الثناء على الإمام البخاري ـ ثم قال: «ولكن قل ما يدخل في مصنفه من هذه الأحاديث، لما شرطه في صحيحه من الشرط الذي ضاق، وتوسع مسلم بن الحجاج بعده في الشرط، وبالغ في المناظرة والحجاج، ومع هذا بقي عليه أحاديث أخر لم يطلع عليها وهي على شرطه، كما ستراها في هذا الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ» ثم قال: «وقد وضعت كل حديث مما يتعلق بالأحكام والتفسير والتاريخ في كتبنا الثلاثة[٢]، ولله الحمد والمنة، وما فيه من وهن شديد بينته، وموضع تحرير ذلك، وتقريره، والتفسير عنه في كتاب الأحكام الكبير، وسميت كتابي هذا: «جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن» وهو المسند الكبير وشرطي فيه: أن أترجم كل صحابي له رواية عن النبي ﷺ مرتباً على حروف المعجم[٣]، وأورد له

---

(١) من خلال قراءتي في هذا الكتاب اتضح لي أن ابن كثير قد زاد في الرواية عن هذه العشرة فروى عن أبي نعيم، وابن أبي شيبة، والحاكم، وابن منده، والواقدي، وأبي بكر بن عاصم السجستاني.

(٢) لعله يريد بالكتب الثلاثة: «كتاب الأحكام الكبير» وهذا لم يتمه «وتفسير القرآن العظيم»، وتاريخه الكبير «البداية والنهاية».

(٣) بالإضافة إلى أنه مرتب على حروف المعجم، ابتداء بالألف وانتهاء بالياء، فقد جعله الحافظ ابن كثير على شكل أبواب، حيث ابتدأ بالأسماء ابتداء بالألف وانتهاء بالياء، ثم انتقل إلى باب الكنى، ثم قال فصل في ابن فلان، ثم المبهمات على حروف المعجم رواتهم، ثم بعده كتاب مسند النساء الصحابيات، باب الأسماء ثم باب الكنى =

جميع ما وقع له في الكتب، وماتيسير لي من غيرها، وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وإليه أنيب[١].

والذي يظهر أن الحافظ ـ رحمه الله ـ لم يتم هذا الكتاب والموجود منه مازال مخطوطًا، يوجد منه في دار الكتب المصرية سبعة مجلدات تحت رقم ١٨٤ وفي مكتبة الرياض السعودية صورة من هذه المجلدات، تصوير دار الكتب المصرية لعام ١٣٦٦هـ عن المخطوط رقم «١٨٤» رقم التصوير «١١١ من ٣٢٣/ مقاس ١٩× ٢٦» والموجود في المكتبة السعودية سبعة أجزاء في أربعة عشرة مجلدًا، برقم ١٠٢ إلى ١١٥/ ٨٦ وينقصها المجلد الثامن مع وجود رقم له. كما يوجد في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الجزء الأول منه في ثلاثة مجلدات برقم «٤١٤».

٧ـ «**التكميل في معرفة الثقاة والضعفاء والمجاهيل**»جمع فيه «تهذيب الكمال» للمزي، و«ميزان الاعتدال»، للذهبي مع زيادات مفيدة في الجرح والتعديل، وقد أشار إليه في كتابه «جامع المسانيد والسنن»[٢] وأنه في عدة عشرة مجلدات قال: «وجعلته كالمقدمة لكتابي هذا» يشير إلى «جامع المسانيد». قال الحسيني في «ذيل تذكرة

= أم فلان . . . ثم مسند أنس بن مالك ثم مسند أبي هريرة وهذا نهاية الجزء السابع «المجلد الرابع عشر».

(١) جامع المسانيد ١: ٤ـ ٦.

(٢) ١ : ٤ـ ٥، وانظر «كشف الظنون» ١ : ٤٧١.

الحفاظ»[١]: وهو في خمسة مجلدات» ويوجد الجزء التاسع منه ـ وهو الأخير ـ في مجلدين كبيرين بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤٢٢٧ب).

٨ـ «**مسند الشيخين**»: أبي بكر وعمر ـ وفيه ـ كما قال ابن كثير في «السيرة النبوية»[٢]: «ذكر كيفية إسلام أبي بكر، وأورد فضائله وشمائله، وأتبع ذلك بسيرة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وأورد ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث وما روي عنه من الآثار، والأحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ولله الحمد والمنة».

يشير إليه في التفسير، تارة إلى مسند أبي بكر له[٣]، وتارة إلى سيرة عمر له[٤]، وتارة إلى مسند الشيخين أبي بكر وعمر له[٥]:

٩ـ «**الاجتهاد في طلب الجهاد**»:

وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب: أنه كتبه تلبية لأمر الوالي نائب السلطان في الشام المحروسة. ذكر في أوله عددًا من الآيات القرآنية، حول موضوع الجهاد والقتال في سبيل الله، ثم أتبع ذلك بذكر عدة من الأحاديث في الجهاد والمرابطة في سبيل الله، ثم عقب ذلك بفصل ذكر

---

(١) ص٥٨.
(٢) ١ : ٤٣٣.
(٣) انظر «التفسير» ١ : ٤٠٧ـ ٥٥٣.
(٤) انظر «التفسير» ٤ : ١٦٧، ٢٢٥
(٥) انظر «التفسير» ١ : ٤٠٩، وانظر «البداية والنهاية» ٧: ١٨، «ذيل تذكرة الحفاظ» للسيوطي ص٣٦١.

فيه هجوم الإفرنج على الإندرية سنة ٧٦٧هـ وما عاثوه فيها من الفساد، حتى أقبلت رايات الإسلام، وفر جيشهم هاربًا، ثم انتقل إلى ذكر طروقهم لطرابلس أيضا سنة ٧٦٩هـ وإفسادهم فيها، إلى أن أخرجهم منها جيش المسلمين، فولوا هاربين وخرجوا منها صاغرين، ثم عقد فصلاً آخر ذكر فيه منازلتهم لمدينة «إياس»، وما وقع بينهم وبين المسلمين من مناوشات انتهت بانتصار المسلمين عليهم، ورجوعهم خائبين خاسرين، ثم عقد فصلاً ثالثًا في ذكر بعض الوقائع الإسلامية في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والفاطمية، والأيوبية، والمماليك البحرية، وكان هدفه في ذلك تحريك همم المسلمين للتضحية والإقدام في الدفاع عن الإسلام، ثم ذكر أن معظم قصد الإفرنج أخذ بيت المقدس من أيدي المسلمين، وأنه لا سبيل لهم إلى ذلك.

وهذاالكتاب مطبوع، يقع في «٢٣» صفحة من القطع المتوسط. نشرته للمرة الأولى جمعية النشر والتأليف الأزهرية بالقاهرة لعام ١٣٤٧هـ . كما طبع سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م بتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله عسيلان.

١٠ـ «طبقات الشافعية في التراجم» (١).

منه نسخة مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٧٨٩ وقد صورت عن نسخة مكتبة الكتاني بالرباط وهي نسخة ناقصة

---

(١) انظر: «طبقات المفسرين» للداودي ١: ١١٠ـ ١١١.

الموجود منها إلى الطبقة الثامنة من أصحاب الشافعي.

١١ـ «**اختصار كتاب المدخل إلى كتاب السنن للبيهقي**» ذكره في مقدمة اختصار علوم الحديث.

١٢ـ كتاب «**المقدمات**» ولعله في المصطلح ذكره في التفسير[١] وفي اختصار مقدمة ابن الصلاح وأحال عليه[٢].

١٣ـ «**إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه**»، في فروع الشافعية، وهو مخطوط بتركيا، وفي مكتبة فيض الله تحت رقم ٧٨٣ وصورة منه بالجامعة العربية بالقاهرة.

١٤ـ «**اتحاف الطالب بمعرفة أحاديث ـ مختصر ابن الحاجب**» في الأصول[٣].

١٥ـ«**شرح صحيح البخاري**» شرع فيه ولم يكمله كما ذكر ذلك ابن حجر[٤]. وقد أشار وأحال إليه مرارًا في تفسيره، وقد وصل فيه إلى كتاب العلم حسب إشاراته في التفسير[٥]. كما ذكره في «البداية والنهاية»[٦].

---

(١) انظر «التفسير» ٣: ١٣٨.

(٢) انظر «الباعث الحثيث» ص٤٩.

(٣) «طبقات المفسرين» للداودي ١: ١١١.

(٤) في ترجمته في «الدرر الكامنة» ١: ٤٤٥ـ٤٤٦.

(٥) انظر «التفسير» ١: ٤١، ٣٧١، ٣٨٧ و٢: ١٩٨، ٢٧٢، ٢٨٥، ٣١٣، ٤٠٢ و٣: ٥٤، ٤٨٧، ٥٥٧ و٤: ١٠٦، ١٨٠، ٢٠٢، ٢١٩، ٣٠٥، ٥٢٨.

(٦) انظر ٣: ٣، ١١: ٣٣. وانظر «طبقات المفسرين» للداودي ١: ١١٠، «كشف الظنون» ١: ٥٥٠.

١٦ـ «**كتاب الأحكام الكبير**»: لم يكمله وقد وصل فيه إلى الحج، أشار إليه في مواضع كثيرة في تفسيره[١]، ويؤخذ من كلامه في الجزء الأول من التفسير ص٥٤٩ أنه ألفه بعد التفسير أو معه، حيث قال: «ولنحرره في كتاب الأحكام الكبير ـ إن شاء الله وبه الثقة» كما أشار إليه في «اختصار علوم الحديث»[٢]. وفي «البداية والنهاية»[٣].

١٧ـ **الآداب والأحكام المتعلقة بدخول الحمام**»: وهو رسالة صغيرة، وموضوعه أحكام دخول الحمام، وأقوال العلماء في ذلك، والأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

وقد قسمه إلى فصول: الفصل الأول فيما تقدم، والفصل الثاني في تحريم التبرج وإبداء النساء لزينتهن، والفصل الثالث في تورع بعض العلماء عن دخول الحمام. إلى غير ذلك من الفصول.

١٨ـ «**مولد الرسول** ﷺ»: مطبوع بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت دار الكتاب الجديد ١٩٧٧م، وقد ذكر ابن كثير في مقدمته: أنه ألف هذا الكتاب برسم أحد المؤذنين في الجامع المظفر بدمشق، وقد أوضح ابن كثير ما سيذكره في هذا الكتاب حيث قال: «فهذا ذكر شيء من ذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بمولد رسول الله ﷺ المنقولة المقبولة عند الحفاظ المتقنين، والأئمة الناقدين» هذا وقد

---

(١) انظر مثلا ١: ٤٩، ٧٢، ٨٥، ٢٣٠، ٢٨٢، ٤٧٠، ٢: ١٤، ٢٩، ٥٧، ٩٩، و٣: ٣٧٨، ٤: ١٧٣، ٢١٨، ٤٢٠.

(٢) انظر «الباعث الحثيث» ص٥٧.

(٣) ٣: ٥٢٤. وانظر «طبقات المفسرين» للداودي ١: ١١٠ـ ١١١.

تناول فيه: مولد الرسول ﷺ ونسبه، والعلامات التي ظهرت أثناء حمله، كما تكلم عن حفر بئر زمزم، وعن نذر عبدالمطلب ذبح ابنه، وصفة مولده ﷺ وأسمائه ورضاعه وصفاته وشمائله وأخلاقه وغير ذلك، يقع الكتاب في «٤٥» صفحة تقريبًا.

١٩ـ «**الكواكب الدراري في التاريخ**» من كتب التراجم استخلصه من «البداية والنهاية» ذكره حاجي خليفة[١].

٢٠ـ كتاب «**السماع**» **ذكره حاجي خليفة**[٢].

٢١ـ شرح قطعة من «التنبيه» للإمام أبي إسحاق الشيرازي[٣] وقد يكون هو المتقدم باسم «إرشاد الفقيه لمعرفة أدلة التنبيه».

٢٢ـ «**الأحكام الصغرى في الحديث**» ذكره حاجي خليفة[٤].

٢٣ـ «**كتاب فضائل القرآن**» طبع بمصر سنة ١٣٤٧هـ أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الفوائد السيد محمد رشيد رضا، وهو الذي ألحقه في التفسير، عندما قام بطبعه مع تفسير البغوي، وألحق كتاب الفضائل بالمجلد التاسع الأخير منه، واعتمدت ذلك المطابع فيما بعد، فأصبح ذيلاً للتفسير.

---

(١) في كشف الظنون ٢: ١٥٢.
(٢) المصدر السابق ٢: ١٠٠٢.
(٣) انظر «البداية والنهاية» ٢: ١٢٥، «شذرات الذهب» ٦: ٢٣١، «هدية العارفين» ١: ٢١٥.
(٤) في كشف الظنون ١: ٥٥٠.

وقد كان جعله بعد التفسير هو هدف الحافظ ابن كثير، حينما وضعه اقتداء بالإمام البخاري، في جعله فضائل القرآن بعد التفسير، وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير: «ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير، لأن التفسيرأهم فلذا بدأ به، فجرينا على منواله وسنتهِ مقتدين به».

وقد ذكر الحافظ في كتابه هذا ما ورد في كتاب البخاري «فضائل القرآن» من الأحاديث والآثار سوى أحاديث فضائل السور فقد ذكرها عند سورها في التفسير، ولم يذكرها في كتابه هذا.

وقد أضاف بعض الزوائد على ماجاء في كتاب البخاري، وجعلها في آخر الكتاب. وقد اهتم بتخريج الأحاديث، وبيان مناسبة الحديث للباب الذي ذكر فيه، وبيان معناه مع الاستهشاد على ذلك بالآيات والأحاديث المناسبة وبيان ما يؤخذ منه من فوائد متنًا وسندًا.

٢٤ـ «**الواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس**»[١].

٢٥ـ **أحاديث التوحيد والرد على الشرك**» ـ ذكره بروكلمان[٢]. وأشار إلى أنه طبع في دلهي سنة ١٢٩٧هـ.

وهناك له كثير من الأجزاء والرسائل، غالبها مما أشار إليه في التفسير وغيره وهي:

---

(١) انظر «طبقات المفسرين» للداودي ١: ١١١، وكشف الظنون ٢: ١٨٤.
(٢) في الملحق ٢: ٤٨.

١ـ كتاب الصيام المفرد[١].

٢ـ جزء جمعه في فضل يوم عرفة[٢].

٣ـ جزء جمعه وأفرده في حكم التسمية وحكم تركها والكلام فيها[٣].

٤ـ جزء جمعه وأفرده في الأحاديث، في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها[٤].

٥ـ جزء جمعه وأفرده في الأحاديث في كفارة المجلس[٥].

٦ـ جزء جمعه وأفرده في الأحاديث في أن المطيع من الجن والإنس مثاب وأن العاصي معاقب[٦].

٧ـ لخص مقدمة مفردة جمعها من كتاب «الأشباه» لأبي عمر ابن عبدالبر ومن كتاب «القصد والأمم، في معرفة أنساب العرب والعجم» في الأنساب[٧].

٨ـ كتاب صفة الجنة[٨].

٩ـ كتاب «أحاديث الأصول»[٩].

---

(١) أشار إليه في «التفسير» ١: ٢١٥، ٢٢٢، ٢: ٣٥٤، ٣: ٥١٢.
(٢) أشار إليه في «التفسير» ١: ٢٤٣.
(٣) أشار إليه في «التفسير» ٢: ١٧٠.
(٤) أشار إليه في «التفسير» ٣: ٢٩٢.
(٥) أشار إليه في «التفسير» ٤: ٢٦، ٢٤٦، ٥٦٣.
(٦) أشار إليه في «التفسير» ٤: ١٧١.
(٧) أشار إليه في «التفسير» ٤: ٢١٧.
(٨) أشار إليه في «التفسير» ٤: ٢٨٤.
(٩) أشار إليه في «التفسير» ١: ٥٥٥.

١٠ـ جزء في ذكر المهدي المنتظر[١] .

١١ـ جزء في رد كتاب أظهره اليهود[٢] .

١٢ـ جزء في الصلاة الوسطى[٣] .

١٣ـ جزء في فتح القسطنطينية[٤] .

١٤ـ جزء في هل يسمى الأَخَوان إخوةً[٥] .

١٥ـ جزء أفرده على حِدَة للكلام على الحديث الوارد في أن السجل كاتب للنبي ﷺ[٦] .

١٦ـ جزء في الأحاديث الواردة في قتل الكلاب[٧] .

١٧ـ جزء جمعه في سند الحديث الطويل في الصور[٨] .

وهناك كتب جردت واستخلصت من بعض مؤلفات ابن كثير وهي :

١ـ «السيرة النبوية»: وقد استخلصها الأستاذ مصطفى عبدالواحد من «البداية والنهاية» وهي في أربعة مجلدات.

٢ـ «قصص الأنبياء» استخلصه أيضا الأستاذ مصطفى عبدالواحد من

---

(١) ذكره في «النهاية».

(٢) أشار إليه في «البداية والنهاية» ١٤ : ١٩ .

(٣) أشار إليه في «التفسير» ١ : ٢٩٤.

(٤) انظر: «جهود الحافظ ابن كثير القرشي في علمي الحديث دراية ورواية ص٦٧».

(٥) أشار إليه في «التفسير» ١ : ٤٥٩ .

(٦) أشار إليه في «التفسير» ٣: ٢٠٠.

(٧) أشار إليه في «البداية والنهاية» ١٤ : ٢٢٧ .

(٨) أشار إليه في «التفسير» ٢ : ١٤٩.

نفس كتاب «البداية والنهاية» في مجلدين نشرته دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣ـ كتاب «شمائل الرسول» في مجلد واحد، وهو مختصر من السيرة، تحقيق مصطفى عبدالواحد وقد سبقت الإشارة إلى هذه الثلاثة.

٤ـ «سيرة عمر بن عبدالعزيز» استخرجها الدكتور أحمد الشرباصي.

٥ـ «استشهاد الحسين» قرأه وقدم له واستخرجه محمد جميل غازي.

٦ـ ما ورد من الرواية في «البداية والنهاية» وهو كتاب جمع فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني ما وجد من الأحاديث والآثار في هذا الكتاب، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية وصورة منها بجامعة الدول العربية تحت رقم ٧٧١.

وهذه الكتب الستة كلها استخلصت واستخرجت من تاريخه الكبير «البداية والنهاية».

٧ـ «كتاب الإسراء والمعراج» من تفسير الحافظ ابن كثير، جرده ورتبه، وأضاف إليه إسماعيل الأنصاري الرياض مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٩٣هـ.

ومما يلاحظ القارىء عند استعراضه لهذه المؤلفات أن الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ أجاد في العلوم الإسلامية كلها، من تفسير وحديث وأحكام وتاريخ وأصول وعقائد. وهذا نتاج حصيلته العلمية التي استفادها من مشاهير العلماء في عصره كابن تيمية وابن القيم والمزي والذهبي وغيرهم.

لكن غلبة الحديث على ثقافته جعلت أكثر مؤلفاته في الحديث وعلومه، وإننا لنأسف حينما نبحث عن أكثر هذه المؤلفات فلا نكاد نجدها أو نعثر عليها. إضافة إلى أن أكثر الموجود منها مازال مخطوطا، لا ينتفع به، وما طبع منها فبصورة غير لائقة، بقصد التجارة والاستغلال، لا المنفعة العلمية .

وإنا لنسأل الله ـ العلي القدير ـ أن يقيض لمؤلفات هذا الإمام العظيم من بين علماء المسلمين من يبحث عنها ويوليها عناية جيدة، تحقيقا وطباعة، لتأخذ مكانها في المكتبة الإسلامية، كما أني أدعو الجامعات الإسلامية ومن بينها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى الاهتمام بجمع تراث هذا الإمام العظيم، والحفاظ على البقية الباقية منه.

الفصل الثالث

التعريف بتفسير الحافظ ابن كثير

هو الكتاب الذي نحن بصدد الكلام على منهجه وطريقته، والذي يعتبر من أفضل التفاسير وأهمها. قال الإمام السيوطي: «لم يؤلف على نمطه مثله»[١] وقال الزرقاني «وتفسيره هذا: من أصح التفاسير بالمأثور، إن لم يكن أصحها جميعا»[٢].

وقال الشيخ أحمد شاكر: «وبعد فإن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري، ولسنا نوازن بينهما وبين أي تفسير آخر مما بأيدينا، فما رأينا مثلهما، ولا ما يقاربهما»[٣].

وهذا التفسير غني عن التعريف فهو يحتل المكانة الثانية، إن لم تكن الأولى بين كتب التفسير، فسّر فيه الحافظ ابن كثير القرآن بالقرآن أولا، ما وجد إلى ذلك سبيلا، ثم بالسنة الصحيحة المروية عن المصطفى ﷺ، ما وجد إلى ذلك سبيلا، ثم بأقوال التابعين، وبمفاهيم لغة العرب، وسيتضح هذا من خلال الكلام على منهجه ـ إن شاء الله ـ وهذه بحق تعتبر أحسن الطرق في تفسير القرآن الكريم.

وقد لقي هذا التفسير العظيم اهتماما من العلماء، فمنهم من حققه

---

(١) «طبقات الحفاظ» ص٥٣٠.

(٢) «مناهل العرفان» ١ : ٤٩٨.

(٣) مقدمة «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير».

وصححه وعلق عليه بعض الحواشي، ومنهم من حاول طبعه طباعة جيدة، مع تصحيح ما وقع في الطبعات القديمة من تحريف وسقط وغير ذلك، ومنهم من اختصره، وسأذكر فيما يلي أشهر طبعاته ونبذة عن مختصراته :

أولاً : أشهر طبعاته :

أ) طبع ببولاق بمصر سنة «١٣٠٢هـ» وهي طبعة محرفة لا يكاد ينتفع بها نفعًا صحيحًا .

ب) ثم طبعه السيد محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ، ومعه تفسير البغوي «معالم التنزيل» في مطبعة المنار، في تسعة مجلدات من سنة «١٣٤٣ـ١٣٤٧هـ» بأمر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وقد اجتهد في تصحيحه ما استطاع، ولكن فاته بعض الشيء، وقد ألحق به كتاب «فضائل القرآن» للحافظ ابن كثير، وجعله ذيلا للتفسير .

جـ) طبعة «دار إحياء الكتب العربية» لعيسى البابي الحلبي وشركاه، وقد علق عليها بأنها «قوبلت على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية وصححها نخبة من العلماء»، وهي في أربعة مجلدات، وقد اشتملت على «كتاب فضائل القرآن»، وعلى الزيادات التي ألحقها ابن كثير أخيراً في التفسير، وهذه الطبعة من أكثر الطبعات انتشارا، وقد اعتمدت عليها فيما نقلته أو أحلت إليه، مع مقارنة ذلك بجميع الطبعات، وخصوصاً ما قد يحصل فيه التباس .

د) طبعة «مطبعة الفجالة» بالقاهرة، وقد قامت بنشرها «مكتبة

النهضة الحديثة» لعبد الشكور عبدالفتاح فدا، ما بين سنة «١٣٨٤ـ ١٣٨٨هـ» الموافق «١٩٦٥ـ ١٩٦٨م» باسم الطبعة الأولى، وقد اشتملت على ما في الطبعة السابقة من الزيادات، وكتاب «الفضائل»، وقد قام بتعليق حواشي هذه الطبعة، وقدم لها الدكتور: عبدالوهاب بن عبداللطيف، وصححها وأشرف على طبعها محمد الصديق، وقد جاء في هذا التقديم الذي وضعه الأستاذ عبدالوهاب ذكر مقدمة في علم التفسير عموما، ومدخل لتفسيرالحافظ ابن كثير، فيه تعريف بالتفسير ومؤلفه. وعمل المعلق في هذه الطبعة يتمثل في تخريج بعض الأحاديث بذكر مصادرها، وذكر بعض الروايات في أسباب النزول، وبيان بعض المبهمات من الأسماء والأماكن والأنساب.

هـ) طبعة «دار الأندلس» و«دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع» ببيروت في سبعة مجلدات سنة «١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م» وتمتاز هذه الطبعة بفهرس تفصيلي للأحاديث النبوية[١]. وقد أعادت طباعته «دار الفكر» طبعة ثانية سنة «١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م».

و) قامت دار الشعب «بتحقيق هذا التفسير وطباعته، وقد قام بالتحقيق الأساتذة: عبدالعزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء، وتم طبعه في ثمانية مجلدات عام «١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م» وتعتبر هذه الطبعة من أجود الطبعات وأصحها.

---

(١) جاء معلقًا على هذه الطبعة ما يلي: «وتمتاز هذه الطبعة بفهرس تفصيلي لجميع آيات القرآن الكريم» والصحيح ما أثبتناه.

وقد اعتمد المحققون في هذه الطبعة الجديدة على المخطوطة رقم «١٦٨» والموجودة بمكتبة الأزهر، وهذه المخطوطة لم تشتمل على الزيادات التي ألحقها الحافظ ابن كثير أخيرًا، والتي نقل بعضها عن بعض كتب التفسير كتفسير الزمخشري والرازي والقرطبي، ومن عمل المحققين في هذه الطبعة: أنهم قاموا بالمقارنة بين هذه المخطوطة وبين ما جاء في تفسير الإمام الطبري، حيث يكثر الحافظ ابن كثير النقل عنه، فأحيانًا يثبتون عبارة الطبري منبهين في الحاشية على تصحيح ذلك عن الطبري، وأحيانًا يكتفون بالتنبيه على عبارة الطبري في الحاشية فقط. كما قاموا أيضا ببيان بعض مبهمات الأسماء والأماكن، وبعض الألفاظ، وبيان أماكن كثير من الأحاديث في كتب السنة، وتصحيح بعض ألفاظها أو التنبيه عليه، وقد خلا تحقيقهم هذا من بيان درجة الأحاديث وخصوصا الأحاديث التي لم يشر الحافظ ابن كثير إلى درجتها ولو قاموا بذلك لكان أولى.

ويؤخذ عليهم في هذا العمل أنهم اعتمدوا على مخطوطة الأزهر وحدها وهي ناقصة، وقد كان الواجب عليهم حين أرادوا أن يخرجوا هذا التفسير في طباعة جيدة محققه متقنة أن يضيفوا هذه الزيادات ولو كانت غير موجودة في مخطوطة الأزهر، ما دامت من عمل ابن كثير نفسه، وتوجد فيما عدا هذه المخطوطة من النسخ المطبوعة والمخطوطة، لتجيء هذه الطبعة كاملة غير ناقصة، وليتهم فعلوا ذلك. أما ما أشاروا إليه من أنهم سيستدركون هذه الزيادات بعد الفراغ من طباعة كامل التفسير مع بيان أماكنها، فإن ذلك لا يجدي شيئًا، ولا يسد

هذا النقص، علمًا أن الكتاب قد طبع، وعرض للبيع وهو في هذه الصورة من غير استدراك، وحبذا لو أعاد الإخوة المحققون النظر فيها مرة أخرى وأضافوا إليها هذه الزيادات، حيث إن هذا العمل لن يكلفهم كثيراً، فإن هذه الزيادات لم تتجاوز في الغالب سورة البقرة، ومن الأحسن أن يلحقوا في آخر التفسير كتاب «فضائل القرآن» حيث إن هدف الحافظ ـ رحمه الله ـ عندما قام بتأليفه أن يجعله ذيلا للتفسير.

ثم تداولته المطابع ودور النشر طباعة وتصويرًا على النحو التالي:

١ـ نشرته دار العلم ببيروت بتحقيق خليل الميس في أربعة مجلدات .

٢ـ نشرته دار الكتب العلمية ببيروت بتحقيق حسن زهران في أربعة مجلدات سنة ١٤٠٨هـ.

٣ـ نشرته دار الدعوة بتركيا في أربعة مجلدات .

٤ـ نشرته دار الحديث بمصر سنة ١٤٠٨هـ في أربعة مجلدات .

٥ـ نشرته مكتبة التراث بمصر في أربعة مجلدات .

٦ـ نشره أسعد الحسيني بمصر في أربعة مجلدات .

٧ـ نشرته دار الهلال ببيروت في ستة مجلدات .

٨ـ نشرته مكتبة طيبة بالمدينة في أربعة مجلدات .

٩ـ نشرته دار الريان بمصر سنة ١٤٠٨هـ في أربعة مجلدات .

١٠ـ نشرته مكتبة المنار في الأردن في أربعة مجلدات .

١١ـ نشرته مكتبة إحياء التراث ببيروت في أربعة مجلدات .

١٢ـ نشرته دار الفكر ببيروت في أربعة مجلدات سنة ١٤٠٧هـ.

١٣ـ نشرته أيضا دار الفكر ببيروت سنة ١٤٠٩هـ في أربعة مجلدات .
١٤ـ نشرته دار المعرفة بمصر سنة ١٤٠٩ـ في أربعة مجلدات .
١٥ـ نشرته دار الراية للنشر والتوزيع ـ في الرياض وقد خرج منه ثلاثة أجزا ء الأول والثاني بتحقيق الشيخ مقبل الوادعي، والثالث بتحقيق قاسم النفيعي، وقاسم العديني، ومراجعة الشيخ مقبل الوادعي سنة ١٤١٤هـ.
١٦ـ نشرته المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٤١٣هـ في أربعة مجلدات .
١٧ـ نشرته دار العلوم والحكم بالمدينة سنة ١٤١٣هـ في أربعة مجلدات .
١٨ـ نشرته دار السلام في أربعة مجلدات ١٤١٤هـ.
١٩ـ نشرته دار ابن الجوزي في الدمام بتحقيق أبي إسحاق الحويثيوقد خرج منه مجلدان سنة ١٤١٧ـ ١٤١٨هـ.

ثانيًا: مختصرات تفسير ابن كثير :

أ ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ـ اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر . وقد وعد رحمه الله بالقيام بعملين فيما يخص هذا التفسير الأول : طبعه طباعة علمية محققة متقنة. والثاني: إخراج مختصر منه للقارىء يحفظ عليه مقاصده. قال:

ثم رأيت أن أبدأ بالذي هو أيسر، وأقرب للناس، وهو التفسير المختصر[1]. ولكن أيدي المنون اختطفته قبل أن يتم هذا المختصر،

(١) انظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١: ٧.

وقبل بدايته بتحقيق كامل التفسير، فلم يخرج إلى حيز الوجود من هذا المختصر سوى خمسة أجزاء فقط، من أول التفسير حتى نهاية الكلام على قوله تعالى﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾ سورة الأنفال الآية: (٨):

وقد تم طبع هذه الأجزاء ما بين سنة «١٣٧٦ـ ١٣٧٧هـ» الموافق ١٩٥٦ـ ١٩٥٨» في دار المعارف بمصر.

ب ـ «مختصر تفسير ابن كثير» اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، وقد نشرته «دار القرآن الكريم» مرتين الطبعة الأولى سنة «١٣٩٣هـ» ببيروت والثانية سنة «١٣٩٦هـ» في ألمانيا الغربية، في ثلاث مجلدات وكلتا الطبعتين جيدة.

جـ ـ تيسير العلي القدير ـ لاختصار تفيسر ابن كثير ـ اختصار الشيخ محمد نسيب الرفاعي. طبع في أربعة مجلدات سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

د) مختصر تفسير ابن كثير ـ اختصار الشيخ محمد كريم سعيد راجح، نشر دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

هـ) لباب التفسير من ابن كثير للدكتور عبدالله بن محمد آل الشيخ طبع سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

وأحسن هذه المختصرات وأصحها وأفضلها عمدة التفسير لأحمد شاكر فهو أقرب هذه المختصرات إلى روح تفسير ابن كثير ولفظه ومعناه إضافة إلى ما اشتمل عليه من تحقيقات وتخريجات جيدة ومفيدة.

والذي أنصح به إخواني المسلمين من العلماء وطلبة العلم وغيرهم أن لا يعولوا على شيء من هذه المختصرات وأن يرجعوا إلى أصل التفسير فإنني بعد طول النظر في هذه المختصرات ومقارنتها بتفسير ابن كثير وجدت أنه لا يفي منها واحد عن تفسير الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، ولا ينبغي أن تعتمد في الإحالة إلى كلامه ـ رحمه الله ـ.



الباب الثاني
المصادر التي اعتمد عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره وكيفية استفادته منها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مصادره من كتب التفسير .

الفصل الثاني: مصادره من غير كتب التفسير .

الفصل الأول
مصادره من كتب التفسير

إن المنهج الذي اختاره الحافظ ابن كثير، وسار عليه في تفسيره للقرآن الكريم، والذي سيأتي الإفصاح عنه في الباب الثالث إن شاء الله، من مستلزماته الرجوع إلى تفاسير الأقدمين، خصوصًا التفاسير التي عني أصحابها بجمع شتات الآثار الواردة عن السلف في تفسير القرآن الكريم، إذ إن هذه التفاسير هي الطريق لوصول هذه الآثار إلى من جاء بعد، لهذا نرى الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ رجع إلى كثير من كتب التفسير وأفاد منها، وفيما يلي بيان لأهم هذه التفاسير:

١ـ تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري[١]

يعتبر تفسير الإمام الطبري، هو العمدة الأولى التي اعتمد عليها ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره فقد تأثر به تأثرًا كبيرًا، يراه القارئ واضحًا من خلال قراءته ولو أسطرًا قليلة من تفسيره، فنقل عنه الشيء الكثير في جميع الجوانب التفسيرية التي خاضها كل منهما في تفسيره، بين مكثر ومقل في ذلك، وفيما يلي بيان لأهم هذه الجوانب التي استفاد منها ابن كثير من هذا التفسير:

أولاً: نقل الأحاديث:

وهذا من أكثر الجوانب التي ينقل فيها الحافظ ابن كثير عن تفسير الإمام الطبري عند كثير من الآيات، وقل أن تفتح صفحة من صفحات تفسير القرآن العظيم إلا وتجد فيها نقلاً من ذلك.

ونظرًا لما كان عليه ابن كثير من ثقافة واسعة في الحديث وعلومه فإنا نراه ـ رحمه الله ـ يقف من الأحاديث التي ينقلها عن ابن جرير موقف الناقد البصير، فينبه على الضعيف منها، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[٢]، حيث

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده سنة ٢٢٤هـ، ووفاته سنة ٣١٠هـ، له عدة مصنفات: منها «التاريخ» الحافل المشهور بتاريخ الأمم والملوك، «والتفسير» الكامل الذي لا يوجد له نظير، و«تهذيب الآثار» لكنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات «البداية والنهاية» ١١: ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآيتين: ٢٤٤ـ ٢٢٥.

نقل عنه حديثًا رواه عن علي بن سعيد الكندي، حدثنا على بن مسهر، عن حارثة بن محمد، عن عمرة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين قطيعة رحم ومعصية فبره أن يحنث فيها، ويرجع عن يمينه**» قال ابن كثير: «هذا الحديث ضعيف لأن حارثة هو ابن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن متروك الحديث ضعيف عند الجميع[1]».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[2]، قال: «وأسند ابن جرير ههنا حديثًا فقال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا قال: قال النبي ﷺ: «**لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغى الفرج من عند غير الله**» قال ابن كثير مناقشا لهذا الحديث: «وهذا الحديث ضعيف جدًا لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضًا، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم»[3].

وقد ينقل هذه الأحاديث ثم يناقشها، كما في هذه الأمثلة، وقد

---

(١) «التفسير» ١: ٢٦٦، وانظر «تفسير الطبري» ٤: ٤٤٢، طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق محمود شاكر.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٣) «التفسير» ٢: ٤٧٩، وانظر «تفسير الطبري» ١٢: ٢٢٣، الطبعة الثالثة مطبعة عيسى الحلبي.

يشير إلى ضعفها، دون أن ينقلها، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾[١] حيث قال: «وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعًا مطولاً، وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي ـ رحمه الله ـ بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب»[٢].

أما موقفه من كلام ابن جرير على بعض الأحاديث، فإنه كثيرًا ما يوافقه، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾[٣] نراه يوافق ابن جرير في تضعيف الحديث الذي روي عن ابن عباس وابن عمر: أن المراد بالسجل كاتب للنبي ﷺ وأنه المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، فبعد أن ذكر أن هذا الحديث منكر جدًا، وأنه صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، منهم شيخه أبو الحجاج المزي، وأنه قد أفرد لهذا الحديث جزءًا على حدة، بعد هذا قال: «وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٤ ـ ٨.

(٢) «التفسير» ٣: ٢٥، وانظر «تفسير الطبري» ١٥: ٢٢ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ٣: ٥٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

الحديث ورده أتم رد، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكتّاب النبي ﷺ معروفون، وليس فيهم أحد اسمه السجل». قال ابن كثير: وصدق ـ رحمه الله ـ في ذلك. ثم قال: «وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنمااعتمد على هذا الحديث والله أعلم»(١).

وقد يخالفه، كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾(٢)، حيث ذكر ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله عز وجل إلى امرىء عمره حتى بلغ ستين سنة**»، ثم قال البخاري: «تابعه أبو حازم، وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، وبعد أن ذكر ابن كثير روايات هذا الحديث وطرقه قال: «فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبدالله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت، وقول ابن جرير إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري والله أعلم»(٣).

---

(١) «التفسير» ٣: ٢٠٠، وانظر «تفسير الطبري» ١٧: ٩٩ـ ١٠٠ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ٢: ١٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٣) «التفسير» ٣: ٥٥٩، وانظر «تفسير الطبري» ٢٢: ١٤٢ الطبعة السابقة.

ثانيًا: الآثـــار:

والنقل في هذا الجانب لا يقل عن سابقه في الكثرة، وكما كان موقف ابن كثير من الأحاديث التي ينقلها عن ابن جرير فكذلك موقفه من الآثار، اللهم إلا أنه قد يتساهل تجاه الآثار ما لا يتساهل تجاه الأحاديث، ومن أمثلة مناقشته لبعض الآثار التي ينقلها عن ابن جرير ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[1]، حيث قال في الفصل الذي عقده لذكر خلاف العلماء فيما إذا أرسل كلبًا على صيد فقتله بثقله، ولم يجرحه أو صدمه، هل يحل؟ أم لا؟ على قولين: أحدهما: أن ذلك حلال، وبعد أن ذكر أدلته ومن قال به قال:

«وأما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر، وهذا غريب جدًا وليس يوجد ذلك مصرحا به عنهم، إلا أنه من تصرفه ـ رحمه الله ـ ورضي الله عنه»[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾[3].

قال: «وقول محمد بن قيس أنها إنما ضحكت، من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط، وقول الكلبي أنها ضحكت لما

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) «التفسير» ٢: ٨ـ٩، وانظر «تفسير الطبري» ٩: ٥٦٠ـ ٥٦٣، طبعة دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر.

(٣) سورة هود، الآية: ٧١.

رأت من الروع بإبراهيم ضعفا ووجدا» قال ابن كثير: «وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما فلا يلتفت إلى ذلك والله أعلم»[١].

ثالثًا: اللغة:

والنقل في هذا الجانب كثير جدًا ومن أمثلته ما جاء عند الكلام على سبب تسمية الفاتحة أم الكتاب، حيث قال: «قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمرًا أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع أما، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما، واستشهد بقول ذي الرمة:

على رأسه أم لنا نقتدى بها جماع أمور ليس نعصى[٢] لها أمرا

«يعني الرمح»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[٤] قال: «قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: العرب قد تسمي اليقين ظنا، والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة، والضياء سدفة، والمغيث صارخا، والمستغيث صارخا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده، كما قال دريد بن الصمة:

---

(١) «التفسير» ٢: ٤٥٢، وانظر «تفسير الطبري» ١٥: ٣٩٠ الطبعة السابقة.
(٢) في «تفسير الطبري» (لا نعاصي) ١: ١٠٨ الطبعة السابقة.
(٣) «التفسير» ١: ٩، وانظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٧ـ ٨ـ١ الطبعة السابقة.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

فقلت لهم ظنوا بألْفَي مُدَجَّجٍ   سَراتُهُم في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ

يعني بذلك: تيقنوا بألفي مدجج يأتيكم. وقال عميرة بن طارق:

بأن تَغْتَزوا قومي وأقعد فيكم   وأجعل مني الظن غيبا مرجما

يعني وأجعل مني اليقين غيبا مرجما[١].

رابعًا: القراءات:

وينقل ابن كثير عن الطبري فيها كثيرا ومن أمثلة ذلك:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾[٢]، قال: «قرأه أكثرهم (ولا تُسأل) بضم التاء على الخبر، وفي قراءة أبي بن كعب: (وما تَسأل) وفي قراءة ابن مسعود: (ولن تسأل عن أصحاب الحجيم)» قال ابن كثير بعد هذا: «نقلها ابن جرير»، ثم ذكر ابن كثير القراءة الثانية بفتح التاء (ولا تسأل) على النهي: أي لا تسأل عن حالهم، وذكر أن ابن جرير اختار القراءة الأولى، وناقشه في هذا الاختيار[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾[٤]، ذكر اختلاف القراءة بالوقف هنا،

---

(١) «التفسير» ١: ٨٨، وانظر «تفسير الطبري» ٢: ١٧ـ ١٨ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ١: ٢٧، ١١٦، ٤٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٣) «التفسير» ١: ١٦٢، وانظر «تفسير الطبري» ٢: ٥٥٨ـ ٥٦٠ الطبعة السابقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ونقل عن ابن جرير أنه حكى: أن في قراءة عبدالله بن مسعود (إنْ تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)، وكذا عن أبي ابن كعب ثم قال: «اختار ابن جرير هذا القول»[١].

خامسًا: أسباب النزول:

وهذا كثير أيضًا ومن أمثلته ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ ﴾[٢] حيث قال: «قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته»، ثم قال ابن جرير بعد هذا: «ذكر من قال ذلك» وأورد كثيرًا من الروايات الواردة في هذا، وبعد أن ساق ابن كثير هذه الروايات عن ابن جرير قال: «ثم قال ابن جرير: وقال آخرون: بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي ﷺ ثم قال: ذكر من قال ذلك»

---

(١) «التفسير» ١: ٣٤٧، وانظر «تفسير الطبري» ٦: ٢٠٤ الطبعة السابقة.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٩٧ـ ٩٨.

وذكر الروايات الواردة في هذا عن الشعبي وغيره[١].

سادسًا: الفقه والأحكام:

ومن أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[٢]، حيث قال: «قال ابن جرير: واختلف أهل التأويل فيمن عني في قوله ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم، فقال بعضهم: عني بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم..، وقال آخرون: هم أهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت...، وقال ابن جريج عن عطاء قال: عرفة ومر وعرنة وضجنان والرجيع (ونخلتان)[٣] وعن الزهري يقول: من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع، وفي رواية عنه اليوم أو اليومين» قال ابن كثير: «واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم، ومن كان على مسافة لا تقصر فيها الصلاة، لأن من كان كذلك يعد حاضرًا لا مسافرًا والله أعلم[٤]».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾[٥]، قال: «وقال الإمام أبو جعفر بن جرير ـ رحمه الله ـ: من

---

(١) «التفسير» ١: ١٢٩ـ ١٣٢، وانظر «تفسير الطبري» ٢: ٣٧٧ـ ٣٨٦ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ١: ٦٨ـ ٦٩، ١٣٤، ١٣٦، ٢٧٣ـ ٢٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) زيادة من تفسير الطبري ٤: ١١٢ الطبعة السابقة.

(٤) «التفسير» ١: ٢٣٤ـ ٢٣٥، وانظر «تفسير الطبري» ٤: ١١٠ـ ١١٣ الطبعة السابقة.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ» وبعدأن بين ابن كثير أن رفع هذا الحديث الذي أشار إليه ابن جرير خطأ قال: «ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنهما كرها متروك التسمية نسيانا قال: والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم».

ثم بين ابن كثير هنا قاعدة من القواعد التي سار عليها ابن جرير في حكاية الإجماع فقال: «إلا أن قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد والاثنين مخالفًا لقول الجمهور، فيعده إجماعًا فليعلم هذا والله الموفق»[١].

وهو كثيرًا ما ينقل عنه حكاية الإجماع . ومن هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾[٢]، قال: «قال ابن جرير: وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها، وقبل النظر إلى فرجها بشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾[٤]، قال: «وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال

---

(١) «التفسير» ٢: ١٧٠، وانظر «تفسير الطبري» ١٢: ٨٥ الطبعة السابقة.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.
(٣) «التفسير» ١: ٤٧١، وانظر «تفسير الطبري» ٨: ١٤٨ الطبعة السابقة.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة، قال: وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أمانًا من القتل إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان»[1].

سابعًا: الحكايات والأخبار الإسرائيلية:

وينقل ابن كثير في هذا الجانب الشيء الكثير عن ابن جرير، وموقفه مما ينقله عنه في هذا هوموقفه من الإسرائيليات عموما ـ بما في ذلك المنقول عن ابن جرير وعن غيره من المفسرين ـ في كشف عوارها وبيان خطئها وخطرها في الغالب، فعند تفسير آية الكرسي ذكر ما رواه ابن جرير عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: «**وقع في نفس موسى هل ينام الله**» ؟!! الحديث وسيأتي إن شاء الله بطوله. قال ابن كثير بعد سياقه: «وهذا حديث غريب جدًا والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع والله أعلم»[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[3] قال: «وقد أورد ابن جرير هاهنا، والأموي في مغازيه حديثًا أسنده، وهو ضعيف عن عقبة بن عامر: أن نفرا من اليهود جاؤوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين فأخبرهم فيما جاؤوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به أنه كان

---

(١) «التفسير» ٢: ٤ـ ٥، وانظر «تفسير الطبري ٩: ٤٧٩ الطبعة السابقة.
(٢) «التفسير» ١: ٣٠٨، وانظر «تفسير الطبري» ٥: ٣٩٤ الطبعة السابقة.
(٣) سورة الكهف، الآيتين: ٨٣ـ ٨٤.

شابًا من الروم، وأنه بنى الإسكندرية، وأنه علا به ملك إلى السماء، وذهب به إلى السد، ورأى أقوامًا وجوههم مثل وجوه الكلاب» وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل[١] . .» . كما أن هناك أخبارًا إسرائيلية رواها ابن جرير في تفسيره، واكتفى ابن كثير بالتنبيه عليها فقط، دون نقل لها في تفسيره، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾[٢] ، قال: «وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ها هنا أثرًا طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار، وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[٤]، قال: «وقد روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريبًا، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية، وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة[٥]» .

---

(١) «التفسير» ٣: ١٠٠، وانظر «تفسير الطبري» ١٦: ٨ الطبعة الثالثة مطبعة عيسى الحلبي.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) «التفسير» ٢: ٢٤٥، وانظر «تفسير الطبري» ١٣: ٩١ـ ٩٦ طبعة دار المعارف، تحقيق محمود شاكر.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٥) «التفسير» ٢: ٢٤٨، وانظر «تفسير الطبري» ١٣: ١٢٣ـ ١٢٥ الطبعة السابقة.

وهذا في الكثير الغالب أن ينبه على هذه الإسرائيليات التي ينقلها عن ابن جرير، وعن غيره أيضًا، لكنه قد فاته بعض منها فأورده في تفسيره دون أن يناقشه أو ينبه عليه ومن أمثلة هذا:

ما نقله عن ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[1]. حيث نقل عنه ما رواه «عن ابن عباس قال: كانت عصا موسى عشرة أذرع، ووثبته عشرة أذرع، وطوله عشرة أذرع، فوثب فأصاب كعب عوج فقتله، وكان جسرًا لأهل النيل سنة»[2].

ثامنًا: تفسير القرآن بالقرآن:

وهذا قليل جدًا ومن أمثلته ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[3]، قال: «لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجابا، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، ثم قال: قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾[4]، وهو الأعراف الذي قال الله تعالى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(٢) «التفسير» ٢: ٤٠، وانظر «تفسير الطبري» ١٠: ١٩٩ الطبعة السابقة.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٣.

فيه: ﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ ﴾[(١)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأَخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ﴾[(٢)]، ذكر أن ابن جرير فسر هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾[(٣)].

وقد ناقش ابنُ كثير ابنَ جرير في تفسيره هذه الآية بمعنى هذه الآية حيث قال: «تفسيره الآية الأولي بهذه فيه نظر...»[(٤)].

تاسعًا: ذكر كلامه على بعض الآيات:

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾[(٥)] حيث قال: «وقال ابن جرير: الخاسرون: جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته، يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا

---

(١) «التفسير» ٢: ٢١٦، وانظر «تفسير الطبري» ١٢: ٤٤٩ الطبعة السابقة.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٤.
(٣) سورة هود، الآيتين: ١٥ـ ١٦.
(٤) «التفسير» ٢: ٣٣٥، وانظر «تفسير الطبري» ٩: ٣٠٠ الطبعة السابقة.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

وخسرانًا وخسارا كما قال جرير بن عطية:

إن سليطا في الخسار إنّه أولاد قوم خلقوا أقِنَّة[١]»

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ . . . . .﴾[٢] قال: «قال ابن جرير: (ما ننسخ من آية) ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن نحول الحلال حراماً والحرام حلالاً، والمباح محظورًا والمحظور مباحًا، ولا يكون إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، وأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ»[٣].

وغالبًا ما يشير إلى قوله منفردًا، وقد يدرجه مع مفسري السلف كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[٤].

حيث قال: «قال محمد بن إسحاق وابن جرير والربيع. عن أنس والسدي (قل هو من عند أنفسكم) أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم يعني بذلك: الرماة»[٥].

---

(١) «التفسير» ١: ٦٦، وانظر «تفسير الطبري» ١: ٤١٧ الطبعة السابقة، والقن: هو العبد الذي ملك هو وأبوه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣) «التفسير» ١: ١٤٩، وانظر «تفسير الطبري» ٢: ٤٧١ـ ٤٧٢ الطبعة السابقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٥) «التفسير» ١: ٤٢٥، وانظر «تفسير الطبري»، وانظر «التفسير» ١: ٥٢٤، ٥٣٣، و٢: =

وقد يبين مراد ابن جرير ويحقق قوله ومذهبه، فعند كلامه على غسل الرجلين من آية الوضوء قال: «ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث، وأوجب مسحهما للآية لم يحقق مذهبه في ذلك، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء، لأنهما يليان الأرض والطين وغير ذلك فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فاعتقد من لم يتأمل أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما فحكاه كذلك، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء، وهو معذور فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجه فيه، وإنما أراد الرجل ما ذكرته ثم تأملت كلامه أيضًا فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله (وأرجلكم) خفضًا على المسح وهو الدلك ونصبا على الغسل فأوجبهما أخذًا بالجمع بين هذه وهذه[1].

وقد يعلق على كلامه بالجودة والصحة كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[2] حيث نقل عن ابن جرير كلاما في تفسير هذه الآية، ثم قال بعد سياقه: «وهذا من ابن جرير ـ رحمه الله ـ كلام جيد وعبارة

= ٣٦١، ٤٥٦، ٤٧٢.

(١) «التفسير» ٢: ٢٦، وانظر «تفسير الطبري» ١٠: ٦١ـ ٦٢ الطبعة السابقة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

صحيحة»[١].

وقد يناقشه في بعض المواضع كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾[٢]، حيث قال: «قال ابن جرير وهذه الآية مردودة على قوله: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[٣] قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله فيه نظر، فإنه قد طال الفصل ولا دليل عليه، وإنما الأمر أنه لما أخبر بما صاروا إليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أزاح عللهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾[٤].

عاشرًا: ذكر اختياره:

وهذا كثير جدًا في تفسير ابن كثير، فعندما يحكي أقوال المفسرين يذكر غالبًا اختيار ابن جرير، وترجيحه بين الأقوال، ومن أمثلة ذلك: ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[٥] حيث قال: «قيل معناه: كم من نبي قُتل وقُتل معه ربيون من أصحابه

---

(١) «التفسير» ١: ١٦١، وانظر «تفسير الطبري» ٢: ٥٣١، الطبعة السابقة.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٥. «التفسير» ٢: ٢٢٠، وانظر تفسير الطبري» ١٢: ٤٧٧ الطبعة السابقة.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

كثير؟ قال: وهذا القول هو اختيار ابن جرير»[١].

ويختلف موقف ابن كثير من اختيارات ابن جرير وترجيحاته، فتارة يوافقه في ذلك وتارة يخالفه، وتارة يذكر اختياره فقط دون أن يوافقه أو يخالفه كما تقدم. فمن الأمثلة التي وافقه فيها على اختياره وصوبه في ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[٢]. حيث نقل عنه اختلاف المفسرين في تفسير هذه الآية وقال بعد ذلك: «ثم قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال في الصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى ـ عليه السلام ـ إلا آمن به قبل موت عيسى ـ عليه السلام ـ قال ابن كثير: ولا شك أن هذا الذي قال ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك»[٣].

ومن الأمثلة التي خالف فيها اختياره وناقشه ورد عليه ـ ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[٤]

---

(١) «التفسير» ١: ٤١٠، وانظر تفسير الطبري ٧: ٢٦٤ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ١: ٦٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٣) «التفسير» ١: ٥٥٧، ١: ٣٩ـ ٤٠، وانظر «تفسير الطبري» ٩: ٣٧٩ـ ٣٨٧ الطبعة السابقة.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

، حيث ذكر اختيار ابن جرير أن الذبيح هو إسحاق، وخالفه في هذا، وانتصر ورجح أن الذبيح هو إسماعيل، وقال: «إن هذا هو الصحيح المقطوع به»(١).

الحادي عشر: ذكر مناقشته ورده لبعض الأقوال:

وكثيرًا ما يوافقه في ذلك ومن أمثلته ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، حيث قال: «وقد قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ يعني إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(٣)، ثم قال: «قال ابن جرير: وهذا لا وجه له، لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾(٤)، قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر (وفي هذا) يعني القرآن، وكذا قال غيره، قال ابن كثير: وهذا هو الصواب..(٥).

وقد يخالفه في كلامه على بعض الأقوال فعند تفسير قوله تعالى:

---

(١) «التفسير» ٤: ١٧ـ ١٨، وانظر «تفسير الطبري» ٢٣: ٨٥ـ ٨٦ الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الحلبي، وانظر «التفسير» ١: ١٦١، ٣: ٣٩٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٥) «التفسير» ٣: ٢٣٦، وانظر «تفسير الطبري» ١٧: ٢٠٧ـ ٢٠٨ الطبعة السابقة، وانظر «التفسير» ٢: ٦٥.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[(١)]، نقل عن ابن جرير قوله: «وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمته وأياديه، قال: ثم شرع ابن جرير في رد ذلك بما حاصله: أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر، وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: الحمد لله شكرًا» قال ابن كثير: «وهذا الذي ادعاه ابن جرير، فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة　　يدي ولساني والضمير المحجبا[(٢)]

الثاني عشر: نقل توجيه ابن جرير لبعض الأقوال أوجمعه بينها:

وقد ينقل توجيهه لبعض الأقوال أو جمعه بينها، فمن الأول ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣ ﴾[(٣)]، حيث نقل عن ابن

(١) مطلع سورة الفاتحة.

(٢) «التفسير» ١: ٢٢، وانظر «تفسير الطبري» ١: ١٣٧ـ ١٣٨ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق محمود شاكر، وانظر «التفسير» ٣: ٤٠١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

جرير الأقوال في تفسير قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾.

القول الأول: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم . . .».

«**والقول الثاني**: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم - أي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم. . .»، ثم ذكر ما هو معروف عند الجمهور: أن المشركين بين التسعمائة والألف، ثم قال: «وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم، ثم قال: لكن وجَّه ابن جرير هذا وجعله صحيحًا، كما تقول عندي ألف وأنا محتاج إلى مثليها، وتكون محتاجًا إلى ثلاثة آلاف. كذا قال وعلى هذا فلا إشكال»(١).

ومن الثاني وهو الجمع بين الأقوال ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾(٢)، فبعد أن ذكر أقوال المفسرين في معنى الحفدة قال: «قال ابن جرير: وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى الحفدة الخدمة الذي منه قوله في القنوت وإليك نسعى ونحفد»(٣).

الثالث عشر: نقل موقف ابن جرير من الخلاف الذي لا ثمرة له:

كما نقل عنه في أكثر من موضع موقفه من الخلاف الذي لا ثمرة

---

(١) «التفسير» ١: ٣٥٠، وانظر «تفسير الطبري» ٦: ٢٣٣- ٢٣٠ الطبعة السابقة.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) «التفسير» ٢: ٥٧٧- ٥٧٨، وانظر «تفسير الطبري» ١٤: ١٤٣- ١٤٧ الطبعة السابقة.

له، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[1]، حيث أورد ابن كثير عدة أقوال للمفسرين في المراد بهذه الشجرة ثم قال: «قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جرير - رحمه الله - والصواب في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، وقد قيل كانت شجرة البر، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم. قال ابن كثير: وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب»[2].

أمور تتضح من خلال نقول الحافظ ابن كثير عن تفسير ابن جرير الطبري:

ومن خلال ما تقدم تتضح أمانة الحافظ ابن كثير في نسبة هذه النقول مع كثرتها إلى مصدرها «تفسير ابن جرير» غير أنه قد فاته بعض الشيء خصوصًا فيما يتعلق بالآثار فنقل عنه بعضًا منها دون أن ينبه على ذلك، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾[3]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٢) «التفسير» ١: ٧٩- ٨٠، وانظر «تفسير الطبري» ١: ٥٢٠- ٥٢١ الطبعة السابقة.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.

حيث نقل عنه بعض الآثار عن مجاهد وقتادة والسدي وعكرمة في تفسير هذه الآية ولم ينبه على ذلك[١]. وكذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾[٢] [٣]. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[٤] [٥]. وغير ذلك.

ومثل هذه الآثار يغلب أن ابن كثير نقلا من تفسير الطبري ولا يمتنع أن يكون نقلها من غيره.

كما يتضح لنا مدى اعتماد الحافظ ـ رحمه الله ـ على تفسير الإمام الطبري واستفادته منه وتأثره بطريقته، وهذا بلا شك يدل على المنزلة الرفيعة والمكانة العالية العظيمة لتفسير ابن جرير في نظر الحافظ ابن كثير، وليس هذا بغريب، فقد شهد جمهور السلف والخلف من المفسرين وغيرهم على أن تفسير الإمام الطبري الوحيد من نوعه بين التفاسير وأنه العمدة والمرجع الأول في التفسير بالمأثور، قال النووي[٦]: «أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير

---

(١) انظر «التفسير» ٢: ١٦٨، وقارن بما جاء في «تفسير الطبري» ١٢: ٧٢ـ ٧٤، الطبعة السابقة.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٣) انظر «التفسير» ٢: ٣٨٥، و«تفسير الطبري» ١١: ١٠ـ ١١ الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الحلبي.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٥) انظر «التفسير» ٣: ٥٣٨، و«تفسير الطبري» ٢٢: ٩٣ـ ٩٤ الطبعة السابقة.

(٦) يحيى بن شرف الدين بن مري الحوراني، ولد سنة ٦٣١هـ، وله عدة مؤلفات منها شرح «صحيح مسلم»، و«الأذكار» وغير ذلك، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر «الأعلام» ٩: =

الطبري»[١].

واتضح لنا أيضا أن الحافظ ابن كثير يقف من هذه النقول مع كثرتها موقف الناقد البصير فيقبل منها ما يراه صوابًا ويرد ما عدا ذلك.

وكذلك اتضح لنا أن ابن كثير وإن أكثر النقل عن تفسير الطبري فإن له طريقته الخاصة وأسلوبه المتميز، ولعل من المناسب ذكر أهم الأمور التي توضح اختلاف طريقة كل منهما في عرضه وكتابته وفي أسلوبه، وفيما يلي بيان ذلك.

أهم الأمور التي توضح اختلاف طريقة ابن كثير في عرضه وكتابته وأسلوبه عن الطبري:

أولاً: بينما كان الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ لا يعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول من مصادر التفسير نجد الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ اعتمد هذا المصدر واهتم به اهتمامًا كبيرًا ففسر القرآن بالقرآن أولاً ما وجد إلى ذلك سبيلا.

ثانيًا: بينما كان الإمام الطبري يورد بعض الأحاديث الضعيفة بدون مناقشة لها أو تضعيف في الغالب[٢] نجد الحافظ ابن كثير يقلل من ذكر الأحاديث الضعيفة، ويناقشها ويبين ضعفها في كثير من المواضع.

= ١٨٤ـ ١٨٥.

(١) «الإتقان» ٢: ١٩٠.

(٢) لأنه يرى أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة حالهم من العدالة والجرح فيكون بهذا قد خرج من العهدة.

ثالثًا: بينما كان الإمام الطبري يكثر من ذكر الأسانيد في تفسير الآية، وينقلها على كثرتها بطولها كان الحافظ ابن كثير يختصر في ذكره لهذه الأسانيد، ويكتفي بذكر مصادرها وأسماء من رويت عنهم كعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وهذا فيما يختص في بالآثار.

رابعًا: بينما كان الإمام الطبري يذكر أسانيده من غير نقد لها، ولا تعريف بأحوال رجالها في الغالب كان الحافظ ابن كثير يناقش هذه الأسانيد، ويكشف النقاب عن أحوال الرواة مستشهدًا بما يقوله علماء الجرح والتعديل في ضبطهم ونسيانهم وفي ضعفهم وعدالتهم.

خامسًا: بينما كان الإمام الطبري يرجح ما يراه من أقوال الأئمة في التفسير من غير اعتماد على تخريج الأحاديث وطرقها غالبًا كان الحافظ ابن كثير يقيم اختياره على هذه الدعامة منبهًا على المقطوع والموقوف والغريب والمرسل وغيرها.

سادسًا: بينما كان الإمام الطبري يذكر الكثير من الإسرائيليات، ولا يتعقبها في الغالب، كان الحافظ ابن كثير يقلل منها، ويتعقبها في الغالب بالتنبيه عليها وبيان ضعفها وتوهينها.

سابعًا: بينما كان الإمام الطبري يكثر المناقشات والاستفسارات، ويورد على نفسه الإشكالات، ويجيب عنها، نرى الحافظ ابن كثير وإن أورد هذه المناقشات في تفسيره فهوأقل بكثير من ابن جرير مما يوضح للقارىء في هذين التفسيرين تباينًا في طريقة عرض كل منهما وكتابته.

ثامنًا: بينما كان أسلوب الإمام الطبري رفيعًا ممتنعًا بحيث إنه قد يستعصي فهم بعض عباراته وكلامه حتى على أوساط الناس، وبعض متعلميهم كان أسلوب الحافظ ابن كثير سهلاً ميسرًا في نظر العامة والخاصة على السواء.

ولعل في هذه الفروق ما يوضح اختلاف طريقة كل منهما في تفسيره وما يكون ردًا على ما قد يتوهم من أن تفسير الحافظ ابن كثير يعد اختصارًا لتفسيرابن جرير، يضاف إلى ما تقدم في الرد على هذا أن الحافظ نقل في تفسيره الشيء الكثير عن غير الطبري من المفسرين كابن أبي حاتم، وابن مردويه، والقرطبي، والرازي، والزمخشري، والبغوي وغيرهم. كمانقل عن كثير من كتب الحديث، كالكتب الستة وكثير من المسانيد والصحاح والسنن، كمانقل عن كثير من الكتب في سائر الفنون في علوم القرآن وعلوم الحديث وكتب اللغة والعقائد والأحكام والتاريخ والأدب وغير ذلك مما يزيد على مائة مرجع وغالبها مماجاء بعد ابن جرير، يضاف إلى هذا أن هناك كثيرًا من الآيات لم ينقل الحافظ في الكلام عليها شيئًا عن ابن جرير(١).

والحق يقال في هذا أن ابن كثير لم ينقل عن أحد من المفسرين كنقله عن ابن جرير لا كما ولا كيفا، وإذا كنانعلم بطبيعة الحال أن كل مفسر للقرآن بالمأثور لابد أن يعتمد على النقل عمن سبقه من المفسرين، حيث إنهم الطريق لوصول هذه الآثار إلى من بعدهم، وإذا كان ابن

---

(١) انظر: مثلاً «التفسير» ٢: ٤١٥-٤٢٤.

جرير هو عمدة المفسرين بالمأثور، فهذا وذاك يفرض على ابن كثير وغيره ممن يتحرون الدقة فيما ينقلون، ويبحثون عن الصحيح فيما يروون، أن ينقلوا عن ابن جرير حيث هو العمدة في هذا، وهذا تقتضيه طبيعة التفسير بالمأثور، حيث لا يمكن أن يكتب أحد تفسيرًا للقرآن بالمأثور دون الرجوع إلى تفاسير من سبقه من المفسرين، وخصوصًا تفسير ابن جرير، بل إن التفسير بالرأي في حاجة إلى ذلك أيضا.

٢ـ تفسير ابن أبي حاتم[1]

يأتي تفسير ابن أبي حاتم بالمرتبة الثانية بعد تفسير الطبري بين التفاسير التي اعتمد عليها ابن كثير، وغالبًا ما يقرن بينهما في نقله للكثير من الأحاديث والآثار وبعض الأخبار الإسرائيلية[2]، وفيما يلي بيان لأهم الجوانب التي فيها نقل ابن كثير عن هذا التفسير.

أولاً: نقل كثيرٍ من الأحاديث:

وقد ناقش الحافظ ابن كثير ما ينقله عنه من أحاديث فبين الضعيف منها والغريب ونحو ذلك.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[3].

قال: «ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده، لأنه من

---

(١) هو أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، توفي سنة ٣٢٧هـ، وله كتاب «الجرح والتعديل» وكتاب «العلل» وكتاب «التفسير» الذي ينقل عنه الحافظ ابن كثير، وقد وصفه الحافظ ابن كثير بقوله: (وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين إلى زماننا «البداية والنهاية» ١١: ١٩١. وقد طبع هذا التفسير في الهند في أربعة مجلدات وعامته آثار مسندة/ انظر تقديم عبدالوهاب عبداللطيف لتفسير الحافظ ابن كثير، نشر مكتبة النهضة الحديثة سنة «١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م» كما تمت طباعته سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م في عشرة مجلدات بتحقيق أسعد محمد الطيب نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة ـ الرياض.

(٢) انظر مثلا «التفسير» ١: ١٧ـ ١٨، ٢٣٠، وكذا ٣: ٤٩١.

(٣) سورة ص، الآيات: ٢١ـ ٢٥.

رواية يزيد الرقاشي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[٢]، أورد حديثاً: «رواه ابن أبي حاتم عن رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها، وبيني وبينها حجاب، فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة؟ فقالت نعم، لقد سألته عن هذا، وأنا وهو في شعار واحد قال: (نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي ـ أو قال يوحى ـ وعند الجسر حين يستحد ويستحر) الحديث، قال ابن كثير بعد سياقه: هذا حديث غريب جدًا وفيه ألفاظ منكر رفعها، وفي الإسناد من لم يُسَمَّ، ومثله لا يحتج به والله أعلم[٣].

ثانيًا: الآثار:

ويكثر الحافظ النقل فيها[٤] وقد ناقش كثيرًا من هذه الآثار من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) «التفسير» ٤: ٣١. وانظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٢٣٩/١٠ الحديث ٨٣٤٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤١.

(٣) «التفسير» ٤: ٢٧٥.

(٤) انظر «التفسير» ١: ٢١، ٢٤، ٥٧، ١٦٨ و٢: ٤٨١ وغير ذلك.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾[(١)] قال: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق، فمات فنزلت فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ الخ القصة. قال ابن كثير: وهذا الأثر غريب جدًا فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدني، فلعله أراد أنها تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سبب النزول[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾[(٣)]، قال: «قال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود، قال أبو العالية: وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم، وأنهم يملكون به الأرض، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ آمرًا له أن يستعيذ من فتنة الدجال، ولهذا قال عز وجل: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ قال ابن كثير: وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله سبحانه وتعالى أعلم[(٤)].

كما أشار في بعض المواضع أنه ضرب صفحًا عن بعض الآثار الغريبة والتي رواها ابن أبي حاتم وابن جرير لعدم صحتها[(٥)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.
(٢) «التفسير» ١: ٥٤٣ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/ ١٥٠ـ الأثر٥٨٨٨.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥٦.
(٤) «التفسير» ٤: ٨٤ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠/٣٢٦٨ الأثرين ١٨٤٤٠، ١٨٤٤١..
(٥) انظر «التفسير» ١: ٥٢٩، ٣: ٤٩١.

ثالثًا: الأخبار الإسرائيلية:

وكثيرًا ما ينقل ابن كثير في هذا عن ابن أبي حاتم وينقد هذه الأخبار في أكثر المواضع، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، قال: «وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام الرازي، حدثنا ابن المبارك، عن معروف يعني: ابن خربوذ المكي، عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب، فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم، وما كان فيه من الأمور فأسر ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا من أعوانه فلما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قالا ذلك استطالة على الملائكة، قال ابن كثير: «وهذا أثر غريب، وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارة توجب رده والله أعلم . . . ثم قال: وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال: حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيدالله حدثنا عبدالله بن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أبي يقول: إن الملائكة الذين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

فأحرقتهم» قال ابن كثير: «وهذا أيضا إسرائيلي منكر كالذي قبله والله أعلم»[١].

وقد يذكر شيئًا من كلامه عند تفسير بعض الآيات، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٢]، قال: «قال السدي: ﴿ما ننسخ من آية﴾ نسخها قبضها، قال: وقال ابن أبي حاتم: يعني قبضها رفعها»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[٤] نقل عنه حكايته إجماع المفسرين على أن المراد بالمغضوب عليهم اليهود، وأن الضالين هم النصارى حيث قال ابن أبي حاتم: «ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا»[٥].

والنقل في هذا عن ابن أبي حاتم قليل جدًا.

---

(١) «التفسير» ١: ٧١ وانظر «تفسير القرآن العظيم »لابن أبي حاتم ١/ ٧٨ الأثرين ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣) «التفسير» ١: ١٤٩ وانظر «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم ١/ ٣١.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٥) «التفسير» ١: ٣٠ وانظر «القرآن العظيم» لابن أبي حاتم ١/ ٣١.

٣ـ تفسير الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه[(١)]

ويكثر ابن كثير نقل الأحاديث عنه مع مناقشته لها في الغالب ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[(٢)]، حيث أورد ما روى البخاري عن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**» وبعد أن أشار إلى رواية الجماعة له إلا أبا داود، وأورد كلام بعضهم عليه قال: وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر عن أبي هريرة فقال: حدثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري.. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**» قال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وطلحة ابن عبدالرحمن هذا السلمي الواسطي يكنى بأبي محمد، وقيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها»[(٣)].

وعند ذكر الأحاديث في فضل آية الكرسي قال: «قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن محرز... عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول**

---

(١) الحافظ الكبير العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، ولد سنة ٣٢٣هـ، وتوفي سنة ٤١٠هـ، صاحب التفسير العظيم الذي ينقل منه الحافظ ابن كثير، و«التاريخ» و«المستخرج على البخاري». طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٣) «التفسير» ١: ٩٥.

الجنة إلا أن يموت» » ثم قال ابن كثير: «وقد روى ابن مردويه من حديث علي والمغيرة بن شعبة وجابر بن عبدالله نحو هذا الحديث ولكن في إسناد كل منهما ضعف» ثم قال: «وقال ابن مردويه أيضا: حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري . . عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة، فإنه من يقرؤها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين، ولسان الذاكرين، وثواب النبيين، وأعمال الصديقين، ولا يواظب على ذلك إلا نبي، أو صديق أو عبد امتحنت قلبه للإيمان، أو أريد أن أقتله في سبيل الله**) قال ابن كثير: وهذا حديث منكر جدًّا»[١].

كما نبه على سرده لكثير من طرق الحديث وألفاظه في أكثر من موضع في تفسيره، فعند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢]. قال: «وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه، وكذا ابن جرير، ولنحرره في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٤]، بعدما أورد بعض روايات حديث العرنيين قال: «وقد رواه ابن مردويه

---

(١) «التفسير» ٢: ٥٤٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٣) «التفسير» ١: ٥٤٩.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

من طرق كثيرة عن أنس بن مالك» ثم ساق بعض رواياته عن ابن مردويه وغيره ثم قال: «وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة غير واحد وقد اعتنى الحافظ الجليل أبوبكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة ـ فرحمه الله وأثابه ـ»[١].

وقد يكتفي في بعض المواضع بالإشارة فقط إلى بعض الأحاديث التي ذكرها ابن مردويه في تفسير بعض الآيات[٢].

---

(١) «التفسير» ٢: ٤٨ـ ٥٠.

(٢) انظر «التفسير» ٢: ١٥٧، ٤: ٥٤٣.

٤ ـ تفسير البغوي[١] «معالم التنزيل»

وغالب ما ينقله الحافظ ابن كثير عنه في النصف الأخير من التفسير ومن أهم الجوانب التي استفاد منه فيها ما يلي:

أولاً: نقل بعض الأحاديث:

مع المناقشة لها وبيان الضعيف منها ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[٢]، حيث أورد ما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ماألما**».

قال ابن كثير: «ساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل قال: وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعًا نظر»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾[٤]، قال: «قال البغوي في تفسيره أخبرناأحمد بن إبراهيم الشريحي . . .

---

(١) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء، اللغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر، الملقب «محيي السنة» له عدة مؤلفات، منها التفسير المسمى «معالم التنزيل» و«المصابيح» و«الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك، توفي سنة «٥١٠»هـ. انظر «طبقات المفسرين» للسيوطي ص١٣ و«وفيات الأعيان» ١ : ١٤٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٣) «التفسير» ٤ : ٢٥٦، وانظر معالم التنزيل ٧ : ٢٥٨، ٨ : ١١٥ في طبعته الأولى مع «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير في مطبعة المنار سنة ١٣٤٧هـ.

(٤) سورة عبس، الآية: ٣٧.

عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس حفاة عراة غرلاً وقد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان**» فقلت: واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال: «**قد شغل الناس لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه**»، قال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه جدًا»[١].

ثانيًا: الآثار:

ومن ذلك ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[٢]، قال: «وقال أبو محمد البغوي في تفسيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾[٤]، قال: «وعن سعيد بن جبير: الشاهد الله وتلا: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[٥]، والمشهود نحن، حكاه البغوي»[٦].

وقد يناقش بعض هذه الآثار ويبين أن فيها نظرًا كما جاء عند تفسير

---

(١) «التفسير» ٤: ٤٧٤، وانظر «معالم التنزيل» ٩: ١١٧ـ ١١٨.
(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ـ ١٨٢.
(٣) «التفسير» ٤: ٢٥، وانظر «معالم التنزيل» ٧: ١٧٦.
(٤) سورة البروج، الآية: ٣.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.
(٦) «التفسير» ٤: ٤٩٢، وانظر «معالم التنزيل» ٩:١٥٩.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[١]، حيث قال: «وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم»[٢].

ثالثاً: القراءات وأسباب النزول:

وقد ينقل عنه في القراءات، وفي أسباب النزول فمن الأول ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾[٣] قال: «وقال البغوي: قرأ يعقوب: (ليُعلم) بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا»[٤].

ومن الثاني ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾[٥]، قال: «وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل: أنهما قالا: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾[٦]».

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١١ـ ١٣.
(٢) «التفسير» ٤ : ٢٥، وانظر «معالم التنزيل» ٨ : ١٠٠.
(٣) سورة الجن، الآية: ٢٨.
(٤) «التفسير» ٤ : ٤٣٣، وانظر «معالم التنزيل» ٩ : ٢٢ـ ٢٣.
(٥) سورة الإنفطار، الآية: ٦.
(٦) «التفسير» ٤ : ٤٨١، وانظر «معالم التنزيل» ٩ : ١٣٣.

رابعًا: الأخبار الإسرائيلية:

وقد ينقل عنه بعض الأخبار الإسرائيلية كما جاء عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ن﴾[١]، فقد نقل عنه ما قيل من أن المراد بنون حوت عظيم. . .»[٢].

وعند الكلام على قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾[٣]، نقل عنه ما قيل أنها أيام العجوز لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سربًا فقتلتها الريح في اليوم الثامن»[٤].

خامسًا: نقل تفسير البغوي لبعض الآيات:

وقد ذكر شيئًا من تفسيره لبعض الآيات، كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣﴾[٥]، حيث قال: «قال البغوي: الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها»[٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[٧]قال: «قال البغوي:

---

(٢) سورة القلم، الآية: ١.

(٣) انظر «التفسير» ٤: ٤٠٠، و«معالم التفسير» ٨: ٤٣٣ـ ٤٣٥.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٧.

(٥) انظر «التفسير» ٤: ٤١٢، و«معالم التنزيل» ٨: ٤٦٢.

(٦) سورة عبس، الآية: ٣٣.

(٧) «التفسير» ٤: ٤٧٣، و«معالم التنزيل» ٩: ١١٦.

(٨) سورة الشورى، الآية: ١١.

انظر «التفسير» ٤: ٤٠٠، و«معالم التفسير» ٨: ٤٣٣ـ ٤٣٥.

يذرؤكم فيه أي في الرحم، وقيل في البطن، وقيل في هذا الوجه من الخلقة»[١].

سادسًا: ذكر اختيار البغوي:

وقد يذكر اختياره كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾[٢]، حيث أورد ما روي عن سعيد بن جبير في تفسير هذه الآية ثم قال: «وهذا القول هو اختيار البغوي»[٣].

---

(١) «التفسير» ٤: ١٠٨، و«معالم التنزيل» ٧: ٣٥٦.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) «التفسير» ٣: ٥٦٥، و«معالم التنزيل» ٧: ٨٣، وانظر «التفسير» ٤: ٧٩.

٥ ـ تفسير الزمخشري[١]«الكشاف»

من أهم الجوانب التي استفاد فيها الحافظ ابن كثير من هذا التفسير ما يلي :

أولاً : اللغة :

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[٢]، قال: «قال الزمخشري: (ذلك) إشارة إلى (ألم) كما قال تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾[٤]، قال: «قال: الزمخشري: وفي مصحف ابن مسعود ﴿ولا تكتمون الحق﴾ أي في حالة كتمانكم الحق ﴿وأنتم تعلمون﴾ حال أيضا ومعناه: وأنتم تعلمون الحق»[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٦]، قال: «قال: الزمخشري: خبر بمعنى الطلب، وهو آكد،

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد سنة ٤٦٧هـ، وله عدة مؤلفات منها التفسير الجليل «الكشاف» ومنها «أساس البلاغة» و«الفائق» و«المفصل». وغير ذلك توفي سنة ٥٣٨هـ، انظر «وفيات الأعيان» ٢: ٥٠٢ـ ٥١٣، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢. ، «التفسير»: ١: ٣٩، وانظر «الكشاف» ١: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٥) «التفسير» ١: ٨٤، وانظر «الكشاف» ١: ١٣٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

وقيل كان أصله (ألا تعبدوا إلا الله) كما قرأها من قرأها من السلف فحذفت أن فارتفع»[١].

ثانيًا: القراءات:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[٢]، بعد أن ذكر قراءة الجمهور (غير) بالجر على النعت قال: «قال الزمخشري: وقرىء بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]، قال: «وقرىء في الشاذ (إني جاعل في الأرض خليقة)[٥] حكاها الزمخشري وغيره»[٦].

ثالثًا: الآثار:

ومن أمثلة هذا وإن كان قليلاً ما جاء عند كلامه على ذكر أسماء الفاتحة حيث قال: «يقال لها سورة الصلاة والكنز» ثم قال بعد هذا:

---

(١) «التفسير» ١: ١١٩، وانظر «الكشاف» ١: ١٥٩.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٣) «التفسير» ١: ٢٨ـ ٢٩، وانظر «الكشاف» ١: ١٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٥) بالقاف.
(٦) «التفسير» ١: ٦٩، وانظر «الكشاف» ١: ١٢٤، وانظر التفسير ١: ١١، ١١٩، ١٥٩.

«ذكرهما الزمخشري في كشافه»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾[٢]، قال: «وقال الزمشخري: وعن الحسن أنه لم يأمره بأن يضرب حجرًا بعينه، قال الحسن: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة»[٣].

رابعًا: تفسيره وكلامه على بعض الآيات:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾[٤]، بعد أن ذكر الأقوال في المراد بالعهد في الآية، وفي بيان الذين أخذ عليهم الميثاق في الآية، وأن الذين أخذ عليهم العهد جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده إليهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به رسله من المعجزات إلى أن قال: وهو حسن، وإليه مال الزمخشري، فإنه قال: فإن قلتم فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[٥]، إذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ

---

(١) التفسير ١: ٨، وانظر «الكشاف» ١/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.
(٣) «التفسير» ١: ١٠٠، وانظر «الكشاف» ١: ١٤٤، وانظر «التفسير» ٣: ٣٩٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[(١)(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[(٣)] ـ قال: «قال: الزمخشري في الكشاف: الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر»[(٤)].

خامسًا: مناقشة الحافظ ابن كثير للزمخشري في اعتزالياته:

وقد يناقشه في اعتزالياته كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[(٥)] فبعد أن ذكر عن ابن جرير أنه روى عن بعضهم: «أن معنى قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق، كما يقال إن فلانا أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا، وهذا لا يصح، لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم»، قال ابن كثير بعد هذا: «قلت: وقد أطنب الزمخشري في تقرير ما رده ابن جرير ههنا، وتأول الآية من خمسة أوجه كلها ضعيفة جدًا، وما جرأه على ذلك إلا اعتزاله، لأن الختم على قلوبهم ومنعها

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) «التفسير» ١: ٦٦، وانظر «الكشاف» ١: ١٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٤) «التفسير» ١: ١٨٧، «الكشاف» ١: ١٩٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٧.

من وصول الحق إليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده، ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[١] وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾[٢].. وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقا على تماديهم في الباطل، وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط بهذا لما قال ما قال والله أعلم»[٣].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
(٣) «التفسير» ١: ٤٦، وانظر «الكشاف» ١: ٤٩ ومابعدها.

٦ـ تفسير ابن عطيه[١]

النقل من تفسير ابن عطية قليل جدًا في تفسير ابن كثير ومن أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير البسملة حيث حكى عنه أنه نفى ورود قراءة حكيت عن بعضهم فقال: «وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون: «بسم الله الرحمن الرحيمَ الْحمد لله رب العالمين»، فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قرىء قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، قال ابن عطية: ولم ترو هذه قراءة عن أحد فيما علمت»[٣].

كما نقل عنه حكايته إجماع المفسرين على أن المراد بالسلوى طير، ورده على من زعم أنه العسل، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[٤] حيث قال: «قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل وأنشد في ذلك مستشهدًا:

---

(١) هو القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ولد سنة «٤٨١»، وتوفي سنة ٥٤٦هـ وقبل سنة «٥٤١هـ» وقيل غير ذلك وقد اختلف في ذكر نسبه، وفي وفاته،وله عدة مؤلفات منها التفسير المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ، وهو من أجل كتب التفسير وأكثرها عناية باللغة والقراءات ومناقشة الأقوال، طبع بتحقيق المجلس العلمي بفاس في المغرب سنة ١٤٠٣هـ. انظر «البحر المحيط» ١ : ٩ ، «الديباج المذهب في أعيان المذهب» ص١٧٤ ، «بغية الوعاة في طبقات النحاة» للسيوطي ص٢٩٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيتين: ١ـ ٢.

(٣) «التفسير» ١ : ٢١ ، وانظر «تفسيرابن عطية» ١ : ٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

وقاسمها بالله جهدًا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما أشورها

قال فظن أن للسلوى عسلاً[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾[٢]، قال: «الباء سببية أي فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم» ثم قال: «حكاه ابن عطية ـ رحمه الله ـ وهو متجه حسن»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾[٤] ذكر رده لقول حكاه ابن جرير ووافقه في ذلك فقال: «وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريبًا لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون وأفاكون ووضاعون وزنادقة»[٥].

---

(١) «التفسير» ١ : ٩٧، وانظر «تفسير ابن عطية» ١ : ٢٢٨ـ ٢٢٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.
(٣) «التفسير» ٢ : ٢٣٥. وانظر «تفسيرابن عطية» ٧ : ١٢٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٥) «التفسير» ٢ : ٢٤٨. وانظر «تفسير ابن عطية» ٧: ١٦٧.

٧ ـ تفسير الرازي[١]

نقل الحافظ ابن كثير عن تفسير الرازي في النصف الأول من الجزء الأول من التفسير، ومن أهم الجوانب التي نقل عنه فيها :

أولاً: علم الكلام:

فعند الكلام على فضل البسملة قال: «وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال، أحدها أن الاسم هو المسمى وهو قول أبي عبيدة وسيبويه واختاره الباقلاني وابن فورك ثم قال: «وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره: قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية، والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية . .» إلخ[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٣] نقل عنه كلامًا طويلاً في علم الكلام حول السحر والخلاف في حقيقته ووقوعه

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد الفقيه الشافعي، ولد سنة ٥٤٤، وقيل سنة ٥٤٣هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ، قال ابن كثير: «له أكثر من مائتي مصنف» ومن أجل مؤلفاته التفسير المسمى «مفاتيح الغيب» وقد أطال فيه بالمباحث الكلامية والفلسفية والعلوم الفلكية والطبيعية والكونية. انظر «البداية والنهاية» ١٣ : ٥٥، و«معجم المؤلفين» ١١ : ٧٩، «عيون الأنباء» ٢ : ٩٣.

(٢) «التفسير» ١ : ١٨ـ ١٩، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ١ : ١٠٨ـ ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

وفي أقسامه الثمانية وغير ذلك[١].

ثانيًا: الآثار:

ومن أمثلة هذا ما جاء عند الكلام على الاستعاذة، ومتى تكون، حيث ذكر ما ذهبت إليه طائفة من أن الاستعاذة بعد القراءة، وبعد أن ذكر بعض من ذهب إليه قال: «ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال: وهو قول إبراهيم النخعي وداود ابن علي الأصبهاني الظاهري» كما نقل عنه ما حكاه ابن العربي: «أن الاستعاذة تكون أولاً وآخرًا جمعًا بين الدليلين»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] قال: «وحكى الرازي ثلاثة أقوال أحدها: أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى، بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها» والثاني « أن المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم » والثالث «أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن»[٤].

ثالثًا: اللغة:

ومن أمثلة هذا ما نقله عند الكلام على لفظ الجلالة بعدما ذكر قولاً

---

(١) «التفسير» ١: ١٤٤ـ ١٤٨، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٣: ٢٠٥ فما بعدها، وانظر «التفسير» ١: ٢٦.

(٢) «التفسير» ١: ١٣، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ١: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٦.

(٤) «التفسير» ١: ١٠٧، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٣: ١١٢.

حكاه القرطبي في أنه مشتق من(وَلِه) إذا تحير . . قال: «وقد قال الرازي: وقيل: إنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه . . وقيل: من لاه يلوه إذا احتجب، وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه والمعنى أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال، وقيل: مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره والمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه»، ثم قال بعد ذلك: «وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة قال: «وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء» قال ابن كثير: «ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها أنه لو كان مشتقًا لاشترك في معناه كثيرون، ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له . .[(١)]» .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[(٢)] نقل عنه قوله: «والتشبيه ههنا في غاية الصحة، لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نورًا ثم بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين»[(٣)] .

وقد يناقشه ويرد عليه في هذا الجانب كما جاء في التنبيه الذي عقده بعد نهاية الكلام على قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[(٤)] [(٥)] .

---

(١) «التفسير» ١: ١٩-٢٠، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ١: ١٥٦-١٦١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧ .
(٣) «التفسير» ١: ٥٣، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٢: ٧٣ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣ .
(٥) «التفسير» ١: ٦٢، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٢: ١١٧-١١٨ .

رابعًا: ذكر اختياره:

ومن أمثلته ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ قال: «يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري والزمخشري والرازي ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين» ثم ذكر بعد هذا بعض الوجوه التي رجح بها الرازي هذا القول[١].

وهو في هذا تارة يوافقه في اختياره وما ذهب إليه كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[٢]، حيث ذكر ما روي عن السلف في المراد بهذه الشجرة، ثم ذكر تصويب ابن جرير للقول الحق في هذا، وهو الإبهام، وأنه لا علم لنا على التعيين بأي شجرة كانت، ثم قال: «وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره، وهو الصواب»[٣].

وقد يخالفه كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[٤]، قال بعد ذكره أقوال السلف في المراد بالصابئين: «واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب، بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض أمر

---

(١) «التفسير» ١: ٥٩ـ ٦٠، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٢: ١١٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٣) «التفسير» ١: ٧٩ـ ٨٠، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٣: ٥ـ ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

هذا العالم إليها قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادًا عليهم مبطلاً لقولهم»، ثم رجح ابن كثير بعد هذا قول مجاهد فيما تقدم في أنه لا دين لهم البتة[(١)].

خامسًا: ذكر مناقشته لبعض الأقوال بتضعيفها أو ردها:

من هذا ما جاء عند الكلام على لفظ الجلالة في الكلام على البسملة قال: «وحكى الرازي عن بعضهم أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي ثم ضعفه قال ابن كثير: «وهو حقيق بالتضعيف»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[(٣)] قال: وقال الحسن البصري: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم، قال ابن كثير: «واستبعده الرازي»[(٤)].

سادسًا: ذكر كلامه على بعض الآيات:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[(٥)]، قال: «وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات فقيل: تأكيد،

---

(١) «التفسير» ١: ١٠٤، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٣: ١٠٥.
(٢) التفسير ١: ٢٠، وانظر «التفسير الكبير» للرازي ١/ ١٦٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٤) «التفسير» ١: ٩٨، وانظر «التفسير الكبير للرازي ٣: ٨٩، وانظر «التفسير» ١: ١١٣.
(٥) سورة البقرة، الآيتين: ١٤٩ـ ١٥٠.

لأنه أول ناسخ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره، وقيل بل هو منزل على أحوال فالأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة، والثاني لمن هو في مكة غائبًا عنها، والثالث لمن هو في بقية البلدان قال ابن كثير: هكذا وجهه فخر الدين الرازي»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢]، قال: «وقال الرازي: اعلم أن في هذه الآية تهديدًا عظيمًا عن كل المعاصي من وجوه الأول: أن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي. . »[٣].

سابعًا: نقل بعض الأحاديث عنه لينبه على ضعفها:

وقد ينقل الحافظ ابن كثير بعض الأحاديث عن الرازي لينبه على ضعفها كماجاء عند الكلام على البسملة حيث قال: «وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتيت أهلك فسم الله فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات**» قال ابن كثير: وهذا لا أصل له ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها»[٤].

---

(١) «التفسير» ١ : ١٩٥، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٤ : ١٣٧ـ ١٣٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٣) «التفسير» ١ : ٨٠ـ ٨١، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ٣: ١٨.
(٤) «التفسير» ١ : ١٨، وانظر «التفسير الكبير للرازي» ١ : ١٧١.

٨ ـ تفسير القرطبي[١]

من أهم الجوانب التي نقل فيها ابن كثير عن تفسير القرطبي ما يلي:

أولاً: نقل الآثار:

ولهذا أمثلة كثيرة في تفسيره منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ مطلع سورة البقرة قال: «وقد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة في أوائل السور، فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها ثم قال: حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعثمان وعلي وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾[٣]، قال في أثناء كلامه على قوله: ﴿وفومها﴾: «وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل حب يختبز، وقال بعضهم هو الحمص لغة شامية ومنه يقال لبائعه فامي مغير من

(١) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي توفي ليلة الاثنين التاسع من شهر شوال سنة ٦٧١هـ، وله عدة مؤلفات من أهمها تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ويعتبر من تفاسير الفقهاء، وهو من أفضل التفاسير، ومن مؤلفاته: كتاب «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، وكتاب «التذكار في أفضل الأذكار» وغير ذلك. انظر «الأعلام» ٦: ٢١٧ـ ٢١٨.

(٢) «التفسير» ١: ٣٦، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ١٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

فومي[١]».

وقد يناقش بعض هذه الآثار كما جاء عند تفسير قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، قال: «وليس المراد ههنا بالخليفة آدم ـ عليه السلام ـ فقط كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينا، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمأ مسنون..»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[٤]، قال: «وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي عنه أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، قال ابن كثير: ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة، لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ

---

(١) «التفسير» ١: ١٠١، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ٤٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٣) «التفسير» ١: ٦٩، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ٢٦٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[(١)] [(٢)].

ثانيًا: النحو والإعراب:

ولهذا أمثلة كثيرة منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾[(٣)]. حيث قال: «قال القرطبي: «ما» نافية ومعطوف على ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ وذلك أن اليهود يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل فأكذبهم الله وجعل قوله: ﴿هاروت وماروت﴾ بدلاً من الشياطين قال: وصح ذلك إما لأن الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾[(٤)]، أو لكونهما لهما أتباع، أو ذكرا من بينهم لتمردهما، تقدير الكلام عنده، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. ثم قال: وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه»[(٥)].

ثالثًا: نقل الأحاديث:

وقد يضعف بعض ما يرويه عنه من أحاديث كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

---

(١) سورة هود، الآية: ٧١.
(٢) «التفسير» ١: ١٨٥، وانظر «تفسيرالقرطبي» ٢: ١٣٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١.
(٥) «التفسير» ١: ١٣٦، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ٥٠- ٥١. وانظر «التفسير» ١: ٢٠، ٦٩.

لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] حيث نقل عن القرطبي قوله: «وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ: «**كل مؤذ في النار**» قال ابن كثير: «وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف»[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾[3]، قال: «قال القرطبي: عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم وإن أتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم**» قال ابن كثير: قلت، هذا الحديث لا يثبت والله أعلم»[4].

رابعًا: الفقه والأحكام:

ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾[5]، حيث قال: «قد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم، وذكروا أجوبة عن ذلك، منها ماثبت في الصحيحن أنه ﷺ قال لعمر ـ رضي الله عنه: «**أكره أن يتحدث العرب أن محمدًا يقتل أصحابه**» قال القرطبي: وهذا قول علمائنا وغيرهم كما كان يعطى المؤلفة مع علمه بسوء اعتقادهم . . ، ومنها ما قال مالك: إنما كفّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.
(٢) «التفسير» ١ : ٦١، وانظر «تفسير القرطبي» ١ : ٢٣٥ـ ٢٣٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٤) «التفسير» ١ : ١٦٦، وانظر «تفسير القرطبي» ٢ : ٩٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠.

رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه، قال القرطبي: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام . . » إلخ[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [٢]، نقل عنه كلامًا في الفقه والأحكام حول حكم لبن الميتة وإنْفَحَتِها[٣].

خامسًا: القراءات:

ومن أمثلته ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[٤]، حيث قال: «وحكى القرطبي وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كان يقرآن: (وإذ **يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٦] قال: «وقريء في الشاذ ﴿**إني جاعل في الأرض**

---

(١) «التفسير» ١: ٤٨ـ ٤٩، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ١٩٨ـ ٢٠٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٣) «التفسير» ١: ٢٠٥، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ٢٢٠ـ ٢٢١، وانظر «التفسير» ١: ٧٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٥) «التفسير» ١: ١٧٥، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ١٢٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

خليقة﴾[١] حكاها الزمخشري وغيره قال: ونقلها القرطبي عن زيد بن علي»[٢].

سادسًا: كما نقل عنه بعض النقول في جوانب متعددة:

منها ما يتعلق بالعقائد كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾[٣]، قال ابن كثير: «قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قدوصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم...»[٤].

ونقل عنه أيضًا كلامًا في السحر، وأن له حقيقة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[٥][٦].

ومنها تصحيحه وترجيحه لبعض الأقوال: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾[٧] نقل عنه ما حكاه عن الزجاج: أن العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة ثم قال: «قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين»[٨].

---

(١) «بالقاف».
(٢) «التفسير» ١: ٦٩، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ٢٦٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧.
(٤) «التفسير» ١: ٤٦، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ١٨٧ـ ١٨٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٦) انظر «التفسير» ١: ١٤٧، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ٤٤ـ ٤٥.
(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٨) «التفسير» ١: ٢٤، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ١٣٨ـ ١٣٩.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]، بعد ما ذكر خلاف المفسرين في المراد بالحجارة هنا وبعد أن ذكر الراجح أنها حجارة الكبريت قال: «وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها، قال: ليكون ذلك أشد عذابًا لأهلها»[٢].

ومنها النقل عن القرطبي فيما يتعلق بسبب النزول أو مكانه، أو تفسيره لبعض المفردات فمن الأول ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[٣] فقد نقل عنه أثرًا في سبب نزول هذه الآية[٤].

ومن الثاني ماجاء في أول تفسير سورة الفاتحة فقد نقل عنه ما حكاه عن أبي الليث السمرقندي في مكان نزولها، وأن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر نزل بالمدينة، قال ابن كثير: «وهذا غريب جدًا»[٥].

ومن الثالث ماجاء في تفسير السبط عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) «التفسير» ١: ٦٦، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ٢٣٥_ ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٤) «التفسير» ١: ١٩٩، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ١٧٩.

(٥) «التفسير» ١: ٨، وانظر «تفسير القرطبي» ١: ١١٥.

﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾[١][٢].

وأخيرًا فإن التفاسير التي اعتمد عليها ابن كثير كثيرة جدًا ومن أهمها ما سبقت الإشارة إليه، وهناك تفاسير أخرى ينقل عنها، منها: تفسير السدي[٣]، ووكيع بن الجراح[٤]، وسنيد[٥]، وعبد بن حميد[٦]، وابن المنذر[٧]، والثعلبي[٨]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) «التفسير» ١: ١٨٧، وانظر «تفسير القرطبي» ٢: ١٤١.

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي قال ابن تغري بردى: صاحب التفسير والمغازي والسير» وقد نقل عنه الحافظ ابن كثير وناقشه في عدة مواضع. انظر «التفسير» ١: ٤٤، ٦٢، ٧٦، وغير ذلك، توفي سنة «١٢٨هـ» انظر «الأعلام» ١: ٣١٣.

(٤) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي حافظ للحديث ولد سنة «١٢٩هـ» له كتب منها «تفسير القرآن» وقد نقل عنه ابن كثير وناقشه في عدة مواضع. انظر «التفسير» ١: ١١٢، ٢٣٩، ٤٢٣، توفي سنة «١٩٧هـ»، انظر «الأعلام» ٩: ١٣٥.

(٥) اسمه الحسين بن داود المصيصي أبو علي المحتسب له «تفسير» انظر فيما نقل عنه الحافظ «التفسير» ١: ١٣٨، ٤٧١، ٢: ٤٢٣، توفي سنة «٢٢٦هـ» انظر «طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٢٠١، و«طبقات المفسرين» للداودي ١: ٢٠٩.

(٦) هو عبد بن حميد وقيل عبدالحميد بن نصر الكسي أبو محمد من حفاظ الحديث من كتبه «مسند كبير» و«التفسير» اللذين ينقل عنهماابن كثير. انظر «التفسير» ١: ٨٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، توفي سنة «٢٤٩هـ» انظر «الأعلام» ٤: ٤١.

(٧) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر، ولد سنة «٢٤٢هـ» وله عدة مؤلفات منها: «تفسير القرآن» الذي نقل عنه الحافظ في بعض المواضع انظر «التفسير» ١: ٣٤٥، ٣٤٧، ٢٧٩، توفي سنة «٣١٩هـ»، انظر «تذكرة الحفاظ» ٣: ٧٨٢، ووفيات الأعيان» ١: ٤٦١، و«الأعلام» ٦: ١٨٤.

(٨) هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرىء المفسر. قال عنه ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير» واسم هذا التفسير «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». نقل عنه الحافظ ابن كثير في مواضع قليلة جدًا من تفسيره مثلا ٤: ٥٠٨، ٥٧٤، وانظر في ترجمته «وفيات =

والماوردي[1]، والواحدي[2]، وابن العربي[3]، وابن الجوزي[4]، كما نقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام[5]، في كتابه «الناسخ والمنسوخ» في

= الأعيان» ١ : ٢٢، و«شذرات الذهب» ٣ : ٢٣٠.

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ولد سنة «٣٦٤هـ» له عدة مؤلفات منها: تفسيره «النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم» وهو المشهور بتفسيرالماوردي، طبع سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٢م، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد نقل عنه الحافظ ابن كثير في بعض المواضع من التفسير انظر ١ : ٤٨١، ٣ : ٩٩ـ ١١٠، وقد توفي الماوردي سنة ٤٥٠هـ، انظر «معجم الأدباء» ١٥ : ٥٤، «طبقات الشافعية» ٥ : ٢٦٨، و«تاريخ بغداد» ١٢ : ١٠٢، ومجلة «العربي» ص٥٤، العدد ٦٧ سنة ١٩٦٥م.

(٢) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن مفسر عالم بالأدب له عدة مؤلفات منها «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» كلها في التفسير و«أسباب النزول» وقد نقل الحافظ ابن كثير عن تفسير الواحدي في بعض المواضع انظر مثلا التفسير ١ : ٢٩٤، وقدتوفي الواحدي سنة «٤٦٨هـ»، انظر «الأعلام» ٥ : ٥٩.

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المعروف بابن العربي ولد سنة «٤٦٨هـ» وله عدة مؤلفات منها التفسير المسمى «أحكام القرآن» وغالب نقول الحافظ ابن كثير عنه في الأحكام، انظر «التفسير» ١ : ٣١، ١٥٩، ٣ : ٢٦٩، ومن مؤلفاته «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» توفي سنة «٥٤٣هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١٢ : ٢٨، و«فيات الأعيان» ١ : ٤٨٩، و«طبقات المفسرين» للسيوطي ص٣٤، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢ : ١٦٢.

(٤) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي الفقيه البغدادي، ولد سنة «٥٠٨هـ» له عدة مؤلفات في سائر الفنون منها تفسيره المشهور «زاد المسير في علم التفسير» الذي ينقل عنه الحافظ ابن كثير في بعض المواضع، انظر «التفسير» ١ : ٣٠٧، ٤ : ٤٣٣، ٥٦١، وقد توفي سنة «٥٩٧هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١٣ : ٢٨، و«وفيات الأعيان» ١ : ٢٧٩، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٤٧٧، و«شذرات الذهب» ٤ : ٣٢٩.

(٥) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولد سنة «١٥٧هـ»، وله مؤلفات عديدة منها «الناسخ والمنسوخ» الذي ينقل عنه الحافظ ابن كثير، انظر «التفسير» ١ : ١٥٧، ٣ : ٢٦٤، وله كتاب «الغريب» في الحديث =

علوم القرآن وغير ذلك .

وهكذا نجد الحافظ ابن كثير يكثر النقل عن كتب التفسير في عدة جوانب، من أهمها رواية الأحاديث والآثار، وأسباب النزول والقراءات، والأحكام الفقهية والأصولية، واللغة والتاريخ، والأخبار الإسرائيلية وغير ذلك، كما ينقل مناقشات بعض المفسرين في بعض هذه الجوانب واختياراتهم فيوافقهم تارة ويخالفهم تارة أخرى.

كما نجد هذه النقول على قسمين: منها ما ينقله للبيان والتفسير والاستشهاد وهو الأكثر، ومنها ما ينقله للمناقشة والرد .

وبهذه الطريقة يبدو موقفه موقف الناقد البصير الباحث المدقق المبين لصحيح الأحاديث والأقوال وضعيفها المناقش لها غالبًا من جميع الوجوه والجوانب مناقشة تبرز من خلالها شخصيته واضحة في تفسيره وآرائه واختياراته .

= وغيره، توفي سنة ٢٢٤هـ، انظر «الأعلام» ٦ : ١٠ .

الفصل الثاني

مصادره من غير كتب التفسير

كمااستفاد الحافظ ابن كثير من كتب التفسير فقد استفاد من غيرها من الكتب في سائر المعارف كالحديث وعلومه، واللغة، والعقائد، والفقه وأصوله، والتاريخ وغير ذلك من سائر المعارف. فأما كتب الحديث وعلومه فإن استفادته منها تضاهي استفادته من كتب التفسير بالنظر إلى كمية المنقول منها من الأحاديث، وتأتي بعدهما كتب التاريخ إلا أن استفادته منها أقل منهما بكثير، أما كتب اللغة والعقائد والفقه وأصوله فإنها كثيرة جدًا ومتعددة، لكن رجوع الحافظ إليها لا يتكرر كثيرًا حسب إحالته في التفسير، اللهم إلا نوادر منها، وقد تعمدت الإشارة لكثير من هذه الكتب وإن كانت لا تعتبر مصادر أساسية «للتفسير» لكي أبرهن على أمانة الحافظ ، رحمه الله ـ وعلى سعة علمه واطلاعه، وتفصيل هذا فيما يلي :

١ـ كتب الحديث :

صحيح البخاري :

يعتبر أهم جانب استفاد فيه ابن كثيرمن صحيح الإمام البخاري هو رواية كثير من الأحاديث عنه، وذكر كلامه على بعضها، وهذا الجانب واضح جدًا في تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ وهناك جوانب أخرى قد

ينقل فيها ابن كثير عن البخاري، وهي نقل تفسيره وكلامه على بعض الآيات .

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾[١]، قال: «قال بعضهم: أجله، وقال البخاري: عهده، قال: وهو يرجع إلى الأول»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[٣]، وفي معرض ذكر أقوال السلف في معنى الآية، قال: «وقال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرغن لك وما به شغل، يقول: لآخذنك على غرتك»[٤].

وقد يذكر اختياره في بعض المواضع :

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾[٥]، ذكر اختلاف الأئمة في الإقرار للوارث هل هو صحيح؟ أم لا؟ على قولين: أحدهما لا يصح لأنه مظنة التهمة، والثاني أنه يصح الإقرار، قال ابن كثير: «وهو اختيار أبي عبدالله البخاري في صحيحه، واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف الفزارية عما أغلق عليه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٢) «التفسير» ٣: ٤٧٥، وانظر «فتح الباري» ٨: ٣٩٨ كتاب التفسير.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٣١.
(٤) «التفسير» ٤: ٢٧٤، وانظر «فتح الباري» ٨: ٤٧٩ كتاب التفسير.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٢.

بابها»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[٢]، بعد أن ذكر الأقوال في تفسير «الفلق»، قال: «قال ابن جرير: والصواب القول الأول أنه فلق الصبح»، قال ابن كثير: وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في صحيحه ـ رحمه الله تعالى ـ»[٣].

وقد ينقل عنه بعض الآثار في الفقه والأحكام، وفي تفسير بعض الآيات، فعند كلام ابن كثير على قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤]، ذكر الآثار الواردة في تأخير الصلاة عن وقتها لأجل الخوف وأدلة ذلك ثم قال: «وأما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلاة الخوف فإنها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك وهذا بيِّنٌ في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشافعي ـ رحمه الله ـ وأهل السنن، قال: ولكن يشكل عليه ما حكاه البخاري في صحيحه حيث قال: (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) قال الأوزاعي: «إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرىء لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخروا الصلاة حتى ينشكف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين، فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين، فإن لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها

---

(١) «التفسير» ١: ٤٦١، وانظر «فتح الباري» ٥: ٢٨٠، كتاب الوصايا.
(٢) سورة الفلق، الآية: ١.
(٣) «التفسير» ٤: ٥٧٣، وانظر «فتح الباري» ٨: ٥٦٩ كتاب التفسير.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

حتى يأمنوا، وبه قال مكحول، وقال أنس بن مالك: حضرت عند مناهضة حصن (تستر) عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى، ففتح لنا، قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها»، انتهى ما ذكره[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾[٢]، قال: «قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب: غروب الشمس»، قال ابن كثير: «حكاه البخاري عنه، وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ ﴾[٤]، قال: «ليس قوله ﴿ونخل ورمان﴾ من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما»[٥]. وهذ الذي قاله الحافظ ابن كثير يصلح علة لما قرره البخاري ـ رحمه الله ـ .

وهكذا نجد أن الحافظ ابن كثير قد استفاد من «صحيح البخاري» في عدة جوانب زيادة على الجانب الأهم، وهو رواية الأحاديث، بخلاف غيره من كتب الحديث، فإن النقل عنها غالبًا ينحصر في رواية

---

(١) «التفسير» ١: ٥٤٧، وانظر «فتح الباري» ٢: ٣٦١ كتاب الجمعة أبواب صلاة الخوف.
(٢) سورة الفلق، الآية: ٣.
(٣) «التفسير» ٤: ٥٧٣، وانظر «فتح الباري» ٨: ٥٦٩ كتاب التفسير.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.
(٥) «التفسير» ٤: ٢٧٩، وانظر «فتح الباري» ٨: ٤٧٨ كتاب التفسير.

الأحاديث والكلام عليها دون ما عدا ذلك، وهي كما يلي: «صحيح مسلم»[١]، «وصحيح ابن خزيمة»[٢]، «وصحيح ابن حبان»[٣]، و«مستدرك الحاكم»[٤]، «وسنن أبي داود»[٥]، «والنسائي»[٦]، «والترمذي»[٧]،

---

(١) الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين، ولد سنة «٢٠٤هـ» من أشهر كتبه «الصحيح»، وتأتي منزلته من حيث الصحة بعد صحيح الإمام البخاري، وقد شرحه كثيرون، وله عدة مؤلفات ـ غير الصحيح ـ منها «المسند الكبير» رتبه على الرجال و«الجامع» مرتب على الأبواب، و«الأسماء والكنى» أربعة أجزاء وغير ذلك، توفي سنة «٢٦١هـ». انظر «الأعلام» ٨: ١١٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر إمام نيسابور في عصره، ولد سنة «٢٢٣هـ» كان فقيهًا مجتهدًا عالمًا بالحديث له مؤلفات كثيرة جدًا، توفي سنة «٣١١هـ»، انظر «الأعلام» ٦ :٢٥٣.

(٣) أبو حاتم بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ البستي صاحب التصانيف، له عدة مؤلفات منها «المسند» المشهور بصحيح ابن حبان، و«الضعفاء» و«التاريخ»، توفي سنة «٣٥٤هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١١: ٢٥٩، و«طبقات الحفاظ» ص٣٧٤.

(٤) محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، الشهير «بالحاكم» ولد سنة «٣٢١هـ»، وكان من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، له مؤلفات كثيرة من أشهرها «المستدرك على الصحيحين» و«تاريخ نيسابور» و«الصحيح» في الحديث وغيرها كثير، توفي سنة «٤٠٥هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ١٠١.

(٥) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود، ولد سنة «٢٠٢هـ» كان إمام أهل الحديث في زمانه له عدة مؤلفات من أشهرها«السنن» وهو المعروف بـ «سنن أبي داود» و«المراسيل» في الحديث أيضًا وغير ذلك، توفي سنة «٢٧٥هـ»، انظر «الأعلام» ٣: ١٨٢.

(٦) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبدالرحمن النسائي صاحب السنن، ولد سنة «٢١٥هـ»، له عدة مؤلفات منها «السنن الكبرى» في الحديث، و«المجتبى» وهو السنن الصغرى، و«الضعفاء» وغير ذلك، توفي سنة «٣٠٣هـ». انظر «الأعلام» ١: ١٦٤.

(٧) محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، ولد سنة «٢٠٩هـ» له عدة مؤلفات، منها «الجامع الكبير» في الحديث و«الشمائل النبوية»، توفي سنة «٢٧٩هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ٢١٣.

«وابن ماجه»[١]، «وسنن أبي بكر الأثرم»[٢]، «والبيهقي»[٣]، «والدارقطني»[٤]، «ومسند الإمام أحمد»[٥]، «والشافعي»[٦].

«وعبد بن حميد»، «وأبي يعلى الموصلي»[٧]، «ومصنف

---

(١) محمد بن يزيد الربعي القزويني أبو عبدالله، ابن ماجه أحد الأئمة في علم الحديث، ولد سنة«٢٠٩هـ»، له عدة مؤلفات، منها «الجامع الكبير»، وله «تفسيرالقرآن» وغير ذلك، توفي سنة «٢٧٣هـ»، انظر «الأعلام» ٨: ١٦.

(٢) أحمد بن محمد بن هانىء الطائي، أو الكلبي، الإسكافي أبو بكر الأثرم من حفاظ الحديث، له كتاب «السنن» وآخر في «علل الحديث»، توفي سنة «٢٦١هـ» انظر «الأعلام» ١: ١٩٤.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر من أئمة الحديث، ولد سنة «٣٨٤هـ» له مؤلفات كثيرة جدًا، منها «السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى» و«دلائل النبوة» و«الاعتقاد» وغيرها كثير، توفي سنة «٤٨٥هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١١٣.

(٤) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني الشافعي، إمام عصره في الحديث، ولد سنة «٣٠٦هـ»، له عدة مؤلفات، منها «السنن» و«العلل الواردة في الأحاديث النبوية» و«المجتبى من السنن المأثورة» وغير ذلك، توفي سنة «٣٨٥هـ»، وانظر «الأعلام» ٥: ١٣٠.

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني الوائلي أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة «١٦٤هـ»، له مؤلفات عديدة منها «المسند»، يحتوي على أكثر من ثلاثين ألف حديث وله كتب في التاريخ و«الناسخ والمنسوخ» و«التفسير» و«الزهد» و«الرد على الجهمية» وغير ذلك كثير، توفي سنة «٢٤١هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١٩٢.

(٦) محمد بن إدريس العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة «١٥٠هـ»، له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب «الأم» في الفقه، و«الرسالة» في أصول الفقه، و«المسند» في الحديث وغيرها كثير، توفي سنة «٢٠٤هـ»، انظر «الأعلام» ٦: ٢٤٩.

(٧) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي أبو يعلى حافظ من علماء الحديث، ثقة مشهور له عدة مؤلفات منها «المعجم» في الحديث و«مسندان» كبير وصغير، توفي سنة «٣٠٧هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١٦٤.

عبدالرزاق»[١]، «وابن أبي شيبة»[٢]، «والطبراني»[٣]، «وابن أبي الدنيا»[٤].

وهناك كتب أشار إليها على قلة، منها «الغريب» لأبي عبيد القاسم بن سلام[٥]، و«مشكل الحديث» لابن قتيبة[٦]، «ونوادر الأصول» للحكيم الترمذي[٧].

---

(١) عبدالرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الصنعاني، ولد سنة «١٢٦هـ»، وهو من حفاظ الحديث الثقات له «الجامع الكبير» في الحديث، وهو المعروف بمصنف عبدالرزاق، وله كتاب في تفسير القرآن، توفي سنة «٢١١هـ» انظر «الأعلام» ٤ : ١٢٦.

(٢) عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي أبو بكر ولد سنة «١٥٩» حافظ للحديث وله فيه كتب منها «المسند» و«المصنف» في الحديث كبير، توفي سنة «٢٣٥هـ»، انظر «الأعلام» ٣ : ١٨١.

(٣) سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم الطبراني الحافظ الكبير، ولد سنة «٢٦٠هـ» له المعاجم الثلاثة «الكبير» و«الأوسط» و«الصغير» وله كتاب «السنة» وغير ذلك توفي سنة «٣٦٠هـ» انظر «الأعلام» ٣ : ١٨١.

(٤) عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي البغدادي أبو بكر، ولد سنة «٢٠٨هـ» وكان حافظًا للحديث، له مؤلفات عديدة، منها «الفرج بعد الشدة» و«مكارم الأخلاق» و«اليقين» و«ذم الدنيا» وغير ذلك، توفي سنة «٢٨١هـ»، انظر «الأعلام» ٤ : ٢٦٠.

(٥) انظر «التفسير» ٢ : ٣٨٠، ٣ : ٣٢.

(٦) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، ولد سنة «٢١٣هـ» وله عدة مؤلفات، منها «تأويل مختلف الحديث» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣ : ٥٠٩ وله «المعارف» الذي نقل عنه الحافظ أيضًا، توفي سنة «٢٧٦هـ»، انظر «الأعلام» ٤ : ٢٨٠.

(٧) محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبدالله عالم بالحديث وأصول الدين، له عدة مؤلفات، منها «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣ : ٥٦٣، توفي حوالي سنة «٣٢٠هـ» انظر «الأعلام» ٧ : ١٥٦.

و«مشكل الحديث» للطحاوي[١]، و«عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» لابن العربي[٢]، «والأحاديث المختارة» للضياء المقدسي[٣]، «والمحدث الفاصل بين الراوي والواعي» لأبي الحسن الرامهرمزي[٤]، «والجامع لأدب الراوي والسامع»، «والسابق واللاحق» للخطيب البغدادي[٥]، وهذه الثلاثة الأخيرة في علوم الحديث.

٢ـ كتب اللغة :

«الصحاح» للجوهري[٦]:

نقل عنه الحافظ ابن كثير في عدة مواضع منها: ما جاء عند تفسير

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي أبو جعفر، ولد سنة «٢٣٩هـ»، وله عدة مؤلفات منها «شرح معاني الآثار» و«مشكل الآثار» في الحديث. توفي سنة «٣٢٩هـ»، انظر «الأعلام» ١ : ١٩٧، وانظر فيما نقله الحافظ عن مشكل الحديث ١ : ٢٦٠، ٢ : ٣٩٤ من التفسير.

(٢) انظر «التفسير» ٢ : ٢٦٩.

(٣) محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن السعدي المقدسي الأصل أبو عبدالله، ولد سنة «٥٦٩هـ»، له عدة مؤلفات منها «الأحاديث المختارة» الذي ينقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ١ : ٣١٠، ٣ : ١٩٨، ٤ : ٢١٦ توفي سنة «٦٤٣هـ». انظر «الأعلام» ٧ : ١٣٤.

(٤) هو أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الفارسي القاضي، له عدة مؤلفات، منها «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» الذي نقل عنه الحافظ. انظر «التفسير» ٢ : ٤٠٣ عاش إلى قريب من الستين والثلاثمائة. انظر «طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٣٦٩.

(٥) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، ولد سنة «٣٩٢هـ»، وله عدة مؤلفات: منها «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣ : ٥١٦، ومنها «السابق واللاحق» الذي نقل عنه الحافظ أيضًا، انظر «التفسير» ٢ : ٣٩٤، توفي سنة «٤٦٣هـ»، انظر «الأعلام» ١ : ١٦٦.

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر من أئمة اللغة من أشهر كتبه «الصحاح» الذي ينقل عنه الحافظ ابن كثير، وهو مطبوع في مجلدين، وله كتاب في «العروض» ومقدمة في «النحو»، توفي سنة «٣٩٣هـ»، انظر «الأعلام» ١ : ٣٠٩.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[(١)]، حيث قال: «وقال العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه «الصحاح»: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وفي الحديث: «**الطيرة والعيافة والطرق من الجبت**» قال: وليس هذا من محض العربية، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[(٣)]، قال: «قال الجوهري: الجلباب: الملحفة قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها:

تمشي النسور إليه وهي لاهية   مشي العذارى عليهن الجلابيب»[(٤)]

كما نقل عن كتاب «الجمل» للزجاجي وناقشه في ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[(٥)]، حيث قال: «وقال أبو قاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه «الجمل» في باب «النداء» منه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥١.

(٢) «التفسير» ١: ٥١٢، وانظر «الصحاح» ١: ٢٤٥ والحرف الذولقي: هو الذي يخرج من طرف اللسان وهي حروف (فر من لب).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٤) «التفسير» ٣: ٥١٨، وانظر «الصحاح» ١: ١٠١.

(٥) سورة سبأ، الآيتان: ١٠ـ ١١.

أي سيري معه بالنهار كله، والتأويب سير النهار كله، والإسْآد سير الليل كله، ثم قال: وهذا لفظه، وهو غريب جدًا لم أره لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا، والصواب أن المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي رجعي مسبحة معه كما تقدم والله أعلم»[1] .

كما نقل أيضًا عن كتاب «الزاهر» لابن الأنباري[2]، وعن أبي علي الفارسي[3]، وابن فارس اللغوي[4] وغيرهم .

وهذه هي أهم كتب اللغة التي أحال إليها الحافظ ابن كثير، والنقل منها قليل جدًا ما عدا كتاب «الصحاح» للجوهري فإنه نقل عنه في عدة مواضع .

---

(١) «التفسير» ٣: ٥٢٧ .

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، ولد سنة «٢٧١هـ»، وله عدة مؤلفات منها: «الزاهر» في اللغة الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ١: ٢٠، وقد توفي سنة «٣٢٨هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ٢٢٦ .

(٣) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي الأصل أبو علي، أحد الأئمة في علم العربية، ولد سنة «٢٨٨هـ»، وله مؤلفات عديدة منها: «التذكرة» في علوم العربية و«تعاليق سيبويه» و«جواهر النحو» و«المقصور والممدود» و«العوامل» في النحو، توفي سنة «٣٧٧هـ»، انظر «الأعلام» ٢: ١٩٣، وانظر فيما نقله عنه ابن كثير ١: ٢٠ من التفسير.

(٤) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة ٣٢٩هـ، من تصانيفه «مقاييس اللغة» و«المجمل»، و«الصاحبي» في علم العربية، توفي سنة «٣٩٥هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١٨٤ . وانظر فيما نقله عنه الحافظ ٣: ٥٠٩ من التفسير.

٣ـ كتب العقائد:

لم يكثر الحافظ ابن كثير الإحالة إلى كتب العقائد ومن أهم الكتب التي أحال إليها:

١ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة للقرطبي»[١].

وقدنقل عنه الحافظ ابن كثير في عدة مواضع منها: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾[٢]، حيث قال: «والمقصود أن العشار من الإبل، وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر، واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وقد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والإنتفاع بها بعدما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل وهو أمر يوم القيامة، وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها، وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار إنها السحاب تعطل عن السير بين السماء والأرض لخراب الدنيا، وقيل إنها الأرض التي تعشر، وقيل إنها الديار التي كانت تسكن لذهاب أهلها، حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبدالله القرطبي في كتابه «التذكرة»، ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس، (قلت) لا يعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم[٣]»، كما نقل عنه قولا

---

(١) محمد بن أحمد صاحب «التفسير».

(٢) سورة التكوير، الآية: ٤.

(٣) «التفسير» ٤ : ٤٧٦، وانظر «التذكرة» ص٢١٢.

حكاه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾[1]، فقال: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قيل زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين، حكاه القرطبي في «التذكرة»[2].

وقد ينقل عنه لكي يناقشه ويرد عليه كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾[3] بعد أن بين معنى هذه الآية قال: «وأما ما ذكره أبو عبدالله القرطبي في «التذكرة» حيث قال: باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته قال: أنا ابن المبارك، أنا رجل من الأنصار، عن المنهال ابن عمرو، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾[3]، فإنه أثر وفيه انقطاع؛ فإن فيه رجلاً مبهمًا لم يسم، وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه».

وبعد أن ناقش هذا الخبر الذي أورده القرطبي وبين أن فيه انقطاعًا وأنه موقوف على سعيد بن المسيب ـ بعد هذا ـ بين أن القرطبي قد قبله وهو على هذه الصفة فقال: «وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده: قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة، قال: ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٧.
(٢) «التفسير» ٤: ٤٧٧، وانظر «التذكرة» ص٢١٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام»[١].

كما أشار على قلة إلى بعض كتب العقائد منها :

كتابا «الرد على الجهمية» للإمام أحمد[٢] وسعيد الدرامي[٣]، وكتب «السنة» الثلاثة للأئمة ابن أبي عاصم[٤]، والطبراني[٥]، واللالكائي[٦]، وكتاب «الاعتقاد» للبيهقي[٧]، و«صفة الجنة» للضياء المقدسي[٨] وغير ذلك.

---

(١) «التفسير» ١ : ٤٩٩، وانظر «التذكرة» ص٢٩٤.

(٢) انظر «التفسير» ٣ : ٢٢٨.

(٣) عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، ولد سنة «٢٠٠هـ»، له تصانيف في الرد على الجهمية، منها «النقض على بشر المريسي»، توفي سنة «٢٨٠هـ»، انظر «الأعلام» ٤ : ٣٦٦، وانظر فيما نقله الحافظ عن الدارمي ٤ : ٢٨٣ من التفسير.

(٤) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ولد سنة «٢٠٦هـ» وله عدة مؤلفات منها : «السنة» في أحاديث الصفات على طريقة السلف،وهو الذي نقل عنه الحافظ. انظر «التفسير» ١ : ٣١٠، ٤ : ٥٢٥، توفي سنة «٢٨٧هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١١ : ٨٤، و«الأعلام» ١ : ١٨١.

(٥) انظر «التفسير» ١ : ٣١٠.

(٦) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي أبو القاسم حافظ للحديث، له عدة مؤلفات منها: كتاب في السنة وشرفها، ذكر طريقة السلف الصالح فيه، وهو الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣: ٤٦٤، توفي سنة«٤١٨هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١٢ : ٢٤، «الأعلام» ٩ : ٥٧.

(٧) انظر «التفسير» ٣ : ٣٠.

(٨) انظر «التفسير» ١ : ٣٩٤.

٤ـ كتب الفقه وأصوله:

١) «الأم» للشافعي:

أحال الحافظ ابن كثير على كتاب «الأم» للشافعي في بعض المواضع من تفسيره من ذلك ما جاء عند تفسير الاستعاذه حيث عقد «مسألة» في حكم الجهر بالاستعاذه والإسرار بها، ونقل قول الإمام الشافعي في كتابيه «الإملاء» و«الأم» فقال: «وقال الشافعي في «الإملاء»: «يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر، وقال في «الأم» بالتخيير، لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة»[(١)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[(٢)]، عقد «فصلاً» في اختلاف العلماء فيما إذا أرسل كلبًا على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه أو صدمه هل يحل؟ أم لا؟ قال: «أحدهما: أن ذلك حلال لعموم قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[(٣)]، وكذا عمومات حديث عدي بن حاتم[(٤)]، وهذا قول حكاه الأصحاب عن

---

(١) «التفسير» ١: ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٤) روى مسلم في صحيحه عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ قلت إنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال: «**إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله عليها فكل ما أمسكن عليك وإن قتلن إلا أن يأكل الكلب فإن أكل فلا تأكل**)... الحديث. صحيح مسلم بشرح النووي ١٣: ٧٥. كتاب «الصيد والذبائح».

الشافعي ـ رحمه الله ـ، وصححه بعض المتأخرين منهم كالنووي والرافعي» ثم قال ابن كثير: «قلت: وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في «الأم»، و«المختصر» فإنه قال في كلا الموضعين يحتمل معنيين، ثم وجه كلا منهما، فحمل ذلك الأصحاب منه فأطلقوا في المسألة قولين عنه، اللهم إلا أنه في بحثه للقول بالحل رشحه قليلاً، ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به»[١].

٢) «الاستذكار» لابن عبدالبر[٢]

وينقل عنه الحافظ أكثر من غيره من كتب الفقه، وكثيرًا مايناقش ماينقله عنه. من ذلك ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾[٣]، حيث قال: «واشتهر بين كثير من الفقهاء عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ أنه يقول يحصل المقصود من تحليلها الأول بمجرد العقد على الثاني، قال الحافظ ابن كثير: وفي صحته عنه نظر، على أن الشيخ أبا عمر بن عبدالبر قد حكاه عنه في «الاستذكار» والله أعلم»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ

---

(١) «التفسير» ٢: ٨، وانظر «التفسير» ٤: ٢٢٨.

(٢) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم النمري القرطبي أبو عمر، ولد سنة «٣٦٨هـ» له عدة مؤلفات منها «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» و«الإنباه على قبائل الرواة» و«القصد والأمم» في الأنساب و«الاستذكار» في الفقه وكل هذه الكتب نقل عنها الحافظ ابن كثير، توفي سنة «٤٦٣هـ»، انظر «الأعلام» ٩: ٣١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٤) «التفسير» ١: ٢٧٧.

﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾[١]، ذكر أقوال العلماء في المراد بالصلاة الوسطى، وذكر من بين هذه الأقوال قول من قال: إنها مجموع الصلوات الخمس، والذي رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر، قال ابن كثير: «وفي صحته أيضا نظر، والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمر بن عبدالبرالنمري إمام ما وراء البحر، وإنها لأحدى الكبرإذ اختار ـ مع اطلاعه وحفظه ـ ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر»[٢].

٣) «الشامل» لابن الصباغ[٣]:

ومن النقول عنه ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾[٤]، قال: «وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلناشرع لنا إذا حكي مقررًا، ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور بهذه الآية: ثم قال: وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ في كتابه «الشامل» إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه»[٥].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الحافظ ابن كثير نقل عن ابن الصباغ في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٢) انظر «التفسير» ١: ٢٩٤.

(٣) عبدالسيد بن محمد بن عبدالواحد أبونصر بن الصباغ، ولد سنة «٤٠٠هـ» وله عدة مؤلفات منها «الشامل» في الفقه و«العدة» في أصول الفقه، توفي سنة «٤٧٧هـ»، انظر «الأعلام» ٤: ١٣٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٥) «التفسير» ٢: ٦٢.

عدة مواضع من غير ذكر الكتاب الذي نقل عنه[١]، فهل تكون هذه النقول من كتابه «الشامل» في الفقه؟ أو من كتابه «العمدة» في أصول الفقه؟ أو من غيرهما؟ الله أعلم.

وهناك كثير من كتب الأحكام نقل عنها على قلة، منها: كتاب «الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها» لأبي عبيد القاسم بن سلام[٢]، و«الإيجاز» لابن اللبان[٣]، و«المحلى» لابن حزم[٤]، و«النهاية» و«الإرشاد» للجويني[٥]، و«الإشراف على مذاهب الأشراف» لابن هبيرة[٦]، و«الهداية» للمرغيناني[٧]، وغير ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إحالة الحافظ ابن كثير إلى كتب الفقه ليست

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٢٦٥، ٢: ٨ـ ٩.

(٢) انظر «التفسير» ٢: ٢٨٤.

(٣) محمد بن عبدالله بن الحسن أبو الحسين بن اللبان، عالم وقته في الفرائض والمواريث، له كتب في الفرائض منها: «الإيجاز» الذي نقل عنه الحافظ ابن كثير: انظر «التفسير» ١: ٤٥٨، ٤٦٠، توفي سنة «٤٠٢هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١٠٧.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، ولد سنة «٣٨٤»، وله عدة مؤلفات منها: «المحلى» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ١: ٢١٧، توفي سنة «٤٥٦هـ»، انظر «الأعلام» ٥: ٥٩.

(٥) عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، ولد سنة «٤١٩هـ»، وله عدة مؤلفات منها: «نهاية المطلب في دراية المذهب» و«الإرشاد» الذين نقل عنهما الحافظ ابن كثير. انظر فيما نقله عن «النهاية» ٢: ١٧ وفيا نقل عن «الإرشاد» ١: ٤٨٧، انظر «الأعلام» ٤: ٣٠٦.

(٦) يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، ولد سنة «٤٩٩هـ»، له عدة مؤلفات منها: «الإشراف على مذاهب الأشراف» الذي نقل عنه الحافظ. انظر «التفسير» ١: ١٤٧، توفي سنة «٥٦٠هـ»، انظر «الأعلام» ٩: ٢٢٢.

(٧) انظر «التفسير» ٢: ١٧٠.

بالكثيرة، وقد أفاض في الكلام على الأحكام الفقهية في كثير من المواضع من غير أن يرجع ذلك إلى مصدر، وغالب نقوله إنما هي بالمعنى، أو من حفظه، الأمر الذي يصعب معه الحكم على مصدر تلك النقول، بل إننا لو تتبعنا كثيرًا من المواضع التي أشار فيها إلى أسماء بعض هذه الكتب لرأينا أنه إنما يذكرها غالبًا إما للرد على قول جاء فيها، أو للاستشهاد وزيادة الاستيثاق فقط.

٥ ـ كتب السير والمغازي:

لقد استفاد الحافظ ـ رحمه الله ـ من كثير من كتب السير والمغازي ومن أهم هذه الكتب:

١) سيرة ابن إسحاق[١]:

وقد اعتمد عليها الحافظ أكثر من غيرها من بين كتب السير فمن المواضع التي نقل عنه فيها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾[٢]، فبعدما ذكر قولين للعلماء في معنى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ. . .﴾، قال: «وكلام ابن إسحاق في «السيرة» يقتضي قولاً آخر، فإنه قال: وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فما

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، له عدة مؤلفات منها: «السيرة النبوية» التي رواها عنه ابن هشام و«كتاب الخلفاء» و«كتاب المبدأ» وغير ذلك، توفي سنة «١٥٠هـ» انظر «الأعلام» ٦ : ٢٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

وهنوا بعد نبيهم، وماضعفوا عن عدوهم، وماستكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم، وذلك الصبر، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾، فجعل قوله: ﴿ومعه ربيون كثير﴾ حالاً، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه، وله اتجاه لقوله: ﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾[١]. الآية».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ٤٦ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾[٢]، قال: «وقال محمد بن إسحاق، كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبدالله ابن أبي بن سلول والجد بن قيس، وكانوا أشرافًا في قومهم فثبطهم الله ـ لعلمه بهم ـ أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة، فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم فقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾[٣]».

٢) مغازى الواقدي[٤]:

ومن المواضع التي نقل عنه فيها ما جاء عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) «التفسير» ١ : ٤١٠.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٤٦-٤٧.

(٣) «التفسير» ٢ : ٣٦١، وانظر ٣٥٧.

(٤) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي أبو عبدالله الواقدي، ولد سنة «١٣٠هـ» وهو من أقدم المؤرخين في الإسلام له عدة مؤلفات منها: «المغازي النبوية» وغيرها توفي سنة «٢٠٧هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ٢٠٠.

﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[١]، قال: «وقال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي ابن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل فإذا أنا بنار تتأجج لي فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيج به العطش، وإذا رجل يقول لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أُبي بن خلف» وقال في موضع آخر: «قال الواقدي: والذي ثبت عندنا أن الذي دمى وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة والذي دمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص»[٢].

وفي الكلام على تفسير سورة «الفيل» قال: «وذكر الواقدي بإسناده أنهم لما تعبؤوا لدخول الحرم، وهيؤوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم، وطال الفصل في ذلك هذا وعبدالمطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدي، وعمر بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، وسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العجب العجاب، فبينماهم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرًا أبابيل أي قطعًا قطعًا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٢) «التفسير» ١: ٤١٦، وانظر ٥٤٧.

عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا»[١].

٣) دلائل النبوة للأصبهاني[٢]:

نقل عنه في مواضع منها: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[٣]، قال: «قال الحافظ أبونعيم الأصبهاني في كتاب «دلائل النبوة» وهو كتاب جليل: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبدالله بن سلام أنه قال لأحبار اليهود: إني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عهدًا فانطلق إلى رسول الله ﷺ - وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله ﷺ - بمنى والناس حوله فقام مع الناس، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: **«أنت عبدالله بن سلام»؟ قال: قلت نعم، قال: (ادن) قال: فدنوت منه قال: «أنشدك بالله يا عبدالله بن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله؟» فقلت له: انعت ربنا قال: فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها، فقرأها علينا رسول الله**

---

(١) «التفسير» ٤: ٥٥٠.

(٢) أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، حافظ مؤرخ ولد سنة «٣٣٦هـ» وله عدة مؤلفات منها: «دلائل النبوة» و«حلية الأولياء» وغير ذلك، توفي سنة «٤٣٠هـ»، انظر «الأعلام» ١: ١٥٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

ﷺ فقال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله: ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكتم إسلامه، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجذها فألقيت نفسي فقالت أمي: لله أنت لو كان موسى بن عمران ما كان لك أن تلقي نفسك من رأس النخلة، فقلت والله لأنا أسر بقدوم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث»وهذا حديث غريب جدًا[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾[٢]، قال: «وقال أبو نعيم في «دلائل النبوة»: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا موسى ابن سهل الجويني، حدثناأحمد بن قاسم بن بهزان الهيتي، حدثنا نصر ابن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فرغت مما أمرني به من أمرالسموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلا، وموسى كليمًا، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ إني لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهرًا، ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشي، : (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)»[٣].

---

(١) «التفسير» ٢: ٥٢١_ ٥٢٢.

(٢) سورة الانشراح، الآية: ٤.

(٣) «التفسير» ٤: ٥٢٥، وانظر ١٦٥.

٤) كتاب «الشفاء» للقاضي عياض[١]:

ومن المواضع التي نقل عنه فيها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢]، حيث قال: «وقد قال القاضي عياض في كتابه «الشفاء» اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورًا ليس كما قاله بعضهم: أنه كان هيوبًا أو لا ذكر له، بل أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها، وقيل: مانعا نفسه من الشهوات، وقيل ليست له شهوة في النساء، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى ـ عليه السلام ـ ثم هي في حق من قدر عليها، وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن، بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه وإن كانت حظوظ دنيا غيره فقال:

---

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ولد سنة «٤٧٦هـ»، وله عدة مؤلفات منها: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، توفي سنة «٥٤٤هـ»، انظر «الأعلام» ٥: ٢٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

«حبب إلي من دنياكم» هذا لفظه»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ ﴾[٢]... الآيات، بعد ما ذكر بعض روايات المفسرين لقصة الغرانيق وأجوبتهم على ذلك، قال: «وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته، وقد تعرض القاضي عياض - رحمه الله- في كتابه «الشفاء» لهذا[٣].

٥) «الروض الأنف» للسهيلي[٤]:

من المواضع التي نقل عنه فيها ماجاء عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) «التفسير» ١ : ٣٦١.

(٢) سورة الحج، الآيات: ٥٢ـ ٥٤.

(٣) «التفسير» ٣ : ٢٣٠. هذا ومما ينبغي عليه أنه جاء بعد قول ابن كثير هنا «لهذا» قلوله عن القاضي عياض: «وأجاب بما حاصله أنها كذلك لنبوتهما» يعني أن الذي القى في مسامع المشركين ذكر الغرانيق هو الشيطان على فرض ثبوتها. لكن هذه العبارة وهي قوله «وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها» ـ وإن وجدت في أكثر طبعات تفسير ابن كثير، فإنها غير موجودة في بعض نسخ مخطوطاته كالنتيجة التي اعتمد عليها محققو طبعة دار الشعب بل الموجود فيها إلى قوله «بما حاصله». والذي يظهر والله أعلم ـ أن في الكلام سقط، أو أن هذه العبارة مقحمة في نص ابن كثير ـ خصوصاً وأن القاضي عياض رحمه الله قد أفاض في رد هذه القصة برواياتها وضعفها وذكر وحدها عدة في استحالتها نظراً وعرفا، إلى غير ذلك. انظر «الشفاء» ٢ : ٧٤٨ وانظر «تفسير ابن كثير» ٥ : ٤٤١ طبعة دار الشعب.

(٤) عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي عالم باللغة والسير، ولد سنة «٥٠٨هـ» له عدة مؤلفات منها «الروض الأنف» في شرح السيرة النبوية لابن هشام و«التعريف» و«نتائج الفكر» وغير ذلك، توفي سنة «٥٨١هـ»، انظر «الأعلام» ٤ : ٨٦.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[(١)]، بعد ما ذكر ما رواه البيهقي في الدلائل: «**أن رسول الله ﷺ قال: للعباس بن مرداس السلمي** - رضي الله عنه - «**أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال: إنماهو بين عيينة والأقرع، فقال ﷺ: (الكل سواء) يعني في المعنى - صلوات الله وسلامه عليه - والله أعلم**»، ثم قال بعد هذا: «وقد ذكر السهيلي في الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ﷺ في هذا البيت مناسبة أغرب فيها، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري، لأنه ارتد أيام الصديق - رضي الله عنه - بخلاف ذاك والله أعلم»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[(٣)]، حكم بغرابة ونكارة الحديث الذي رواه السهيلي في «الروض الأنف» بسند فيه جماعة مجهولون: (إن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به)[(٤)].

كمانقل أيضًا عن «دلائل النبوة» لأبي زرعة الرازي[(٥)]، «ودلائل

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٩.
(٢) «التفسير» ٣: ٥٧٨، وانظر ٤٧٣.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ١١٣ـ ١١٤.
(٤) انظر «التفسير» ٢: ٣٩٤.
(٥) عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء أبو زرعة الرازي من حفاظ الحديث الأئمة ولد سنة «٢٠٠هـ»، وتوفي سنة «٢٦٤هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١١: =

النبوة» للبيهقي[(١)]، و«التنوير في مولد السراج المنير» لابن دحية[(٢)].

٦) كتب التراجم:

«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر[(٣)]:

نقل عنه الحافظ في مواضع كثيرة منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[(٤)]، حيث قال: «وروى الحافظ ابن عساكر في (ترجمة صفوان بن سليم) من طريق عبدالله بن وهب، أخبرني يحيى بن أيوب، عن عيسى بن موسى، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم**» ثم رواه من طريق الليث، عن عيسى بن موسى، عن صفوان، عن رجل من أشجع، عن أبي هريرة مرفوعًا بمثله سواء»[(٥)].

= ٣٧، والأعلام ٤: ٣٥٠، وانظر فيما نقله عنه الحافظ ٣: ١٠٠ من «التفسير».

(١) انظر «التفسير» ١: ٢٥٤، ٣: ٥٧٨.

(٢) عمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب، ولد سنة «٥٤٤هـ»، وله عدة مؤلفات منها «التنوير في مولد السراج المنير» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣: ٤٢. توفي سنة «٦٣٣هـ»، انظر «الأعلام» ٥: ٢٠١.

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، ولد سنة «٤٩٩هـ»، له عدة مؤلفات منها: «تاريخ دمشق» وكتب في التراجم منها «الصحابة» و«معجم النسوان» وغير ذلك، توفي سنة «٥٧١هـ». انظر «الأعلام» ٥: ٨٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٥) «التفسير» ٢: ٤٣٤، وانظر «تهذيب تاريخ دمشق» ٦: ٤٣٣.

كما نقل عن كثير من كتب التراجم والأنساب، وذلك على قلة، ومن هذه الكتب «الطبقات الكبرى» لابن سعد[١]، و«الإكليل» للهمداني[٢]، و«معرفة الصحابة» لابن منده[٣]، و«الاستيعاب»[٤]، و«القصد والأمم»[٥]، و«الإنباه على قبائل الرواة»[٦] الثلاثة لابن عبدالبر، و«تاريخ الخطيب البغدادي»[٧]، و«أسد الغابة» لابن الأثير[٨].

٧) المعارف العامة:

---

(١) محمد بن سعد بن منيع الزهري مولاهم أبو عبدالله مؤرخ ثقة، ولد سنة «١٦٨هـ»، من أشهر كتبه «الطبقات» التي نقل عنها الحافظ، انظر «التفسير» ١: ٥٤٧، توفي سنة «٢٣٠هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ٦.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب من بني همدان مؤرخ عالم بالأنساب، ولد سنة «٢٨٠هـ»، وله عدة مؤلفات منها: «الإكليل» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣: ٥٣١، توفي سنة «٣٣٤هـ»، انظر الأعلام» ٢: ١٩٢.

(٣) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبدالله، ولد سنة «٣١٠هـ»، له عدة مؤلفات منها «معرفة الصحابة» الذي نقل عنه الحافظ، انظر «التفسير» ٣: ١٢٥، توفي سنة «٣٩٥هـ»، انظر «الأعلام» ٦: ٢٥٦.

(٤) انظر «التفسير» ٣: ٤٩٠.

(٥) انظر «التفسير» ٣: ٥٣٠.

(٦) انظر «التفسير» ٣: ٥٣١ـ ٥٣٢.

(٧) انظر «التفسير» ٣: ٢٠٠.

(٨) علي بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين بن الأثير المؤرخ من العلماء بالنسب والأدب، ولد سنة «٥٥٥هـ»، وله عدة مؤلفات، منها «الكامل» في التاريخ و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» مرتب على الحروف، وهو الذي نقل عنه الحافظ. انظر «التفسير» ٤: ٥٥٦، توفي سنة «٦٣٠هـ». انظر «الأعلام» ٥: ١٥٣.

أحال الحافظ إلى عدة كتب في مختلف المعارف منها: «الزهد» للإمام أحمد[١]، و«الفكاهة» للزبير بن بكار[٢]، و«المعارف» لابن قتيبة[٣]، و«التفكر والاعتبار» لابن أبي الدنيا[٤]، و«العجائب الغريبة» لابن المنذر الهروي[٥]، و«مكارم الأخلاق» و«مساويء الأخلاق» للخرائطي[٦]، و«الأذكار للنووي»[٧]، و«المشهور في أسماء الأيام والشهور» للسخاوي[٨].

---

(١) انظر «التفسير» ٢: ٢٣٦.

(٢) الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الأسدي المكي عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد سنة «١٧٢هـ» وله عدة مؤلفات، توفي سنة«٣٥٦هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١١: ٢٤، و«الأعلام» ٣: ٧٤، وانظر إحالة الحافظ على كتاب الفكاهة ٣: ٣٥٤.

(٣) انظر «التفسير» ٣: ٩٩، ٢٦٤.

(٤) انظر «التفسير» ٣: ١٧٨، ٤: ١٠٥، ٣٨٥.

(٥) محمد بن المنذر بن سعيد من بني العباس بن مرداس السلمي أبو جعفر الهروي المقلب «بشكر» حافظ للحديث، توفي سنة «٣٠٣هـ»، انظر «الأعلام» ٧: ٣٣١. انظر فيما نقله الحافظ عن كتاب «العجائب» ٣: ٤٠٠، ٤: ٥١١ من التفسير.

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطي السامري، ولد سنة ٢٤٠هـ، وله عدة مؤلفات، منها: «مكارم الأخلاق» و«مساوىء الأخلاق» اللذان نقل عنهما الحافظ انظر ما نقله عن كتاب «المكارم» ٣: ١٢٥ من «التفسير» وعن كتاب «المساوىء» ٤: ٥٤٧ من «التفسير»، توفي سنة «٣٢٧هـ»، انظر «الأعلام» ٦: ٢٩٧.

(٧) انظر «التفسير» ٣: ٤٩٥، ٥١٤، ٥١٦، ٥١٧.

(٨) علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني المصري السخاوي، ولد سنة «٥٥٨هـ» له عدة مؤلفات، وتوفي سنة «٦٤٣هـ»، انظر «البداية والنهاية» ١٣: ١٧، و«الأعلام» ٥: ١٥٤. وانظر فيما نقله عنه الحافظ ٢: ٣٥٤ من «التفسير».

النقل عن شيوخه

١ـ ابن تيمية :

كما أشرت سابقًا أن ابن كثير يعد من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهماالله ـ، فقد تأثر بكثير من آرائه وتحقيقاته تأثرًا كبيرًا في شتى مؤلفاته، بل واعتبر آراء شيخه ابن تيمية كقواعد سار عليها في تأليفه، ففي كتاب «التفسير» الذي نحن بصدد الكلام عليه نراه نقل في مقدمته كلام شيخه ابن تيمية في الفصل الذي عقده لبيان أحسن طرق التفسير في كتابه «مقدمة في أصول التفسير»، وسار عليه في تفسيره، وقد اشتمل هذا الفصل الذي نقله عن شيخه على أهم القواعد التي ينبغي أن يسير عليها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم، كمااشتمل أيضًا على أهم الأمور التي ينبغي أن يبتعد عنها المفسر للقرآن، وفيما يلي إيضاح لأهم الجوانب التي استفادها ابن كثير من كلام شيخه في هذا الفصل :

أولاً: الطريقة في تفسير القرآن، وهي أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، وهي التي بين ابن تيمية أنها أحسن طرق التفسير، ونقلها ابن كثير وسار عليها في تفسيره .

ثانيًا: بيان أحسن الطرق في حكاية الخلاف .

ثالثًا: بيان حكم رواية الإسرائيليات، وأنها على ثلاثة أقسام: مايصدق، وما يكذب، ومايسكت عنه ويتوقف فيه .

رابعًا: بيان أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو قول الجمهور من المفسرين والأصوليين .

خامسًا: بيان أن جمع عبارات السلف نافع جدًا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين، لذا نرى ابن كثير يحرص على أن يورد أكبر قدر ممكن من أقوال السلف في الآية ولو كانت متقاربة أو بمعنى .

سادسًا: بيان حكم التفسير بمجرد الرأي وأن ذلك حرام لا يجوز، لهذا نرى الحافظ ابن كثير اعتمد في تفسيره على ماجاء في القرآن وعلى الأحاديث والآثار المنقولة عن السلف دون خوض في تفسير كلام الله برأيه .

ونحن إذا نظرنا إلى تفسيرابن كثير نرى أن هذه الجوانب بارزة تمامًا في تفسيره، وسيأتي إيضاح هذا في الكلام على منهجه إن شاء الله .

كماتأثر به تأثرًا كبيرًا في دينه وخلقه وفي بروز شخصيته واستقلالها، يتضح هذا من خلال كلام ابن كثير على آيات الأسماء والصفات وجميع آيات العقائد والأحكام، حيث التزم ـ رحمه الله ـ بعقيدة السلف البيضاء النقية من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير غلو ولا جفاء، وتوخى الحق فوفق إليه، فلم يحمل الآيات فوق ما تتحمله، أو يتأولها على غير تأويلها، كما يفعله بعض المفسرين، تأييدًا لبعض المذاهب المنحرفة والفرق الضالة .

والذي يقرأ في التفسير المروي عن ابن تيمية وتفسيرابن كثير بل في كل مؤلفاتهما يجد تقاربًا بين روح ابن كثير في عقيدته وآرائه وترجيحاته وروح شيخه في هذا مما يعطينا دليلاً على تأثر ابن كثير إلى حد كبير بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ .

ولعل في اعتماد ابن كثير على «تفسير الإمام الطبري» دلالة على تأثره برأي ابن تيمية في هذا التفسير حيث قال عنه في المقدمة: «وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدرًا»[١].

أضف إلى ما تقدم تصريح ابن كثير في مواضع من تفسيره في ذكر رأي ابن تيمية واختياره .

فعند الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة قال: «وقال آخرون، بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، ثم قال الحافظ ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزّي وحكاه لي عن ابن تيمية[٢]» .

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص٩٠ .

(٢) «التفسير» ١ : ٣٨ .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[١]، ذكر أربعة أقوال للسلف في تفسيرها، وذكر اختيار ابن تيمية فقال في الرابع منها: «وثم قول رابع نصره أبو العباس بن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الأسمية آكد، فكأنه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضًا، قال ابن كثير: وهو قول حسن أيضًا والله أعلم»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣]، قال في ذكر خلاف العلماء في حكم الخمس: «وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء، وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهذا قول مالك وأكثر السلف، وهو أصح الأقوال»[٤].

كما نقل عنه القول بوضع الحديث الوارد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «كناجلوسا عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر

---

(١) سورة الكافرون، الآية: ٢.
(٢) «التفسير» ٤: ٥٦١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(٤) «التفسير» ٢: ٣١٢، وانظر في ذكر اختياره ١: ٢٩٧، ٢: ٤٨١، وفي ذكر توقفه ١: ٤٧١.

وعمر في قبيلتين من الناس وقد ارتفعت أصواتهما، فجلس أبو بكر قريبًا من النبي ﷺ وجلس عمر قريبًا من أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: «**لم ارتفعت أصواتكما**»؟ فقال رجل: يا رسول الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا، فقال رسول الله ﷺ «**فما قلت ياعمر**»؟ فقال: قلت: الحسنات والسيئات من الله» الحديث، قال ابن كثير بعد سياقه: «قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية: هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة»[١].

وقال في كتابه «البداية والنهاية»[٢]: «سمعت العلامة ابن تيمية يقول: نقل البرزالي نقر في حجر».

وعلى العموم فقد تأثر ابن كثير تأثرًا كبيرًا ملموسًا في منهجه وعقيدته بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية كما تأثر بتلميذ شيخ الإسلام ابن القيم ـ رحمهما الله ـ فالذي يقرأ في تفسيريهما ويقارنهما بتفسير الحافظ ابن كثير يرى امتزاج هذه الشخصيات الثلاث بعضها ببعض في صفاء الروح وسلامة العقيدة وأصالة الرأي وبعد النظر وعمق التفكير، ونظرًا لتقدم ابن القيم على ابن كثير ولادة ووفاة فإن الحافظ ابن كثير لابد وأن يكون استفاد من كتب ابن القيم خصوصًا في التفسير، مع أن الحافظ ابن كثير لم يشر في أي موضع من كتابه إلى ذلك.

ولقد لحظت نوعًا من التقارب في المعنى بين كلام ابن القيم وكلام

---

(١) «التفسير» ١: ٥٢٨.
(٢) ١٤: ١٨٥ وراجع ما سبق في ذكر شيوخه.

ابن كثير في بيان ماشتملت عليه الفاتحة، وإن كان كلام ابن كثير مختصرًا جدًا، وكذلك كلامهما على المثلين المائي والناري اللذين ضربهما الله في المنافقين في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[1][2].

٢ـ المزي :

ما ينقله الحافظ عن شيخه المزي جلّه يرجع إلى مناقشة بعض الأحاديث والكلام عليها، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾[3]، ذكر أقوال السلف في المراد بالسجل، وذكر ماذهب إليه بعضهم من أن المراد به كاتب للنبي ﷺ وما روي عن ابن عباس في هذا، وبعد أن أورد هذه الآثار أورد ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه: «أنبأنا أبو بكر البرقاني عن ابن عمر قال: السجل كاتب للنبي ﷺ» قال ابن كثير: «وهذا منكر جدًا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ونسأ في أجله وختم له بصالح عمله، وقد أفردت لهذا الحديث جزءًا على حدة ولله الحمد»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٧-١٨.

(٢) انظر «التفسير» ١: ٥٢ـ ٥٧، و«التفسير القيم» ص١١٤ـ ١٢٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٤) «التفسير» ٣: ٢٠٠.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[١]، أورد ما رواه البيهقي: «أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو حفص عمر ابن أحمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد، حدثنا أبو محمد بن عبدالله ابن هلال النحوي الضرير، حدثنا علي بن عمرو الأنصاري، حدثنا سفيان ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: «ماجمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتًا واحدًا:

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشيء كان إلا تحققا»

قال ابن كثير: «سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال: هو منكر، ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير، وثبت في الصحيح أنه ﷺ تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[٣]، أورد ما رواه الترمذي عند تفسير هذه الآية قال: «حدثنا محمود بن غيلان، عن يوسف بن سعد، عن الحسن بن علي أن النبي ﷺ: «**أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ يملكها**

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٩.
(٢) «التفسير» ٣: ٥٧٩.
(٣) سورة القدر، الآيتان: ٢ ـ ٣.

بعدك بنو أمية يا محمد»، قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص. ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وعبدالرحمـن بن مهدي، قال: وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه». وبعد أن ناقش ابن كثير الترمذي في قوله «إن يوسف بن سعد مجهول»، وذكر آراء المحدثين في معرفته وتوثيقه وبعد أن ذكر بعض طرق هذا الحديث، قال بعد ذلك: «وهذا يقتضي اضطرابًا في هذا الحديث والله أعلم، ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدًا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر»[١].

إلى غير ذلك من النقول التي نقلها ورواها عن شيخه الحافظ المزي وجُلّها يرجع إلى الحديث وعلومه، مما يدل على مدى تأثره ـ رحمه الله ـ به في هذا الجانب. وقد ينقل عنه بعض أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

٣ـ الذهبي:

لا يخفى تأثر الحافظ ابن كثير بشيخه الذهبي خصوصًا في الحديث وعلومه، وقد نقل عنه في التفسير في مواضع قليلة منها: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) «التفسير» ٤ : ٥٣٠.

(٢) انظر «التفسير» ١ : ٣٨.

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[١]، حيث عقد مسألة فقال: «وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه، وقد ورد بالحديث من طريق كادح بن رحمة، عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب**» ثم قال ابن كثير: وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة، وقد روي من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضًا، قال الحافظ أبو عبدالله الذهبي شيخنا: أحسبه موضوعًا»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[٣]، أورد ما روي عن علي في هذا أنها إذا لم تكن الربيبة في الحجر فتحل لزوج أمها ثم قال: «وهو قول غريب جدًا ـ ثم قال، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه، وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك ـ رحمه الله ـ واختاره ابن حزم، ثم قال: وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[٥]،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٢) «التفسير» ٣: ٥١٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٣.
(٤) «التفسير» ١: ٤٧١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

وفي نهاية الكلام عن تحريم إتيان النساء في أدبارهن، قال: «وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن الإمام مالك من طرق مايقتضي إباحة ذلك ولكن في الأسانيد ضعف شديد، وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي في جزء جمعه في ذلك والله أعلم»[١].

خلاصة القول في كيفية تعامل الحافظ ابن كثير مع ما أورده في تفسيره من النقول:

ومن خلال ماتقدم يظهر لنا مدى أمانة الحافظ ابن كثير وتحريه في إرجاع كل نقل إلى مصدره، مع تنوع مشارب هذه المصادر وتعددها وكثرتها، ولعل في أسماء هذه الكتب التي أشار إليها، والتي تربو على مائة مؤلف ما يدل على تلك الأمانة وذلك التحري، ويؤخذ من ذلك أيضًا سعة علمه واطلاعه ـ رحمه الله ـ .

كما يظهر من خلال إلقاء نظرة سريعة على هذه النقول أنها كما أشرت سابقًا على قسمين: قسم ينقله للتفسير والبيان والاستشهاد، وقسم ينقله للمناقشة والرد، وبهذه الطريقة برزت شخصيته واضحة تمامًا في تفسيره في نقده للأسانيد ومناقشتها، وبيان الصحيح من الأحاديث والآثار والضعيف منها، وفي توجيه الأقوال، وبيان الراجح منها من غيره، وغير ذلك.

كما اتضح من خلال مقارنتي بين تفسير الحافظ ابن كثير والمصادر

---

(١) «التفسير» ١: ٢٦٥.

التي نقل عنها أنه كثيرًا ما ينقل بالمعنى ويتصرف في المنقول باختصار أو تقديم أو تأخير أو نحو ذلك وقد ينقل بالنص، وقد يجمع بينهما في بعض المواضع .

وقد يسهو أو يهم في اثبات مصدر بعض النصوص أو لفظه .

فمن الأول نسبته الحديث «**ألا أخبركم بشر الشهداء الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا**» إلى الصحيحين[١] مع عدم وجوده فيهما ولا في غيرهما بهذا اللفظ[٢] .

ومن الثاني ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾[٣]، حيث قال ابن كثير: قال القرطبي: (أو) للتساوي. . . »[٤]، وبالرجوع إلى تفسير القرطبي نجد أن عبارة القرطبي بعدما ذكر القول الأول أنها بمعنى الواو كما قال الفراء، وذكر شواهده من الشعر قال: «وقيل أو للتخيير أي مثلوها بهذا وبهذا لا على الاقتصار على أحد الأمرين، والمعنى: أو كأصحاب صيب»[٥]. فالناظر في تفسيرابن كثير يظن أن هذا القول بالتساوي هو قول القرطبي أو اختياره علماً بأن القرطبي إنما حكاه فقط وبصيغة التضعيف «قيل» والله أعلم.

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٣٣٦.
(٢) انظر «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٢: ٢٠٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩.
(٤) «التفسير» ١: ٥٦.
(٥) «تفسير القرطبي» ١: ٢١٥ـ ٢١٦.

الباب الثالث
منهجه في التفسير

ويقوم على دعامتين

أ) التفسير بالمأثور.

ب) الاعتماد على اللغة .



الفصل الأول
التفسير بالمأثور

وفيه تمهيد وستة مباحث:

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة .

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأسباب النزول.

المبحث الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

المبحث الخامس: تفسير القرآن بأقوال المجتهدين والفقهاء .

المبحث السادس: تفسير القرآن بالأخبار التاريخية والإسرائيلية .

تمهيد:

التفسير بالمأثور يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وما نقل عن التابعين، على خلاف بين العلماء في تفسير التابعين، فمنهم من عده من التفسير بالمأثور، ومنهم من اعتبره من التفسير بالرأي[1].

ويأتي هذا النوع من التفسير في المكانة الأولى بين مناهج التفسير، بل إنه هو الطريق الوحيد لفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا سليمًا من الزيغ والضلالات، كيف لا ومن أهم مصادره القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة اللذين لا يتطرق إليهما الضعف بحال، ومنها تفسير الصحابة الذين صحبوا رسول الله ﷺ وعاصروا نزول القرآن، وشهدوا وقائعه، ولهم من العدالة والفهم الصحيح والمعرفة بلغة العرب ما ليس لغيرهم، ومنها تفسير التابعين الذين أخذوا غالب تفسيرهم عن الصحابة فقولهم أقرب إلى الحق ممن جاء بعدهم، نظرًا لقربهم من العهد النبوي الكريم وبيان الرسول ﷺ لأفضلية قرنهم على من جاء بعدهم.

ورغم ما كان لتفسير الصحابة والتابعين من القيمة فإن هناك بعض الأسباب التي شوهت الكثير منه، وأدت إلى التشكيك فيه كالوضع، والإسرائيليات، وحذف الأسانيد، لولا أن قيض الله لهذا التراث العظيم

---

(١) انظر «مناهل العرفان» ١: ٤٨٠ ـ ٤٨٢، و«التفسير والمفسرون» ١: ١٥٢.

من أزاح عنه هذه الشكوك فسلمت لنا منه جملة لا يستهان بها، وإن كان صحيحها وسقيمها لا يزال خليطًا في كثير من الكتب التي عني أصحابها بجمع شتات الأقوال[١].

وقد كان هذا النوع من التفسير أول ما عرف من مناهج التفسير وهو الذي اشتهر في عهد الصحابة والتابعين فتناقله الصحابة فيما بينهم، وأخذه عنهم التابعون، وإن وجد شيء من التفسير بالاجتهاد فإنه على قلة لا يخرج عن دائرة هذا المنهج التفسيري .

كما أنه أول من دون ما التفسير، غير أنه جعل في بداية الأمر على شكل باب من أبواب الحديث، فلم يفرد بتأليف خاص، ثم بعد ذلك انفصل التفسير عن الحديث وأفرد بالتأليف[٢].

وقد اختار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذا المنهج التفسيري والتزمه في جميع تفسيره، ففسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأسباب النزول وأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين ومجتهدي الأمة، مع الاهتمام بالأخبار التاريخية، فهذه هي الينابيع التي استقى منها تفسيره للقرآن الكريم، إضافة إلى اللغة وسيأتي الكلام عنها في الفصل الثاني إن شاء الله.

أما الكلام في هذا الفصل فقد قسمته إلى مباحث فيما يلي تفصيل الكلام فيها :

---

(١) انظر «التفسير والمفسرون» ١ : ١٥٦ ومابعدها.

(٢) انظر «مناهل العرفان» ١ : ٤٩٩ـ ٥٠٠، و«التفسير والمفسرون» ١ : ١٥٢ـ ١٥٤ .

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

إن أحسن الطرق وأصحها في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً ما وجد إلى ذلك سبيل، ولا يجوز الانتقال من هذه المرحلة إلى غيرها إذا وجد شيء من ذلك، ومعلوم بالبداهة أن قائل الكلام هو أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، كيف لا والمتكلم في القرآن هو الله جل وعلا الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، والذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقد تكفل سبحانه وتعالى للأمة ببيان القرآن وتفصيله وإيضاحه قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قَدْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾[١].

ففي هذه الآيات وما ماثلها دلالة قاطعة على أن الله بيّن وأوضح وفصل لنا القرآن الكريم، وسواء كان هذا البيان بقرآن مثله أو بالسنة على لسان رسوله ﷺ فالكل من عند الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[٢].

ومن أوضح الأدلة على بيان القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[٤].

فإذا كان القرآن فيه بيان وتفصيل كل شيء فمن الأولى أن يكون مبيَّنًا مفصلاً في نفسه، إمابكونه جاء من عند الله مبيَّنًا مفصلاً أصلاً، وإما أن الله جعل بعضَه موضِّحًا ومفصِّلاً لبعض، وبما أنه لا تنافي بين هاتين الحالتين، وكل منهما يتصور وجوده في القرآن فالكل منهما حق وصدق، فمن القرآن ماجاء واضحًا مفصَّلاً في موضعه، ومنه ماجاء توضيحه وتفصيله وبيانه في مواضع أخرى، كما أن منه ما جاء بيانه وتفصيله على لسان الرسول ﷺ.

وقد كان الرسول ﷺ يفسر بعض آيات القرآن بما جاء في القرآن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.
(٢) سورة النجم، الآيتين: ٣ـ ٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

نفسه من ذلك ما رواه البخاري في «كتاب التفسير» من صحيحه أن رسول الله ﷺ فسر مفاتح الغيب المذكورة في قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]، بما جاء في آية لقمان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[2][3].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «مقدمة أصول التفسير»[4]: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان بسط في موضع آخر». لذا فإننا نجد في تفسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير الشيء الكثير من ذلك .

عناية ابن كثير واهتمامه في تفسير القرآن بالقرآن:

لم تكن هذه الطريقة وهي تفسير القرآن بالقرآن معتمدة اعتمادًا كبيرًا عند المفسرين الذي دونوا التفسير حتى جاء الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ فاعتمد في تفسيره اعتمادًا كبيرًا على تفسير القرآن بالقرآن أولاً ما وجد إلى ذلك سبيلاً، واعتبر هذه الطريقة هي أولى ما يفسر به القرآن الكريم فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) «فتح الباري» ٨: ٢٩، باب «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو».

(٤) ص٩٣ في الفصل الذي عقده في (أحسن طرق التفسير) والذي نقله ابن كثير في مقدمة تفسيره.

﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[(١)]، بعد ما ذكر أقوال المفسرين في معنى الصلصال: «والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾[(٢)]، وتفسير الآية بالآية أولى»[(٣)].

لهذا نراه ـ رحمه الله ـ يجمع الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية أو تؤيده وتقويه، والتي تدور حول موضوع واحد، والتي يشبه بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض، فيستشهد ببعض الآيات التي لها شبه أو علاقة بالآية المفسَّرة، بين مقل ومكثر من ذلك مستعملاً في ذلك كاف التشبيه غالبًا، وهذه الناحية التفسيرية تكاد تبرز تمامًا في تفسيره عند كل آية فبعد أن يذكر الآية المفسَّرة يقول: «وهذه كقوله تعالى كذا . . . وكقوله تعالى كذا . . .»، ويستطرد الحافظ ابن كثير في هذا ليستشهد ببعض الآيات حتى ولو كان بينها شيء قليل من التناسب أو كان التشابه فيها من بعض الوجوه، وهذا يعطينا مدى اهتمامه بهذه الطريقة وتبنيه لها .

وقد اعتُبرت هذه الطريقة هي الميزة الأولى التي انفرد بها «تفسير ابن كثير» عما سبقه من التفاسير، والتي استفادها منه من جاء بعده من المفسرين إلى يومنا هذا كالقاسمي في «محاسن التأويل»، والشنقيطي في «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وغيرهما .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الرحمن، الآيتين: ١٤ـ ١٥.
(٣) «التفسير» ٢: ٥٥٠.

قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير»[١]: «حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير، الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها، وهي تفسير القرآن بالقرآن، وجمع الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية وتؤيده وتقويه، فلم أحذف شيئًا مما قاله المؤلف الإمام الحافظ في ذلك» .

وإن القارىء في تفسير الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ يجد فيه أوجها متعددة من تفسيرالقرآن بالقرآن، ومن الصعب استقصاء جميع هذه الأوجه الواردة في تفسيره، لأنه ما من آيتين ذكر إحداهما تفسيرًا للأخرى إلا وبينهما علاقة ومناسبة ووجه شبه، وسأذكر بعضًا من هذه الأوجه مع ذكرأمثلتها مما فيه الدلالة على مدى اهتمام الحافظ بهذا المصدر التفسيري، ومدى دقته، وتحريه في تفسير بعض الآيات ببعض.

(١) ١: ٨.

أوجه تفسير القرآن بالقرآن

أوجه تفسير القرآن بالقرآن كثيرة منها مايلي:

أ ـ تفسيرالموجز من القرآن في بعض المواضع بما جاء مبسوطًا في مواضع أخرى:

من ذلك ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1]، حيث قال: «هذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[2]، القصة بكمالها»[3].

وعندماجاء لتفسير هذه الآيات في الأعراف نبه على هذا أيضًا فقال: «هذا السياق هو بسط لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾[4][5].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٦٥ـ٦٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٣) «التفسير» ١: ١٠٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٥) «التفسير» ٢: ٢٥٦.

وعند كلامه على الآيات في قصة إبراهيم من سورة الصافات قال: «وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الأنبياء مبسوطة، فإنهم لما رجعوا ماعرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذي فعل ذلك، فلما جاؤوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾[1][2].

ب ـ **ومنها بيان المجمل بالمبيَّن**، بأن تأتي بعض الآيات مجملة ثم يأتي بيانها وتفصيلها بآية أخرى.

كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾[3]، حيث قال بعدما ذكر أقوال المفسرين في معنى الآية: «والظاهر والله أعلم أن المراد بذلك قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾[4][5].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[6]، قال: «هذه الآية الكريمة مفصِّلة لما

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٥.
(٢) «التفسير» ٤: ١٢ـ ١٣، وانظر ١: ٦٧، ١٩١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٥) «التفسير» ٢: ٣ـ ٤.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

أجمل في الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[(١)][(٢)].

ج ـ ومنها **حمل المطلق على المقيد**: بأن تأتي بعض الآيات مطلقة ثم يأتي تقييدها في آية أخرى.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)]، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إلا من تاب﴾: «أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه وفي هذه دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه الآية وآية النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[(٤)]، فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة»[(٥)].

فهنا حمل ابن كثير ـ رحمه الله ـ آية النساء المطلقة على آية الفرقان المقيدة بالتوبة. كما فسر الدم الوارد في قوله تعالى في سورة المائدة:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٤.
(٢) «التفسير» ٢: ١٩٦.
(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ـ ٧١.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٥) «التفسير» ٣: ٣٢٧.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[(١)] بالدم المسفوح حملاً على الآية في سورة الأنعام: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[(٢)(٣)].

د ـ **ومنها تخصيص العام وإخراج أفراد الخاص منه**: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ...﴾[(٤)]، قال ابن كثير: «هذاتحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان، ثم إن كان عمومها مرادًا، وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾[(٥)]، قال علي بن أبي طالب: استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب»[(٦)].

وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[(٧)]، قال ابن كثير: «هذا عام وتخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.
(٣) «التفسير» ٢: ٧، وانظر ٤: ١١١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥.
(٦) «التفسير» ١: ٢٥٧.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٥.

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ﴾(١)(٢).

هـ ـ **ومنها الإيضاح بعد الإبهام**: وذلك بأن تأتي في القرآن بعض الكلمات أو الآيات غير واضحة تحتاج إلى شرح وإيضاح لكي يتجلى ويتضح ماتدل عليه ويأتي في القرآن شرحها وتوضيحها بنفس الآية التي فيها الإبهام أو بآية أخرى من نفس السورة أو بسورة أخرى ولهذا أمثلة كثيرة في القرآن، منها ما ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾(٣)، فعند كلامه على قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ﴾ قال: «ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ»(٤).

ومنها تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾، بقوله تعالى في الآيتين بعدها: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾(٥). حيث قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩١.
(٢) «التفسير» ٢: ٣٣٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(٤) «التفسير» ١: ٤١٨.
(٥) سورة المعارج، الآيات: ١٩ـ ٢١.
(٦) «التفسير» ٤: ٤٢١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[1]، فالكلمات المذكورة في هذه الآية مبهمة، وقد جاء إيضاحها في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[2]، قال ابن كثير بعد سياق آية البقرة: «قيل إن هذه الكلمات مفسَّرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾، وفي آخر كلامه على الآية، وبعدما أورد أقوال المفسرين من السلف في المراد بالكلمات قال: «ومن الكلمات أيضًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾[3]. وعلى هذا تكون آية الأعراف بيانًا للكلمات التي جاءت مبهمة في سورة البقرة على التفسيرالأول، وبيانًا لبعض الكلمات على التفسير الثاني، والقول الثاني أنها بعض الكلمات فيه جمع بين الأقوال.

و ـ **ومنها بيان نسخ آية بآية أخرى**: ومن ذلك بيانه نسخ آية الوصية للوالدين والأقربين ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ﴾[4] بآية المواريث، حيث قال ابن كثير عند كلامه على آية الوصية: «اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين وكان ذلك واجبًا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث، فلما نزلت آية المواريث نسخت هذه، وصارت المواريث المقررة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٣) «التفسير» ١ : ٨١.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٨٠.

فريضة من الله يأخذها أهلها حتما من غير وصية، ولا تحمل منة الموصي، ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو ابن خارجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: «**إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**». ثم أخذ ابن كثير في ذكر الرواية عن ابن عباس في نسخ الآية هنا بآية المواريث ثم قال: فتعين أن تكون منسوخة بآية المواريث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء، فإن وجوب الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخ بالإجماع، بل منهي عنه للحديث المتقدم: «**إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**»، فإن الميراث حكم مستقل، ووجوب من عند الله لأهل الفروض والعصبات رفع بها حكم هذه بالكلية. بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث بآية الوصية»[١].

وكذا بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾[٢]، بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٣]، على قول أكثر العلماء[٤].

وقد يستشهد في تفسير الآية بقرآن منسوخ التلاوة مع بقاء الحكم كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم

---

(١) «التفسير» ١ : ٢١١ـ ٢١٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.
(٤) انظر «التفسير» ١ : ٢٨٥ـ ٢٨٦.

بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[١]، حيث قال في أثناء كلامه على هاتين الايتين: «وفي القران المنسوخ: ﴿فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن ابائكم﴾»، ثم ذكر ما روي عن عمر أنه قال: «قد كنا نقرأ: ﴿لا ترغبوا عن ابائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن ابائكم﴾»[٢].

ز ـ **ومنها بيان عدم التنافي والتعارض بين آيات القرآن الكريم والجمع بين ما قد يفهم منه الاختلاف**: فعند كلامه على قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[٣]، بعد أن ذكر قولي المفسرين في معنى الآية، قال: «لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين، وهو أن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ﴾[٤]، فالجواب أن هذا كله في حالة أخرى كما قال السدي، عن الطيب، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ﴾ الآية قال: هذا يوم بدر قال عبدالله بن مسعود: وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إلى المشركين فما رأيناهم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤ ـ ٥.
(٢) «التفسير» ٣: ٤٦٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

يزيدون علينا رجلاً واحدًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم﴾ الآية، وقال أبوإسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبدالله بن مسعود قال: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي تراهم سبعين قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلاً منهم فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفا، فعندما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم أى أكثر منهم، ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل، ورأى المشركون المؤمنين كذلك، ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع، فلما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل هؤلاء في أعين هؤلاء وهؤلاء في أعين هؤلاء، ليقدم كل منهم على الآخر ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[(١)]».

كما بين عدم التنافي بين قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾[(٢)]، وبين قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾[(٣)]، فبين أنه لا تنافي ولا تعارض بين هذين

---

(١) «التفسير» ١: ٣٥٠، وانظر أيضًا كلامه على الآية: ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا﴾ إلى قوله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ الآية: ٤٤ من سورة الأنفال تجده أعاد الجمع بين الآيتين (٢ـ : ٣١٥).

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٤.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ـ ٤٧.

القولين من المؤمنين، وبين أن ما جاء في الآية الأخيرة إنما خرج منهم على وجه التقريع والتوبيخ[١].

كما جمع بين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٣]، وبين قوله تعالى في سورة النازعات: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤]، حيث إن آية فصلت وآية البقرة تفيدان أن الأرض خلقت قبل السماء. وآية النازعات قد يتوهم منها أن السماء خلقت قبل الأرض.

فقد ذكر ابن كثير أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين في الجمع بين هذه الآيات، وأن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ سئل عن هذا بعينه كما في صحيح البخاري فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، ثم قال ابن كثير: «وكذا أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا إلى أن قال: وحاصل ذلك

---

(١) انظر «التفسير» ٤: ٣٠٩ـ ٣١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٣) سورة فصلت، الآيات: ٩ـ١١ .
(٤) سورة النازعات، الآيات: ٢٧ـ ٣٠.

أن الدحي مفسَّر بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾[١].

ففُسِّر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل، لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحا بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها»[٢].

ح ـ ومنها حمل بعض القراءات على بعض وتفسير بعضها ببعض:

وتعتبر القراءات من أهم أوجه تفسيرالقرآن بالقرآن، روى الترمذي عن مجاهد أنه قال: «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه»[٣].

والقراءات التي يحمل بعضها على بعض أو يفسر بعضها بعضًا على قسمين بعضها يختلف عن البعض في اللفظ لكن يتفق معه في المعنى، وبعضها يشتمل على زيادة توضيح القراءة الأخرى، ولهذا أمثلة في تفسيرابن كثير، فمن الأول: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[٤]، حيث أورد ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أنه الذهب، ثم قال: «وكذلك هو في قراءة عبدالله بن مسعود:

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٠ـ ٣٢.
(٢) «التفسير» ١ : ٦٨، وانظر ٤ : ٩٢ـ ٤٦٨.
(٣) «جامع الترمذي» ٤ : ٢٦٩ أبواب التفسير.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

أو يكون لك بيت من ذهب»[١].

ومن الثاني: تفسير الأخ والأخت في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾[٢] بالإخوة لأم حملاً على القراءة الأخرى قال ابن كثير: «أي من أم كما في قراءة بعض السلف منهم سعد بن أبي وقاص»[٣].

كما أن من القراءات ما يختلف من حيث اللفظ أو الشكل ومن حيث المعنى والحكم فتكون كل قراءة بمثابة آية.

وابن كثير لا يكتفي بذكر القراءات وتفسير بعضها ببعض، بل إنه يتكلم على القراءات ويتناولها من جوانب عدة منها ما يلي:

١ـ **بيان الصحيح من غيره**: كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠﴾[٤]، حيث قال: «وقد قرأ الجميع معايش بلا همز إلا عبدالرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها، والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز»[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾[٦] قال: «وقرىء في الشاذ: إني جاعل في الأرض خليقة»[٧]. (يعني بالقاف).

---

(١) «التفسير» ٣: ٦٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢.
(٣) «التفسير» ١: ٤٦٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠.
(٥) «التفسير» ٢: ٢٠٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٧) «التفسير» ١: ٦٩.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[١]، قال: «وقرأ بعضهم: «قال ومن كفر فأمْتِعْه قليلاً» جعله من تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة، مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبى معناها، فإن الضمير في قال راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائد على إبراهيم، وهذا خلاف نظام الكلام، والله سبحانه وتعالى هو العلام»[٢].

٢ـ ومنها بيان المشهور من القراءات من غيره: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[٣] حيث قال: «وقرأ قيس ابن عباد ومحمد بن سيرين وقتادة: (هذا صراط عَلِيٌّ مستقيم) كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾[٤]، أي: رفيع، والمشهور القراءة الأولى»[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[٦]، قال: : «اختلف القراء في قراءة قوله: (أَمَرْنا) فالمشهور

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
(٢) «التفسير» ١: ١٧٥.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٤١.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤.
(٥) «التفسير» ٢: ٥٥١.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

قراءة التخفيف»[١]. وهذا في الغالب.

وقد يسوق قراءة شاذة ولا ينبه عليها ويترك ذكر بعض القراءات المشهورة، ومثال هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**﴾[٢]، حيث أورد قراءة شاذة في هذه الآية دون أن ينبه عليها وترك بعض القراءات المشهورة فيها فقال: «قرأ بعضهم (فَصَّلَ) بالتشديد وقرأ آخرون بالتخفيف، والكل بمعنى البيان والوضوح»، ولم يتعقب الحافظ ابن كثير هاتين القراءتين بتعليق ولا بيان، قال الشيخ أحمد شاكر: «إن قراءة (فَصَلَ) بتخفيف الفاء والصاد قراءة شاذة، ولم تحك إلا عن عطية العوفي، وهو ضعيف حكاها عنه الطبري وردها[٣]، وكذلك حكاها عنه أبو حيان[٤]، ثم هي ليست بمعنى بين وأوضح، بل قد فسرها الطبري بمعنى وقد أتاكم حكم الله فيما حرم عليكم ..»، ثم ذكر أحمد شاكر القراءات الثلاث في هذه الآية: بالفتح والبناء للفاعل، وبالضم والبناء للمفعول فيهما جميعا، والقراءة الثالثة بالبناء للفاعل في فصل وبالبناء للمفعول في حرم مع تشديد الصاد في جميع القراءات، كما ذكر من أخذ بكل قراءة منها[٥].

٣ـ ومنها ذكر من أخذ بكل قراءة: كما جاء عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) «التفسير» ٣: ٣٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.
(٣) انظر «تفسير الطبري» ١٢: ٧٠.
(٤) انظر «البحر المحيط» ٤: ٢١١.
(٥) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٥: ٩٠.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾[١] حيث قال: «القراء السبعة على ضم الدال في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو مبتدأ وخبر، ورُوي عن سفيان ابن عيينة ورؤبة بن الحجاج أنهما قالا ﴿الحمدَ لله﴾ بالنصب، وهو على إضمار الفعل، وقرأ ابن أبي عبلة بضم الدال واللام اتباعًا للثاني الأول، وله شواهد لكنه شاذ، وعن الحسن وزيد بن علي ﴿الحمدِ لله﴾ بكسر الدال اتباعًا للأول الثاني»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤﴾[٣] قال: «قرأ الأكثرون ﴿قولُ الحق﴾ برفع قول وقرأ عاصم وعبدالله بن عامر ﴿قولَ الحق﴾، وعن ابن مسعود أنه قرأ: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قال الحق﴾ قال ابن كثير: والرفع أظهر إعرابًا ويشهد له قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ٦٠﴾[٤]»[٥].

وقد يذكر ابن كثير بعض القراءات دون أن يبين من أخذ بها فيقول: قرأ بعضهم، وقرأ آخرون، وقرىء[٦]. وقد يشير إلى تعدد القراءات دون أن يذكرها[٧].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) «التفسير» ١: ٢٢.
(٣) سورة مريم، الآية: ٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.
(٥) «التفسير» ٣: ١٢٠.
(٦) انظر «التفسير» ١: ٤٨، ٣٣٥، ٤٣٧، ٥٠٢، ٢: ١٢٥، ٢٠٧، ٣: ١١٧، ٤: ٥٤، ٧٧.
(٧) انظر «التفسير» ٢: ٢٥٩، ٤٦١.

٤ـ **ومنها التوفيق بين بعض القراءات**: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾[١] حيث قال: ﴿إني رسول ربك ليهب لك غلامًا زكيًا﴾ هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء، وقرأ الآخرون: ﴿لأهب لك غلامًا زكيا﴾»، قال ابن كثير موفقا بين هاتين القراءتين: «وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى»[٢].

٥ـ **ومنها أنه قد يذكر الآيات التي تفسر وتوضح معنى بعض القراءات التي يذكرها**: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ١١٩﴾[٣]، حيث أورد أربع قراءات للسلف في الآية من بين هذه القراءات قراءة ابن مسعود: ﴿ولن تُسأل عن أصحاب الحجيم﴾ نقلها ابن جرير، قال ابن كثير: «أي لا تسأل عن كفر من كفر كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ٤٠﴾[٤]، وكقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾[٥]، وكقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾[٦]، وأشباه

(١) سورة مريم، الآية: ١٩.
(٢) «التفسير» ٣: ١١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٩.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١ـ ٢٢.
(٦) سورة ق، الآية: ٤٥.

ذلك من الآيات»(١).

ومن الملاحظ أن الحافظ ابن كثير مقتصد في ذكر القراءات: فلم يذكر من القراءات إلا ما يدور فهم المعنى عليه كما قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾(٢): «وفي جبرائيل وميكائيل لغات وقراءات تذكر في كتب اللغة والقراءات، ولم نطول كتابنا بسرد ذلك إلا أن يدور فهم المعنى عليه، أو يرجع الحكم في ذلك إليه»(٣).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن ابن كثير قد يفسر بعض الآيات ويمضي في تفسيرها على غير القراءة المثبتة في المصاحف: ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١٠٥﴾(٤)، قال: «وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم»(٥)، قال الشيخ أحمد شاكر: «وهذا تفسير منه ـ رحمه الله ـ على قراءة «دارست» بإثبات الألف بين الدال والراء وهي قراءة ابن عباس(٦)، وهي قراءة ابن كثير القارىء وأبي عمرو، وكتبت في الآية في المخطوطتين بإثبات الألف على هذه القراءة، وقراءة حفص في

---

(١) «التفسير» ١ : ١٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٨.
(٣) «التفسير» ١ : ١٣٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٥.
(٥) «التفسير» ٢ : ١٦٢.
(٦) انظر «تفسير الطبري» ١٢ : ٢٨ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر.

مصاحفنا «درست» بدون ألف والقراءتان صحيحتان»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[٢]، فسرَّ قوله: «أفلا تعقلون» على قراءة الياء ﴿أفلا يعقلون﴾[٣]، قال أحمد شاكر: «قراءة حفص ـ التي عليها مصاحفنا ـ ونافع وابن عامر «تعقلون» بالخطاب، وقرأ باقي الأربعة عشر «يعقلون» بياء الغيبة وهي الثابتة في تفسير ابن كثير وهي التي فسر المعنى عليها»[٤].

وحسبي أن أكون قد أطلت في هذه الوجه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن: وهو التفسير بالقراءات، لما له من الأهمية في تفسيرالقرآن، وقد أعطاه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ اهتمامًا كبيرًا. غير أنه بقي الإشارة إلى ذكر ابن كثير معاني القراءات وإعرابها وذكر أمثلة ذلك وسيأتي ذلك ـ إن شاء الله ـ في الكلام على اللغة في الفصل الثاني .

---

(١) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٥ : ٧٧٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.
(٣) «التفسير» ٢ : ٢٦٠.
(٤) انظر «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٥ : ٢٤١.

جوانب أخرى غير ماتقدم برزت في منهج ابن كثير في تفسيره القرآن بالقرآن :

وهناك جوانب متعددة برزت في منهج ابن كثير في تفسيره القرآن بالقرآن منها مايلي :

أ ـ أنه لا يكتفي أحيانًا بذكر الآية المفسَّرة بل نراه يفسرها أيضًا: كما فعل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١]، حيث فسر هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾[٢]، ثم شرع في بيان معنى هذه الآية المفسَّرة فقال: «أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة، ولهذاجاء في الصحيح: «**إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته**»[٣]».

ب ـ ومنها أنه أحيانًا يفسر آية بآية ثم ينتقل لبيان الآية المفسَّرة بآية ثالثة : كما جاء عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٤]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠١.
(٣) «التفسير» ١: ١٥١ـ ١٥٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

حيث ذكر في تفسيره لهذه الآية عدة آيات ومن بين هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[(١)]، ثم أخذ في بيان معنى هذه الآية، وبيان السبب الذي حمل المشركين على هذه المقالة، وهو ازدراؤهم للرسول ﷺ بغيا وحسدًا وعنادًا واستكبارًا، ثم ساق الأدلة على هذا من القرآن الكريم فقال: «كقوله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾[(٤)]»[(٥)].

جـ ـ ومنها أنه لا يكتفي أحيانًا بإيراد الأدلة والشواهد من القرآن لقول واحد في الآية بل إنه قد يذكر لكل قول في الآية ما يؤيده ويفسره ويوضحه من القرآن: فمثلاً عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾[(٦)]، ذكر أن أحد أقوال المفسرين في معنى الآية: «وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، وعدلوا إليها، واستمروا عليها

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠.
(٥) «التفسير» ٢: ١٧٣.
(٦) سورة الجن، الآيتان: ١٦ـ ١٧.

لأسقيناهم ماء غدقًا أي كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[١]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢]»، والقول الثاني بمعنى: «وأن لو استقاموا على الطريقة» الضلال ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجًا كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[٣]، وكقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾[٤]»[٥].

كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾[٦] احتمالين وأورد لكل احتمال ما يفسره ويوضحه من القرآن[٧].

وإنما ذكر لكل قول واحتمال ما يؤيده في هذه الأمثلة لقوة كل من القولين والاحتمالين في نظره، وصحة أن يكون أحدهما هو المراد أو أن كلا منهما مراد، لذا نراه في كثير من المواضع لا يستشهد إلا لواحد من الأقوال، وهو ما يراه راجحًا على غيره في نظره: كما جاء عند

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥ـ ٥٦.
(٥) «التفسير» ٤: ٤٣١.
(٦) سورة الدخان، الآية: ١٥.
(٧) انظر «التفسير» ٤: ١٤٠ـ ١٤١.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾[1]، حيث ذكر الأقوال في المراد بالقائلين هنا ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾، وذكر من ضمن هذه الأقوال قول من قال: «إن المراد بالقائلين هنا كفار العرب وإن المراد بقوله: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ هم اليهود والنصارى»، ثم قال ابن كثير: «ويؤيد هذا القول أن القائلين هم مشركو العرب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾، إلى قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[3]، وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم، وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو الكفر والمعاندة، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[5]»[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠- ٩٣.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٥٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

د - ومنها أنه قد يعقد مقارنة بين بعض الآيات من حيث اللفظ والمعنى: من ذلك مقارنته بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[1]، وبين قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[2]، حيث قارن بين هاتين الآيتين من حيث وجود العطف بالواو في آية سورة إبراهيم حيث قال: ﴿ويذبحون﴾ وتركه في آية البقرة فقال: ﴿يذبحون﴾، فبين أن ترك العطف في سورة البقرة جاء لأن الآية جاءت تفسيرًا للنعمة في قوله تعالي: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3] فناسب توحيد المفسِّر لوحدة المفسَّر، وهي النعمة، أما آية سورة إبراهيم فذكر فيها العطف وتعداد المفسِّر نظرًا لتعدد المفسَّر، وهي الأيادي والنعم المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[4][5].

كما قارن بين الآيات الواردة في كيفية إهلاك قوم شعيب واختتام كل آية بما يناسب سياقها: وذلك عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ

---

(١) «التفسير» ١: ١٦١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٧.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٩١﴾[١]، حيث قال: «أخبر ههنا أنهم أخذتهم الرجفة وذلك لما أرجفوا شعيبا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٢]، والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا به في قولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[٣]، فجاءت الصيحة فأسكتتهم، وقال تعالى إخبارا عنهم في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٨٩﴾[٤]، وما ذاك إلا لأنهم قالوا في سياق القصة: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[٥]، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٧٨﴾»[٦].

وقد يقارن بين بعض الآيات المتشابهة ولو من بعض الوجوه: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا

---

(١) «التفسير» ١: ٩٠.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٩٠- ٩١.
(٣) سورة هود، الآية: ٩٤.
(٤) سورة هود، الآية: ٨٧.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٨٩.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٨٧.

يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾(١)، حيث بين أن الله ضرب للمنافقين مثلين مثلاً ناريًا كما في الآية الأولى ومثلاً مائيًا كما في الآية الثانية، ثم قال: «وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن، وماجعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري، وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان ـ إلى أن قال: ثم ضرب مثل العبّاد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾(٢)، ثم ضرب مثل الكفار والجهال الجهل البسيط، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣)، فقسم الله الكفار هنا إلى داعية ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾(٥)، ثم قال: فقد قسم الله المؤمنين

---

(١) «التفسير» ٢: ٢٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٧ـ ١٩.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الحج، الآية: ٣.

في أول الواقعة وفي آخرها وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار» .

فنرى الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ قارن بين آيتي البقرة وبين ما جاء في سورتي النور والحج من بعض الوجوه، حيث إن في كل منهما ضرب مثلين أحدهما أخف من الآخر، فالأولان في البقرة مع المنافقين والأخيران في النور والحج مع الكفار. أما بالنسبة لما جاء في سورتي الواقعة والإنسان فالمناسبة ووجه الشبه بينه وبين ما جاء في البقرة والنور والحج هو التقسيم أيضًا، فكما أن المنافقين والكفار ينقسمون إلى هذه الأقسام فكذلك المؤمنون أيضًا درجات فمقربون وأصحاب يمين .

ويمضي ابن كثير بعد هذا فيذكر خلاصة لما تقدم فيقول: «فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان دعاة ومقلدون، وأن المنافقين صنفان خالص ومنافق فيه شعبة»[1] .

وكما قارن بين هذه الآيات لهذه الوجوه قارن بين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[2]، وبين قوله: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾[3]،

(١) سورة الحج، الآية: ٨.
(٢) «التفسير» ١ : ٥٢ـ ٥٦ .
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠١ .

وقوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾[١]، من حيث إن كلا منها خرجت مخرج الغالب، كما في الآيتين الأخيرتين، وكما هو الراجح في الآية الأولى أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ خرج مخرج الغالب حال نزول الآية، حيث كان غالب الأسفار مخوفة[٢].

هـ - ومنها أنه قد يحصر الآيات الواردة في موضوع واحد: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٣]، حيث قال: «هذه الآية والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السور هي آيات الفرائض، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هو كالتفسير لذلك»[٤].

كما جمع وحصر الآيات الواردة في كيفية معاملة العاصي من الإنس، وكيفية النجاة من الشيطان وشركه عند كلامه على الآية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[٥]، بعد أن نقل كلاما لبعض العلماء على هذه الآية قال: «كماقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.
(٣) «التفسير» ١: ٥٤٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١.
(٥) «التفسير» ١: ٤٥٧.

يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[٢]، وقال في هذه السورة «الأعراف» أيضًا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾، فهذه الآيات الثلاث في الأعراف، والمؤمنون، وحم السجدة، لارابع لهن فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ولهذا قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[٣]، ثم يرشدنا تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجان، فإنه لا يكفه عنك الإحسان، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك»[٤].

وقد يكون الحصر للآيات التي حول موضوع واحد في سورة واحدة: كما في حصره للمواضع التي وردت في إحياء الموتى في سورة البقرة خاصة عند كلامه على قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٩ـ ٢٠٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٩٦ـ ٩٨.
(٣) سورة فصلت، الآيات: ٣٤ـ ٣٦.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

﴿يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾[(١)]، حيث قال قبل نهاية الكلام على هذه الآية: «والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مماخلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[(٢)]، وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة[(٣)]. ومثل هذا ما تقدم من حصره آيات الفرائض، فإنها آيات الفرائض في القرآن كله، وهي أيضًا في سورة واحدة.

و - ومنها أنه قد يبين بعض الأمور التي كثيرًاما يقرن بينها القرآن الكريم كالترغيب والترهيب: كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾[(٤)]، حيث قال: «وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٥﴾[(٥)]، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٦﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ

---

(١) «التفسير» ٢ : ٢٧٨.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٧٢ـ ٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٦.
(٤) «التفسير» ١ : ١١٢.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٧.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾[3]، والآيات في هذا كثيرة جدًا»[4].

كمابين أن الله كثيرًا ما يقرن في القرآن بين العبادة والتوكل: عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[5]، قال: «وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[6]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[7]، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾[8]، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[9]»[10].

كما بين عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٦.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩- ٥٠.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣.
(٤) سورة البروج، الآيات: ١٢- ١٤.
(٥) «التفسير» ٢: ١٨٦.
(٦) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٧) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٨) سورة الملك، الآية: ٢٩.
(٩) سورة المزمل، الآية: ٩.
(١٠) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[1]، أن الله إذا ذكر خلق الليل والنهار والشمس والقمر كثيرا ما يختم الايات بالعزة والعلم، قال: «كما ذكر في هذه الاية، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]، ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة حم السجدة قال: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[3]»[4].

ز ـ ومنها أن ابن كثير قد ينقل عن السلف: الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المفسرين أشياء من تفسير القرآن بالقرآن منبهًا على ذلك: فينقل عن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ كما ينقل عن مجاهد وقتادة وغيرهم.

فمثال المروي عن ابن مسعود وابن عباس ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[5]، حيث قال ابن كثير: «قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ

---

(١) «التفسير» ٢: ٤٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.
(٣) سورة يس، الآيتان: ٣٧ـ ٣٨.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٢.
(٥) «التفسير» ٢: ١٥٩.

فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا ﴾[1]، قال: هي التي في البقرة: ﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾، وكذا روي عن ابن عباس»[2].

ومثال ما روي عن مجاهد قوله: «قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ ﴾[3]، هذه كقوله: ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾[4]»[5].

ومثال المروي عن قتادة ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴾[6]، قال: «قال قتادة وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾[7]»[8].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾[9]، بعد أن تكلم ابن كثير على هذه الآية قليلاً قال: «كما قال تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ ﴾[10]، ثم قال: هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ١١.

(٣) «التفسير» ١: ٦٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

(٦) «التفسير» ٢: ٢٣٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ٤٢.

(٨) سورة هود، الآية: ٩٩.

(٩) «التفسير» ٣: ٣٩٠.

(١٠) سورة الصافات، الآية: ٦٨.

الآية وهو تفسير حسن قوي»[١].

ح ـ ومنها أنه قد يناقش بعض ما يرويه عن السلف من تفسير القرآن بالقرآن: كمارد على بعضهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[٢]، حيث قال: «قال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها كماقال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[٣]، قال ابن كثير: وفي هذا التنظير نظر ـ يعني بين الآيتين ـ ثم قال: والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعة لله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى»[٤].

كما ناقش ابن جرير فيما نقله عنه فيما سبق[٥].

ومن خلال ما تقدم يظهر ما لابن كثير ـ رحمه الله ـ من سبق في هذا الموضوع: وما له فيه من جولات توضح للقارىء مدى دقته وتحريه في تفسير بعض الآيات ببعض، حيث وضع كل آية مع ما يناسبها، وفسر كل آية بما يوضحها من الآيات، فلا يكاد يذكر آية في تفسير أخرى إلا وبينهما مناسبة وعلاقة من أي وجه من الوجوه، سواء كانت هذه المناسبة وتلك العلاقة واضحة أم خفية، ولاشك أن هذا العمل يحتاج

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤٤.

(٢) «التفسير» ٤: ١١، وانظر فيما رواه عن عبدالرحمن بن زيد ٢: ١٧٦ وعن ابن جريج ١: ٨٨ وعن الربيع ٤: ٥٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٥) «التفسير» ١: ٧٧.

إلى جهد فكري كبير. كما تبين لنا مدى أهمية تفسير القرآن بالقرآن وما يشتمل عليه القرآن من بيان وإيضاح لبعض آياته ببعض، مما يدل على أهمية حفظ القرآن الكريم والإلمام بآياته لمن يريد تفسير القرآن، حيث إن المفسِّر لن يعطي هذا المصدر التفسيري حقه ما لم يكن حافظًاملمًا إلمامًا تامًا بآيات القرآن الكريم .

وكما أشرت سابقًا أن من الصعب استقصاء جميع أوجه وجوانب تفسير القرآن بالقرآن في تفسير ابن كثير، لأنها مما لا يحصى كثرة فاستقصاؤها يحتاج إلى بحث مستقل، والله أعلم.

---

(١) ص٨٥.

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالسنة

مكانة السنة من القرآن الكريم:

تعتبر السنة النبوية بيانًا وإيضاحًا للقرآن الكريم إضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن منزلة السنة من القرآن هي التفسير والإيضاح والبيان.

وقال عليه الصلاة والسلام - فيما أخرجه أحمد وأبو داود من حديث المقدام بن معد يكرب الكندي مرفوعًا: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لايحل الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٤.

لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»[١].

وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[٢] إنما هي السنة[٣].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن أعياك ذلك ـ يعني تفسير القرآن بالقرآن ـ فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن . . »[٤]، ويمضي ابن تيمية بعد هذا فيقول: «والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: (**بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد قال: أجتهد رأيي، قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**)، وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد»[٥].

---

(١) «سنن أبي داود» ٢: ٥٠٥ كتاب السنة، وانظر «المسند» ٤: ١٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ٣: ٨٧ـ ٨٨ وكذا ٥: ١٥ـ ١٦ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر، و«تفسيرابن كثير» ١: ٢٨، ٥٥٤، قال أحمد شاكر «تفسير الحكمة بالسنة هو الحق الصحيح» انظر «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١: ٢٧١.

(٤) انظر «الرسالة» للشافعي ص٨٦ـ ٨٧، ١٠٣، وكتاب «الشافعي» للشيخ محمد أبي زهرة ص٢٣٠ فما بعدها.

(٥) «مقدمة في أصول التفسير» ص٩٣ـ ٩٥.

القدر الذي فسره الرسول ﷺ من القرآن الكريم:

وقد اختلف العلماء في القدر الذي فسره رسول الله ﷺ من آيات القرآن في السنة النبوية[١]، وهل يتناول هذا التفسير جميع القرآن أم القليل منه، والقول الحق أن الرسول ﷺ فسر وبين الكثير من آيات القرآن الكريم، ولولا بيانه ﷺ ما استطاعت الأمة أن تفهم كثيرًا من أحكام الدين كأحكام الصلاة والزكاة والحج ونحوها.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يعلم أن الرسول ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢] يتناول هذا وهذا»[٣].

ولا يمكن حمل كلام ابن تيمية هنا على أن الرسول ﷺ بين معاني جميع نصوص القرآن بل إن مراده بيان الكثير منه، لأنه قد ذكر من بين طرق التفسير تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين[٤]، وليس كل ما قالوه في التفسير متلقى عن الرسول ﷺ، بل إن منه ماتكلموا فيه باجتهادهم، ولو كان يرى أن الرسول ﷺ فسر جميع نصوص القرآن ما اعتبر أقوال الصحابة والتابعين من مصادر التفسير، لأنه لا حاجة بنا

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ٨٧- ٨٩ الطبعة السابقة، و«التفسير والمفسرون» ١: ٤٩- ٥٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) «مقدمة في أصول التفسير» ص٣٥.

(٤) انظر المصدر السابق ص٩٥ وما بعدها.

إليها مع تفسير الرسول ﷺ وبيانه، وإنما مقصوده أن الرسول فسر لأصحابه الكثير من معاني القرآن، وكل ما دعت الحاجة إلى تفسيره، ويتمثل هذا غالبًا في توضيح وبيان آيات الأحكام، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والإجابة على الأسئلة التي توجه إلى النبي ﷺ حول آيات القرآن الكريم، وتفسير بعض الآيات على جهة الإيضاح والبيان ونحو ذلك .

اهتمام ابن كثير في تفسيرالقرآن بالسنة :

ونظرًا لما للسنة النبوية المطهرة من أهمية في تفسير القرآن، ولما اشتملت عليه من إيضاح وتفسير وبيان لآيات التنزيل فقد سار ابن كثير على اعتبارها المصدر الثاني للتفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، كماهي طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم من مفسري السلف، وكمارسم ذلك شيخه ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير .

فنرى الحافظ ابن كثير بعدما ينتهي من تفسير القرآن بالقرآن ينتقل إلى التفسير بالسنة الواردة عن الرسول ﷺ، فيذكر الأحاديث التي تفسر وتوضح معنى الآية، والتي لها علاقة بالآية من أي وجه من الوجوه، كما كانت طريقته في تفسير القرآن بالقرآن .

ابن كثير قد يروي عن شيوخه بالإسناد المتصل إلى النبي ﷺ :

ويعتمد في نقل الأحاديث على كتب السنة ودواوينها ومصادرها، وقد يروي بالإسناد المتصل إلى النبي ﷺ وهذا قليل جدًا، ومن أمثلته

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ...﴾[١]، حيث ساق بعض الروايات في عدد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ منها ما رواه أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا محمد ابن ثابت العبدي، حدثنا محمد بن خالد الأنصاري، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا**»، ثم قال ابن كثير بعد سياقه: «وقد رويناه عن أنس من وجه آخر، فأخبرني الحافظ أبو عبدالله الذهبي أخبرنا أبو الفضل بن عساكر، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصفّار، أخبرتنا عمة أبي عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفّار، أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي، حدثاالإمام الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل**»، وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم»[٢].

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٦٣ـ ١٦٥.

(٢) «التفسير» ١: ٥٨٦.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾[1] قال: «وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي قراءة عليه وأناأسمع، أخبرنا أبو إسحاق المدرجي، أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي، أخبرناأبو سعد الكنجدروذي[2]، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا هارون بن عبدالله، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس، عن الحسن بن محمد بن عبيدالله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج: يا حسن حدثني جدك عبيدالله بن أبي يزيد، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت، فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وضع بها عني وزرًا، واقبلها مني كماقبلتها من عبدك داود، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة**» رواه الترمذي عن قتيبة، وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد، كلاّهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»[3].

وعندما ساق الحديث الوارد في سبب نزول سورة الصف وهو

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٢) في طبعة دار الشعب «الكنجروذي».

(٣) «التفسير» ٤ : ٣١.

سؤال الصحابةعن أحب الأعمال إلى الله، وبعد أن ذكر بعض رواياته قال: «قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو المنجا عبدالله بن عمر بن اللتي، أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزي، قال: أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرناعيسى بن عمر بن عمران السمرقندي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي بجميع مسنده، أخبرنا محمد بن كثير الأوزاعي . . . فذكر بإسناده مثله، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار، ولم يقرأها لأنه كان أميًا، وضاق الوقت عن تلقينهاإياه، ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ رحمه الله ـ، أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان بن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المنجا بن اللتي . . . فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه، وقرأها عليّ بكمالها ولله الحمد والمنة»[1].

أوجه تفسير القرآن بالسنة:

كما تعددت أوجه تفسير القرآن بالقرآن فكذلك أوجه تفسير القرآن بالسنة كثيرة متعددة، منها ما يلي:

أ ـ فمن السنة ما جاء بيانًا لمجمل القرآن: بأن ترد بعض الآيات

---

(١) «التفسير» ٤: ٣٥٧.

مجملة ثم يأتي بيانها وتفصيلها في السنة، ولهذا أمثلة كثيرة في تفسير الحافظ ابن كثير، منها تفسيره الآيات الواردة في أحكام الحج والعمرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾(١)، وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾(٢)، حيث فسر هذه الآيات بفعل الرسول ﷺ في حجته وعمره وفعل الصحابة معه، وتقريره لهم، وأمره لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكيفية أداء هذه المناسك، وإجاباته على تساؤلاتهم، وبيانه لجميع مناسك الحج والعمرة(٣).

ب ـ **ومنها: ماجاء لتوضيح مشكل**: ومن أمثلة هذا في تفسير ابن كثير ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾(٤) حيث ساق الحافظ ابن كثير ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية أنه قال: «**إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل**»، وقد أشكل على بعض الصحابة المراد من الآية حتى أخذ بعضهم يعمد إلى خيطين، أو عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فيربطهما في رجليه، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ويميز الأسود من الأبيض، فإذا تبين له ذلك أمسك عن الأكل، فبين لهم الرسول ﷺ معنى هذه الآية والمراد بها(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.
(٣) انظر «التفسير» ١: ١٩٨ـ ١٩٩، ٢٣٠ـ ٢٤٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٢٢١.

جـ ـ ومنها ما جاء مخصصاً لعموم بعض آي القرآن: ومن أمثلة هذا تخصيص قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[(١)]، بماجاء في السنة في تحديد قدر النصاب الذي تقطع به يد السارق، كما هو مذهب الجمهور في اشتراط النصاب، من ذلك ما رواه الشيخان البخاري ومسلم من طريق الزهري، عن عمرة، عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا**».

ولمسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا**»، وكذا مارواه أحمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك**»، وفي لفظ النسائي: «**لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن**»، قيل لعائشة: «ما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار»[(٢)]، فهذه الأحاديث مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾، فيخرج ما دون النصاب فلا قطع فيه، خلافًا للظاهرية.

وكذلك تخصيص الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[(٣)]، لقوله ﷺ فيما رواه البخاري عن ابن مسعود:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٢) «التفسير» ٢: ٥٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

«**إنماهو الشرك**»[١].

د ـ **ومنها ما جاء تقييدًا لبعض آيات القرآن**: فمن ذلك تقييد اليد في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[٢] باليمين، فقد روى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو قال: «سرقت امرأة حليًا، فجاء الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة، فقال رسول الله ﷺ: «**اقطعوا يدها اليمنى**»، وفي رواية للإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**اقطعوا يدها**» فقالوا: نحن نفديها بخمسمائة دينار فقال: «**اقطعوا يدها**» فقطعت يدها اليمنى..» الحديث، قال الحافظ ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في الصحيحين عن عائشة: أن قريشًا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ»، وذكر تمام الحديث برواياته، وقد أشار ـ رحمه الله ـ إلى المروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأها: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما) ثم قال: «وهذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقًا لها، وهو مستفاد من دليل آخر»[٣]، ومراده بذلك ما ورد في سنة الرسول ﷺ قولا وفعلا بقطع اليمين، كما دلت عليه الأحاديث السابقة وغيرها.

هـ ـ **ومنها ما جاء لبيان معنى مفردة أو جملة**: كبيانه معنى القوة في

---

(١) «التفسير» ٢: ١٥٢ـ ١٥٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٣) «التفسير» ٢: ٥٥ـ ٥٧.

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]، بقوله ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**»[٢].

وبيان أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى. كما جاء بحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه[٣].

وكذا بيانه لقوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[٤] بقوله ﷺ فيما رواه البخاري[٥] عن أبي هريرة قال: «**قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على استاههم فبدلوا وقالوا: حبة في شعرة**»، وفي رواية عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على استاههم، فقالوا: حبة في شعرة**»، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا حديث صحيح رواه البخاري عن إسحاق بن نصر، ومسلم عن محمد بن رافع، والترمذي عن عبدالرحمن بن حميد، كلهم عن عبدالرزاق به، وقال الترمذي: حسن صحيح»[٦].

و ـ ومنها ما جاء بيانًا لنسخ آية بأخرى: ومن أمثلة هذا بيانه ﷺ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٢) «التفسير» ٢: ٣٢١.
(٣) انظر «التفسير» ١: ٢٩ـ ٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآيتين: ٥٨ـ ٥٩.
(٥) في كتاب التفسير ـ حديث ٤٤٧٩.
(٦) «التفسير» ١: ٩٩.

نسخ آية الوصية للوالدين والأقربين بآيات المواريث بقوله: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**»[(١)].

وهذا على قول الجمهور بأن قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(٢)] نسخت بآيات المواريث.

ويرى بعض أهل العلم بأن آية الوصية محكمة خصصتها آيات المواريث بمن لا يرث من الوالدين والأقربين وممن ذهب إلى هذا الطبري والرازي والعلامة السعدي وشيخنا محمد بن صالح العثيمين[(٣)].

ومن ذلك بيان نسخ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[(٤)] بقوله ﷺ: «**خذواعني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»، فقد بين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث نسخ الحبس والإمساك في البيوت، وذلك بجلد غير المحصن مائة جلدة قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ

---

(١) «التفسير» ١: ٢١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.
(٣) انظر تحقيق هذه المسألة في «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس بتحقيقنا: ١: ٤٨٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٥.

﴿مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[١]، وبالرجم للمحصن كما في الآية المنسوخة تلاوة والباقية حكمًا: **(والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)**[٢] وكما رجم ﷺ **ماعزًا والغامدية واليهوديين**[٣]. والنسخ في هذين المثالين وقع في القرآن لا في السنة وإنما الذي وقع في السنة هو بيان هذا النسخ.

ز ـ ومنها ماجاء موافقًا لما جاء في القرآن لغرض تأكيد الحكم وتقويته: ومن أمثلة هذا ما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل**»[٤]، فهذا الحديث يوافق قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾[٥]، من حيث إن في كل من الآية والحديث نفي تكليف ما لا قدرة للإنسان على التحكم فيه وهو حديث النفس.

هذه بعض النماذج والأمثلة في تفسير الحافظ ابن كثير للقرآن بالسنة

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) هذا النص لم يرد في أصح الروايات كرواية البخاري وغيره فلا يصح الجزم بأن هذا هو لفظ الآية المنزلة بشأن الرجم خاصة وأن هذا النص روي بأكثر من لفظ فهو مضطرب، وأيضًا ففيه ترتيب الرجم على الشيخوخة بينما المستقر في الإسلام أنه مرتب على الإحصان وأخيرًا ليس على هذا النص مسحة القرآن وأسلوبه. وانظر بسط الكلام على هذا النص وتخريجه تخريجًا تامًا في المصدر السابق ١: ٤٣٦ـ ٤٣٨.

(٣) انظر «التفسير» ١: ٤٦٢، ٢٦٠ـ ٢٦١. وانظر أيضًا تحقيق الكلام في نسخ هذه الآية وأن الراجح أنها محكمة إلا أن العمل بها قد انتهى «الناسخ والمنسوخ» للنحاس بتحقيقنا ١: ١٦٨.

(٤) انظر «التفسير» ١: ٣٣٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

وهي وإن اختلفت تسميتها فكلها ترجع إلى كون السنة النبوية بيانًا وإيضاحًا للقرآن الكريم .

هذا ومن أهم الجوانب التي برزت في تفسير الحافظ للقرآن بالسنة ما يلي:

الأول: اهتمامه بمناقشة الأسانيد والمتون: ويتمثل ذلك في أمور منها:

١ـ بيان صحيح الأسانيد والمتون وضعيفها :

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا** . . الآية﴾[١]، حيث بين صحة إسناد الحديث الذي رواه الإمام أحمد: أنبأنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري عن عبدالله بن عبدالله، عن رجل من الأنصار، أنه جاء بأمة سوداء، فقال يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقها، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أتشهدين أن لا إله إلا الله؟**» **قالت نعم، قال**: «**أتشهدين أني رسول الله؟**» **قالت: نعم، قال**: «**أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟**» **قالت: نعم، قال: (أعتقها)**. قال الحافظ ابن كثير بعد سياق هذا الحديث: «وهذا إسناد صحيح، وجهالة الصحابي لا تضره»[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٢) «التفسير» ١ : ٥٣٤.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾[١] أورد ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد، وسهل بن سعد بطرق متعددة مختلفة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها**» ثم قال: «فهذا الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝١١٦﴾[٣]، ذكر الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم قال: أخبرنا يوسف بن عبدالأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجًا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة**»، قال الحافظ ابن كثير: «وكذا رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج بإسناده مثله» ثم قال: «ولكن في هذاالإسناد ضعف لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم، وكثيرًا ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة، فلا يغتر بها، فإن السند ضعيف»[٤].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.
(٢) «التفسير» ٤ : ٢٨٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٦.
(٤) «التفسير» ١ : ١٦١.

كما قال ـ رحمه الله ـ في حديث: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**»: «لا أصل له»[١]، وقال أيضًا عن حديث: «**تزوجوا فقراء يغنكم الله**»: «لا أصل له، ولم أره بإسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن . . »[٢].

وقد يكتفي بالإشارة إلى أن هذا الحديث فيه أو في إسناده نظر ويسكت عن بيان ذلك: وهذا موجود كذلك بالنسبة للآثار والأقوال[٣]، ولا شك أنه ـ رحمه الله ـ بهذه الإشارة إلى أن هذا الحديث أو السند أو القول فيه نظر ـ وضع لنا إشارة تنبهنا لكي نقف عندها، ونحقق ونبحث حتى يتضح ويتبين لناالأمر في ذلك، وحبذا لو أنه ـ رحمه الله ـ وضح لنا ذلك فكفانا مؤنة البحث والتنقيب، في زمن قصرت فيه الهمم وكلَّت فيه العزائم .

٢ـ ومنها بيان أحوال كثير من الرواة وبيان الثقة منهم من غيره:

فمن الرواة الذين وثقهم عثمان بن صالح المري كما في حديث «المحلل» عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ، قال أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المري، أخبرنا أبي . . . قال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بالتيس المستعار**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**هو المحلِّل لعن الله المحلِّل والمحلَّل له**»، قال ابن كثير بعد سياقه« تفرد به ابن ماجه، وكذا

(١) «التفسير» ١ : ٣٠.

(٢) «التفسير» ٣ : ٢٨٧.

(٣) انظر «التفسير» ١ : ١٢، ٢١٣، ٣١٠، ٤٥٧، ٢ : ١١.

رواه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن عثمان بن صالح، عن الليث به، ثم قال: كانوا ينكرون على عثمان في هذا الحديث إنكارًا شديدًا» ثم عقب على هذا بقوله: «قلت: عثمان هذا أحد الثقات روى عنه البخاري في صحيحه . . .»[1].

أما الرواة الذين ضعفهم فهم كثيرون، منهم ابن لهيعة فقد قال عنه إنه ضعيف في عدة مواضع[2].

ومنهم محمد بن السائب الكلبي فقد قال عنه: ساقط بمرة[3].

ومنهم داود بن المحبِّر فقد بين أنه أحد الوضاعين للحديث[4].

كما قال عن حصين بن مخارق إنه متهم بالوضع[5].

وقد يتوقف ـ رحمه الله ـ في الحكم على بعض الرواة بجرح أو تعديل: كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل**»، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا غريب، من هذا الوجه وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون، إلا أحمد بن طارق هذا فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، والله أعلم»[6].

---

(١) «التفسير» ١: ٢٧٩.
(٢) انظر «التفسير» ١: ٣٨٣، ٥٢١.
(٣) انظر «التفسير» ٣: ٢٢.
(٤) انظر «التفسير» ٤: ٣١٦.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٢٣٦.
(٦) «التفسير» ١: ٥٨٦.

كما قال عن سعد أبي غيلان الشيباني: «وسعد هذا لا أعرفه»[١].

وقال عن شيخ حريز بن عثمان، وهو نعيم بن نمحة: «لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حريز كلهم ثقات»[٢].

وهذا يدل على أمانته ـ رحمه الله ـ فيمايقوله وينقله، واحترازه عن القول بلا علم. ومن الملاحظ أن الحافظ ابن كثير قد استفاد كثيرًا من كلام المحدثين على بعض الأحاديث وفي بعض الرواة وناقشهم في بعض المواضع: من ذلك مناقشته للإمام للحاكم عندما أورد ما رواه البخاري في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأم إسماعيل، حينماوضعها عند البيت، وذكر الآثار الواردة في ذلك حيث قال: «والعجب أن الحافظ أبا عبدالله الحاكم رواه في كتابه المستدرك عن أبي العباس الأصم، عن محمد بن سنان القزاز، عن أبي علي عبدالله بن عبدالمجيد الحنفي، عن إبراهيم بن نافع به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كذا قال، وقد رواه البخاري كما ترى من حديث إبراهيم بن نافع، وكأن فيه اختصارًا، فإنه لم يذكر فيه شأن الذبح، وقد جاء في الصحيح: «**أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة**»، وقد جاء: «**أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان يزور أهله بمكة على البراق سريعًا ثم يعود إلى أهله بالبلاد المقدسة**» والله أعلم ـ والحديث والله أعلم ـ أن ما

---

(١) «التفسير» ٢: ٢٥١.
(٢) «التفسير» ٤: ٣٤٢.

فيه مرفوع، أماكن صرح بها ابن عباس، عن النبي ﷺ»[١].

كما ناقش الإمام الترمذي في إرساله حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل، في قصة الرجلين اللذين استبا عند النبي ﷺ حيث قال الترمذي: «مرسل، يعني أن عبدالرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل، فإنه مات قبل سنة عشرين»، قال ابن كثير: «(قلت): وقد يكون عبدالرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب وبلغه عن معاذ بن جبل، فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ»[٢].

وعندما أورد ما قاله النسائي: حدثناعثمان بن عبدالله، حدثنا سليمان بن عبدالرحمن من كتابه، عن عبدالملك بن محمد الصنعاني، عن سعيد بن عبدالعزيز، عن الزهري، عن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**استحيوا من الله حق الحياء، لا تأتوا النساء في أدبارهن**» قال: «تفرد به النسائي من هذا الوجه، قال حمزة بن محمد الكناني الحافظ: هذا حديث منكر باطل من حديث الزهري، ومن حديث أبي سلمة، ومن حديث سعيد، فإن كان عبدالملك سمعه من سعيد فإنما سمعه بعد الاختلاط، وقد رواه الزهري عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك، فأماعن أبي هريرة عن النبي ﷺ فلا»، قال الحافظ ابن كثير بعد سياقه: «وقد أجاد وأحسن

---

(١) «التفسير» ١ : ١٧٨.

(٢) «التفسير» ١ : ١٤ وانظر ١١٧.

الانتقاد، إلا أن عبدالملك بن محمد الصنعاني لا يعرف أنه اختلط، ولم يذكر ذلك أحد غير حمزة الكناني، وهو ثقة ـ يعني عبدالملك ـ ولكن تكلم فيه دحيم وأبو حاتم، وابن حبان وقال: لا يجوز الاحتجاج به، والله أعلم، وقد تابعه زيد بن يحيى بن عبيد بن سعيد ابن عبدالعزيز، ورُوي من طريقين آخرين لا يصح منهما شيء»(١).

ومما يدل على اهتمامه أيضًابمناقشة الأسانيد والمتون حرصه على سرد طرق الحديث ورواياته وشواهده، لكي يشد بعضها بعضًا ويقويه ويشهد بعضها لبعض، ومن أمثلة هذا سرده لطرق حديث: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**» عند تفسيرقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾(٢) فقد ساق عدة طرق لهذا الحديث عن سعيد بن زيد، وأبي هريرة، وجابر(٣).

ومن ذلك ماجاء عند كلامه على قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٤)، حيث أورد عدة أحاديث في النهي عن إتيان النساء في أدبارهن من طرق ووجوه مختلفة، يشهد بعضها لبعض(٥).

٣ـ ومنها ذكرمخرِّجي الأحاديث من أهل الصحاح والسنن والمسانيد

وذكر كلامهم في تصحيح بعض الأحاديث، وذكر من روى

---

(١) «التفسير» ١: ٢٦٣ـ ٢٦٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٧.
(٣) «التفسير» ١: ٩٥ـ ٩٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٥) «التفسير» ١: ٢٦٣ـ ٢٦٤، وانظر ٣: ٢ـ ٢٣.

الحديث من الصحابة رضي الله عنهم :

فمن الأول عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[١]، حيث أورد ما رُويَ عن أبي أيوب الأنصاري في سبب نزول الآية، ثم قال: «رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وعبد بن حميد في صحيحه، والحاكم في مستدركه، كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال الحاكم: على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٢].

كما ذكر مخرّجي حديث البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» فقال بعد سياقه: «وقد روى هذا الحديث الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل، وأهل السنن الأربع، وصححه البخاري، والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، وغيرهم، وقد رُوي عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ بنحوه»[٣].

ومن الثاني وهوذكر من رُوي الحديث عنهم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ماجاء في حديث الإسراء والمعراج[٤].

وهو حينما يعمد إلى ذكر الحديث ورواياته ومخرجيه ومن رواه من الصحابة فإنه إنما يفعل ذلك لفائدة تعود على متن الحديث وسنده، وقد يصرح بذلك أحيانًا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٢) «التفسير» ١: ٢٢٨ـ ٢٢٩.
(٣) انظر «التفسير» ٢: ١٠٢.
(٤) انظر «التفسير» ٣: ٢٣٢.

٤ـ ومنها حرصه على حشد أكبر قدر ممكن من الأحاديث في كثير من المناسبات:

ومن ذلك ما ذكره في فضل أمة محمد ﷺ[١]، وفي كظم الغيظ[٢]، وفي ذم الغلول والظلم[٣].

وقد يعقد عنوانًا خاصًا لذكر الأحاديث حول الآية، كما في ذكره للأحاديث الواردة في تحريم الزواج لأجل التحليل[٤]، وكذلك الأحاديث الواردة في الإسراء[٥]، وعند ركوب الدابة[٦].

٥ـ ومنها التنبيه على ما قد يحصل من التباس في بعض الأسانيد أو خطأ في بعض المتون:

فمن الأول ما جاء عند ذكر ما ورد في فضل الفاتحة، حيث أورد الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: حدثنايحيى بن سعيد، عن شعبة، حدثني خبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت**..» وذكر الحديث بطوله، ثم استمر في ذكر من رواه من المحدثين ـ إلى أن قال: «وقد وقع في الموطأ للإمام

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٣٩٢ـ ٣٩٣.
(٢) انظر «التفسير» ١: ٤٠٥ـ ٤٠٦.
(٣) انظر «التفسير» ١: ٤٢٢ـ ٤٢٣، وانظر أيضًا ٢: ٥٣، ١٩٤ـ ١٩٥، ٣: ٤٩٣، ٥٠٧.
(٤) انظر «التفسير» ١: ٢٧٩.
(٥) انظر «التفسير» ٣: ٢ـ ٢٣.
(٦) انظر «التفسير» ٤: ١٢٣.

مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ ما ينبغي التنبيه عليه، فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب الحرقي، أن أبا سعيد مولى عامر بن كريزأخبرهم أن رسول الله ﷺ: «**نادى أبي بن كعب، وهو يصلي في المسجد، فلما فرغ من صلاته لحقه قال: فوضع النبي ﷺ يده على يدي**..» الحديث، ثم قال الحافظ ابن كثير: فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى، كمااعتقده ابن الأثير في جامع الأصول ومن تبعه فإن ابن المعلى صحابي أنصاري، وهذا تابعي من موالي خزاعة، وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فإن كان قد سمعه منه، فهو على شرط مسلم، والله أعلم»[١].

ومن الثاني: وهو التنبيه على خطأ وقع في متون بعض الأحاديث ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ** ﴾[٢]، فبعد أن أوردالحديث الصحيح الثابت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر**» قال بعد سياقه: «ومن روى (إلا باب علي) كما وقع في بعض السنن فهو خطأ، والصواب ما ثبت في الصحيح»[٣].

وكل هذه الأمور المتقدمة من حرصه على بيان صحيح الأسانيد والمتون وضعيفها وبيان أحوال الرجال، وحرصه على سرد طرق

---

(١) «التفسير» ١: ٩ـ ١٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٣) «التفسير» ١: ٥٠١.

الحديث ورواياته وذكر مخرجيه ومن رواه من الصحابة، وعلى حشد أكبر قدر ممكن من الأحاديث في بعض المناسبات، وبيان ما قد يقع من خطأ في نقل بعض الأسانيد والمتون ـ كل هذه الأمور تدل على اهتمامه بنصوص السنة النبوية الكريمة ودفاعه عنها، واهتمامه بإظهار صحتها وتواترها وأخذ بعضها برقاب بعض، وحرصه على إبراز قوة المعاني والأحكام التي دلت عليها الأحاديث النبوية، مع التنبيه على ما لم تثبت صحته منها، اللهم إلا في بعض مواضع قليلة ساق فيها بعض الأحاديث الضعيفة والمنقطعة والمرسلة دون أن ينبه عليها، كما ساق بعض الأحاديث بدون تخريج أو إسناد.

أمثلة لأحاديث ضعيفة أو منقطعة أو مرسلة ساقها الحافظ ابن كثير ولم ينبه عليها، وأحاديث أوردها بدون تخريج أو إسناد.

فمن الأحاديث الضعيفة التي لم ينبه عليها ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[1]، وهو مارواه الحاكم، عن زيد بن ثابت، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قرأ (كيف ننشزها) بالزاي ثم قال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[2].

فهذا الحديث ضعفه أكثر الأئمة قال الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير»[3]، بعدما ساق هذا الحديث: «تعقبه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) «التفسير» ١ : ٣١٤.

(٣) «التفسير» ٢ : ١٦٩ـ ١٧٠.

الذهبي بتضعيف أحد رواته، فإن في إسناده إسماعيل بن قيس ابن سعد بن زيد بن ثابت، وهو ضعيف جدًا، قال البخاري في «الكبير»: «منكر الحديث»، وكذا قال في «الضعفاء»، وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث، يحدث بالمناكير، لا أعلم له حديثاً قائمًا، قال أحمد شاكر: ولم يكن من شرطنا إثبات مثل هذا الحديث الواهي في «عمدة التفسير» لولا أن جاء به الحافظ ابن كثير ليحكي به القراءة بالزاي، ثم ينقل تصحيح الحاكم إياه، ولا يعقب عليه، والقراءة بالزاي ثابتة ثبوت القطع في القراءات السبع وغيرها. . .» .

ومن الأحاديث المنقطعة التي ساقها: ما رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال سلمان الفارسي: (سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم، وعبادتهم فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾[1][2]. قال أحمد شاكر: «إسناده منقطع، مجاهد لم يسمع من سلمان الفارسي»[3].

ومن الأحاديث المرسلة التي ذكرها بدون بيان أنها مرسلة: ما رواه ابن جريج قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أمروا بأدنى بقرة، لكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم، وايم الله لو أنهم لم يستثنوا ما بينت**

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٦٢ـ ٦٣.

(٢) «التفسير» ١ : ١٠٣.

(٣) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ١٥٩.

لهم آخر الأبد»[١]، فهذا الحديث مرسل، لعدم التصريح بذكر الصحابي الذي رواه عن النبي ﷺ، قال أحمد شاكر: «هذا الحديث ـ المرفوع ـ مرسل لا تقوم به حجة. .»[٢].

ومن الأحاديث التي ساقها بدون تخريج، حديث ابن مسعود قال: «من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٣]»[٤].

قال أحمد شاكر: «لم يخرجه الحافظ ابن كثير وذكره السيوطي بلفظ (من سره أن ينظر إلى وصية محمد. .) إلى آخره، ونسبه للترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»»[٥].

ومن الأحاديث التي ساقها ولم يسندها لراو حديث: «تحاجت الجنة والنار»، وحديث: «استأذنت النار فقالت: أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف»[٦].

ويبدو أنه إنما يتساهل في ذكر المخرج أو الراوي في بعض

---

(١) «التفسير» ١ : ١١٠.
(٢) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ١٦٤.
(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ـ ١٥٣.
(٤) «التفسير» ٢ : ١٨٧.
(٥) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٥ : ١٢٢.
(٦) «التفسير» ١ : ٦١.

الأحاديث المشتهرة فقط دون غيرها وذلك قليل.

كما يلاحظ أنه وإن صحح بعض ما يقع من خطأ أوسهو في بعض الأسانيد ومتونها فقد حصل منه السهو أيضًا: من ذلك سهوه في نسبة الحديث الذي رواه مسلم عن أبي ذر: «**أوصاني خليلي ﷺ أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف**»[١]، وجعله من رواية مسلم عن أبي هريرة[٢]، كما سها أيضًا في روايته متن الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عادى لي وليًا فقد بارزني في الحرب**»[٣]. قال أحمد شاكر: «الحديث حديث قدسي كما هو ظاهر وهو في البخاري ولفظه: «**إن الله تعالى: قال من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب**» فالمؤلف سها حين أثبت كلمة (بارزني) بدل (آذنته)»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[٥]، وعد بذكر بعض الأحاديث، فسها ولم يذكرها[٦].

غالب ما ذكره الحافظ ابن كثير من الأحاديث الضعيفة في تفسيره إنما هو في الفضائل والترغيب والترهيب ونحو ذلك: هذا ومع أن ابن

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٥١٧.
(٢) انظر «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٣: ٢٠٦.
(٣) انظر «التفسير» ١: ١٣٢.
(٤) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١: ١٨٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٦.
(٦) انظر «التفسير» ٢: ٣٥٦.

كثير أورد بعض الأحاديث الضعيفة في تفسيره، فإن غالب مايورده من ذلك في الفضائل، والترغيب والترهيب، ونحو ذلك مما قد يتسامح فيه، كما قال عندما ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها**» قال: «وروي هذا مرفوعًا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ، ولكن في أسانيدها ضعف» ثم قال: «إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه»[١].

وقد يستأنس الحافظ ابن كثير ببعض الأحاديث الضعيفة إذا جاءت من عدة طرق وروايات يشد بعضها بعضًا ويشهد له، كما قال إجابة على كلام ابن عبدالبر في أن الأحاديث الواردة في حكم أولاد الكفار ونحوهم ليست قوية ولا يقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرونها قال: «الجواب عما قال: إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها»[٢].

وبعد ما ساق طرق الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[٣]، قال: «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة

---

(١) «التفسير» ٣: ٢٨٢.

(٢) «التفسير» ٣: ٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

ومتصلة يشد بعضها بعضًا، والله أعلم»[١].

وعندما بين ضعف أبي هارون العبدي عُمارة بن جوين عند الأئمة قال: «وإنماسقنا حديثه لما فيه من الشواهد لغيره . . »[٢].

وقد يذكر بعض الأحاديث الضعيفة لأجل التنبيه على ضعفها[٣].

لم يقع الحافظ ابن كثير فيما وقع فيه بعض المفسرين من إيراد الأحاديث الضعيفة في فضائل السور والآيات: ومما تجدر الإشارة إليه في هذا أن الحافظ ابن كثير لم يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين من إيراد الأحاديث الموضوعة في فضائل السور والآيات، والتي تذكر غالبًا في أواخر السور كقولهم من قرأ سورة كذا فله كذا. . الخ، وماساقه من أحاديث في التقديم لبعض السور وعند بعض الآيات فغالبه مقبول بين الصحيح والحسن، وإن أورد الضعيف فإنما ليبين ضعفه غالبًا، وقد يشير إليها فقط ويحذر منها دون ذكرلها، فمثلاً عند كلامه على آية الكرسي ساق عدة أحاديث في فضلها[٤]، ثم قال: «وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصارًا لعدم صحتها، وضعف أسانيدها، كحديث علي في قراءتها عند الحجامة: «**إنماتقوم مقام حجامتين**»، وحديث أبي هريرة في كتابتها في اليد اليسرى بالزعفران سبع مرات،

---

(١) «التفسير» ٢: ١٧٤.
(٢) «التفسير» ٣: ١٣.
(٣) انظر «التفسير» ١: ١٤، وكذا ٢: ٢٧٤ـ ٢٧٥، وكذا ٣: ٥٧٠.
(٤) انظر «التفسير» ١: ٣٠٤ـ ٣٠٨.

وتلحس للحفظ وعدم النسيان، أوردهما ابن مردويه، وغير ذلك»[١].

وهو في الغالب يذكرمثل هذه الأحاديث في مقدمة الكلام على السورة بعد أن يذكر اسم السورة، ومكان النزول ووقته وسببه، وما صحب هذا النزول من ملابسات إذا وجد ذلك، بعد هذا يذكر ما ورد في فضلها، وفي بيان الأوقات التي تستحب قراءتها فيها في صلاة أو غيرها، مع التنبيه غالبًا على درجتها من الصحة والحسن، وعلى ما في الكثير منها من نكارة وغرابة وضعف[٢]، شأنه فيها شأنه في نقد الأحاديث وأسانيدها عمومًا.

حرص ابن كثير على إيراد الأحاديث الصحيحة فيما يتعلق بالأحكام ونحوها وتشدده في ذلك: وإذا كان الحافظ ابن كثير قد يتسامح في ذكر ما قد يكون فيه بعض الضعف في الترغيب والترهيب ونحوه فإنه يتشدد في أحاديث الأحكام ونحوها، ويحرص على إيراد الأحاديث الصحيحة، فقد بين في أكثر من موضع أن الأحاديث المرسلة لا تعارض النصوص الصحيحة[٣]، وأنها وإن كان يستأنس بها في الترغيب والترهيب ونحوه فإنها لا تقبل في غير ذلك، كبيان الأحكام ونحو ذلك، مالم يكن معها ما يقويها ويشهد لها من الأحاديث المتصلة الصريحة الصحيحة، فعندما ذكر الحديث المروي عن ابن عباس قال:

---

(١) «التفسير» ١: ٣٠٨.

(٢) انظر ما ذكره في أول الكلام على السور الآتية: التغابن، الملك، الطارق، الغاشية، الشمس، الضحى، الصمد، الفلق، الناس.

(٣) انظر «التفسير» ٣: ١١١، ٤: ١٣٧.

قال النبي ﷺ: «**لو لم يقل ـ يعني يوسف ـ الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله**»، وبعد أن بين ابن كثير ضعف هذا الحديث، قال: «وقد رُوي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذا المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم»[(١)].

كما رد الروايات في قصة الغرانيق، وبين أنها كلها مرسلة ومنقطعة[(٢)].

وهذا يعطينا أكبر دليل على تشدد ابن كثير ـ رحمه الله ـ في التمسك بالأحاديث الصحيحة المتصلة خصوصًا في مثل هذه المواضع التي تدور حول عصمة الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ ونحوها، حيث رد المرسلات في هذه المواضع علمًا أنه استشهد بها في مواضع الترغيب والترهيب وذكر الفضائل ونحو ذلك .

الجانب الثاني: من الجوانب التي اهتم بها الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن بالسنة.

بيان عدم التعارض والاختلاف بين آيات التنزيل وما جاء في السنة المطهرة وكذا بيان عدم اختلاف الأحاديث بعضها مع بعض: فمن الأول ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) «التفسير» ٢: ٤٧٩ .

(٢) انظر «التفسير» ٣: ٢٣٠ .

ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1]، حيث قال في الكلام على هذه الآية: «أي أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالبًا على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه،ومن نوى صالحًا ثبت عليه» ثم قال: «وهذا لا يعارض ماجاء في الحديث الصحيح: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: «**ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، ويعمل أهل النار فيما يبدو للناس**»، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾[2][3].

كما جمع بين قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[4]وبين حديث «**أسلم وإن كنت كارهًا**»، وبين عدم التعارض بينهما، فقال عند كلامه على هذه الآية: «وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل: **(أسلم) قال: إني أجدني كارهًا، قال: «ولو**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الليل، الآيات: ٥ـ ١٠.

(٣) «التفسير» ١: ١٨٥ـ ١٨٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

كنت كارهًا»ـ **فإنه ثلاثي صحيح**، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة فقال له: أسلم وإن كنت كارهًا، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص)[١].

ومن الثاني: وهو بيان عدم اختلاف بعض الأحاديث مع بعض ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[٢]، حيث قال: «وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل، حدثني الحارث بن شبيل، عن أبي عمرو الشيباني، عن زيد بن أرقم قال: «**كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي ﷺ في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية** ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾، **فأمرنا بالسكوت**»، رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن إسماعيل به،وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء، حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة، كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال: «كنانسلم على النبي ﷺ قبل أن نهاجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا، قال: فلما قدمنا سلمت عليه فلم يرد علي، فأخذني ما قرب وما بعد، فلما سلم قال: «**إني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة، وإن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تتكلموا في الصلاة**»،

---

(١) «التفسير» ١ : ٣١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة، ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم، فهاجر إلى المدينة، وهذه الآية ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ مدنية بلا خلاف فقال قائلون: إنما أراد زيد بن أرقم بقوله: (كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة) : الإخبار عن جنس الكلام، واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها، والله أعلم، وقال آخرون: إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها، ويكون ذلك قد أبيح مرتين، وحرم مرتين، كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم، والأول أظهر، والله أعلم»[(١)].

كما وفق بين ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر**» وبين ما رُوي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد ﷺ في الحضر أربعا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة، فكما يصلي في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر**» ، حيث قال بعد سياقه حديث ابن عباس : «ولا ينافي ما تقدم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال إن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم، ولكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة كماهو مصرح به في

---

(١) «التفسير» ١ : ٢٩٤ .

حديث عمر ـ رضي الله عنه»[١].

الجانب الثالث: بيان معاني بعض الأحاديث ووجه الدلالة منها:

وقد بين معاني بعض الأحاديث ووجه الدلالة منها في بعض المواضع، فمن الأول بيانه لمعنى قوله ﷺ: «**لكن البغي من بطر أو قال: سفه الحق، وغمط الناس**» حيث قال بعد سياقه: «يعني رد الحق، وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاظم عليهم»[٢].

ومن ذلك أيضًا بيان احتمالات حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٣] فأين النار؟ قال: (**أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء فأين النهار**) **قال: حيث شاء الله قال**: «**وكذلك النار حيث شاء الله عز وجل**»، قال الحافظ ابن كثير بعد سياقه: «يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون المعنى في ذلك: أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عند البزار.

الثاني: أن يكون المعنى: أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا

---

(١) «التفسير» ١ : ٥٤٦.

(٢) «التفسير» ١ : ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

الجانب فإن الليل يكون في الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال عز وجل: ﴿**كعرض السماء والأرض**﴾، والنار أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار، والله أعلم»(١).

ومن الثاني: وهو بيان وجه الدلالة منها: بيانه وجه الدلالة على وجوب التسمية وتحريم متروك التسمية من قوله ﷺ في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه؟ أم لا؟ قال: «**سموا عليه أنتم وكلوا**» قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري، قال الحافظ ابن كثير: «ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لابد منها، وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح، إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد، والله أعلم»(٢).

ومن ذلك: بيان وجه الدلالة من حديث ابن عمر: أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة، فأسلم وأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعًا، قال الحافظ ابن كثير: «ووجه الدلالة من هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾(٣): أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله ﷺ

---

(١) «التفسير» ١ : ٤٠٤.
(٢) «التفسير» ٢ : ١٦٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

سائرهن، في بقاء العشر وقد أسلمن، فلما أمره بإمساك أربع وفراق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال، فإذا كان هذا في الدوام ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى، والله سبحانه أعلم بالصواب»[١].

مدى أهمية تفسير القرآن بالسنة، وعناية ابن كثير فيه واعتماده عليه: ومن خلال ماتقدم اتضح لنا مدى أهمية السنة بالنسبة لتفسير القرآن، وأنه ينبغي لمن يريد تفسير القرآن الكريم أن يكون على جانب كبير من الإلمام بأحاديث الرسول ﷺ حفظًا وفهمًا، وإلا جاء تفسيره ناقصًا، وحكمه قاصرًا، وقوله خاطئًا، حيث أتى الأمر من غير بابه، وفيما مر من الأدلة ما يكفي على اعتبار السنة المصدر الثاني في تفسير القرآن، كما هو معلوم عند الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يومناهذا، وكما سار عليه ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره للقرآن، حيث أعطى هذاالمصدر من مصادر التفسير اهتمامًا عظيمًا، واعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، ففسر القرآن بالقرآن، ثم بالمروي عن الرسول ﷺ من الأحاديث، مع مناقشة الأسانيد والمتون وبيان الصحيح والضعيف منها.

وهذا تمليه عليه ثقافته الواسعة، وعلمه الجم واطلاعه الواسع في الحديث وعلومه مما لم يكن لغيره من المفسرين، ولهذا قال الشيخ أحمد شاكر في وصف تفسير ابن كثير: «فكتابه بجانب أنه تفسير للقرآن

---

(١) «التفسير» ١: ٤٥١.

معلم ومرشد لطالب الحديث يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون، وكيف يميز الصحيح من غيره فهو كتاب ـ في هذا المعنى ـ تعليمي عظيم ونفعه جليل كثير»[١].

ولا غرو في هذا إذا عرفنا أن جل شيوخه الذين أخذ عنهم علومه ممن لهم قدم السبق في هذا المضمار كالحافظين المزي والذهبي وغيرهما، ولهذا السبب نرى غلبة الحديث وعلومه على ثقافته، فجلس لتدريسه، وألف فيه عدة مؤلفات «كاختصار علوم الحديث» لابن الصلاح، و«التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل»، و«جامع المسانيد»، وغيرها مما سبق ذكره في آثاره العلمية.

ونستطيع أن نقول إنه بعمله هذا وبما قدمه من تحليل دقيق في دراسة كثير من الأحاديث وأسانيدها فاق من سبقه من المفسرين كابن جرير وغيره.

---

(١) مقدمة «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ٥.

المبحث الثالث

تفسير القرآن بأسباب النزول[١]

أهمية معرفة أسباب النزول في فهم الآيات:

لمعرفة أسباب النزول أهمية كبرى في فهم معاني آيات القرآن الكريم، بل قد يتوقف فهم معاني بعض الآيات على معرفة سبب النزول: قال الواحدي في مقدمة كتابه «أسباب النزول»: «إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها».

وقال ابن دقيق العيد[٢]: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن».

وقال ابن تيمية[٣]: «ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيّجها وأثارها».

وقدأشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ

---

(١) سبب النزول هو القضية، أو الحادثة التي نزل القرآن من أجلها أيام وقوعها، سواء كان النزول وقت الوقوع أو قريبًا منه.

(٢) «الإتقان» ١: ٢٨.

(٣) «مقدمة في أصول التفسير» ص٤٧.

﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾[١]، وقال: «لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون» حتى بين له ابن عباس: أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، أخرجه الشيخان، وأمثلة هذا كثيرة[٢].

فوائد معرفة أسباب النزول:

ولمعرفة أسباب النزول فوائد كثيرة من أهمها ما ذكره الزركشي[٣]: «معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنهاتخصيص الحكم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، ومنها أن يكون اللفظ عامًا ويقوم الدليل على التخصيص، ومنها دفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال» إلى غير ذلك.

الطريق الصحيح لمعرفة سبب النزول النقل الصحيح عن الصحابة:

أما طريق معرفة سبب النزول فهو النقل الصحيح عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين شاهدوا التنزيل وعاينوا الوقائع والأحداث التي نزل القرآن بشأنها .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٢) انظر «الإتقان» ١ : ٢٨.

(٣) في «البرهان» ١ : ٢٢، وانظر «الإتقان» ١ : ٢٨.

قال الواحدي[١]: «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار».

وقال الزرقاني[٢]: «لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح..».

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: «اتق الله وقل سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن».

وحكم الأخذ بالسبب وقبوله واجب إذا كان الراوي له من الصحابة، وحكمه حكم المسند المتصل المرفوع إلى النبي ﷺ.

قال الحاكم في «علوم الحديث»: «إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح[٣] وغيره».

وقال الزرقاني[٤]: «فإن رُوي سبب النزول عن الصحابي فهو مقبول، وإن لم يعتضد برواية أخرى تقويه، وذلك لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي ﷺ».

---

(١) «أسباب النزول للواحدي» ص٤.
(٢) «مناهل العرفان» ١: ١٠٧.
(٣) انظر «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح» ص٧٠.
(٤) «مناهل العرفان» ١: ١٠٧.

وقد مثلوا هذا بماأخرجه مسلم عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: من أتى امرأة من دبرها في قبلهاجاء الولد أحول فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1]»[2].

حكم سبب النزول المرسل عن التابعي:

أما إذا جاء سبب النزول بحديث مرسل رواه أحد أئمة التفسير من التابعين بدون ذكر الصحابي، فإن اعتضد بمرسل آخر وكان له شواهد تقويه فهو مقبول، وله حكم المرفوع، وأما إذا لم يعتضد بمرسل آخر ولم يكن له شواهد ولا طرق تقويه فهذا لا يجب الأخذ به ولا قبوله.

قال السيوطي[3]: بعدما بين حكم سبب النزول المروي عن الصحابي: «ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضًا، لكنه مرسل، فقد يقبل إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير واعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك».

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على رأي جمهور العلماء. وهو الصحيح.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٢) «الإتقان» ١: ٣١.
(٣) المصدر السابق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرًا ونهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ومن كان بمنزلته».

وقال السيوطي[٢]: «اختلف أهل الأصول هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ والأصح عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها، ثم مثل لهذا بأمثلة منها: نزول آية اللعان في شأن هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم. ثم قال: «قلت ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعًا ذلك بينهم».

اهتمام الحافظ ابن كثير بأسباب النزول، ومناقشته لأسانيدها ومتونها وبيان الصحيح منها من غيره:

ونظرًا لما لأسباب النزول من أهمية عظيمة في فهم معاني آيات القرآن الكريم، ومعرفة الحكمة التشريعية لبعض الأحكام، وإزالة ما

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص٤٧.
(٢) «الإتقان» ١: ٢٩.

قد يرد من إشكال في فهم معاني بعض الآيات لهذا كله نرى المفسرين قد أعطوها العناية التامة والاهتمام الكبير، ونقلها الخلف عن السلف في تفاسيرهم، واعتمدوا عليها في إيضاح معاني كثير من الآيات وقد سار ابن كثير في هذا على نهج المفسرين قبله في العناية بأسباب النزول، والاهتمام بها، ولم يكتف بسرد الروايات المأثورة في أسباب النزول فقط، بل إنه كثيرًا ما يناقشها ويبين الصحيح والراجح من غيره منها من حيث أسانيدهاومتونها مع التعليل لذلك في أغلب المواضع .

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾[1]، أورد أقوال العلماء في سبب نزول هذه الآية، وبين الصحيح منها فروى عن السدي: «أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي جاء إلى رسول الله ﷺ وأظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك» .

وعن ابن عباس: «أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم، فأنزل الله في ذم المنافقين، ومدح خبيب وأصحابه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقيل: «بل ذلك عام في المنافقين كلهم، وفي المؤمنين كلهم»، وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد، وهو الصحيح[3]» .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٣) «التفسير» ١: ٢٤٥ـ ٢٤٦.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(١)، أورد أقوال المفسرين في سبب نزول الآية وبين الأصح منها، فعن ابن عباس ومجاهد وعبدالله بن كثير أنها نزلت في قريش، واختاره ابن جرير، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود، وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف، قال ابن كثير بعد ما ساق هذه الأقوال: «والأول أصح». ثم أخذ في التعليل لذلك فقال: «لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر»(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾(٣) - بين ضعف قول من قال إنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر - فقال في كلامه عليها و«هذا عام، ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - فقوله ضعيف، لأن عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه»(٤).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٥)، ذكر ما رُويَ عن ابن عباس أنه قال: لمانزلت هذه الآية

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٢) «التفسير» ٢: ١٥٦.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.
(٤) «التفسير» ٤: ١٥٨ـ ١٥٩.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: «**فاطمة وولدها ـ رضي الله عنهما ـ**» ثم قال ابن كثير: «وهذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي مخترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية بالمدينة بعيد، فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي ـ رضي الله عنه ـ إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة»[١].

كما ضعف الروايات الواردة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢]، والتي تفيد أن هذه الآية نزلت في علي ابن أبي طالب، فقد ضعفها كلها لضعف أسانيدها وانقطاعها[٣].

ذكر الحافظ ابن كثير سبب النزول برواياته وطرقه:

ولاهتمام ابن كثير ببيان صحة كثير من الأسباب نراه كثيرًا ما يسرد عدة روايات في سبب النزول بطرقها المتعددة، ولهذا أمثلة كثيرة في تفسيره، بل لا تكاد تجده يذكر السبب إلا ويذكر رواياته بطرقها المختلفة والمتعددة، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾[٤]، ـ فقد ذكر سبب النزول لهذه الآية من عدة طرق عن البراء بن عازب وابن

---

(١) «التفسير» ٤: ١١٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٣) انظر «التفسير» ٢: ٧١.
(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٤٢ـ ١٤٣.

عباس ـ رضي الله عنهما ـ[١].

ومن ذلك ما ذكره من الروايات أيضًا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[٢][٣].

وكذا ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[٤][٥] وغير ذلك.

وهدفه في سياقه لهذه الروايات بطرقها لكي يقوي بعضها بعضًا ويشهد له، كما أشار إلى ذلك في بعض المواضع من تفسيره، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٦]، حيث ذكر أن هذه الآيات نزلت في شأن الرسول ﷺ وبعض الصحابة، حينما اختلفت عليهم القبلة فصلوا أو بعضهم إلى غيرها، فنزلت الآيات. وقد ساق ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذا السبب برواياته وطرقه ثم قال: «وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضًا»[٧].

---

(١) انظر «التفسير» ١: ١٨٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) انظر «التفسير»: ٢٢٠ـ ٢٢٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٢٦٠ـ ٢٦٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٧) «التفسير» ١: ١٥٨ـ ١٥٩.

توفيقه وجمعه بين الروايات في سبب النزول:

وكثيرًا ما يوفق ويجمع بين الروايات الواردة في سبب النزول، ويوجه المتعارض منها توجيهًا حسنًا فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1]، أورد في سبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث في المدينة، وهو متوكىء على عسيب، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، قال: فسألوه عن الروح فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكئًا على العسيب، قال: فظننت أنه يوحى إليه فقال:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ **قال: فقال بعضهم: قد قلنا لكم لا تسألوه**»، وهكذا ما رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به. ثم ساق ابن كثير لفظ البخاري وهو بمعنى ما تقدم، ثم قال: «وهذا السياق يقتضي فيمايظهر بادىء الرأي أن هذه الآية مدنية، وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أوأنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية: ﴿ويسألونك عن الروح﴾. ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قاله الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فنزلت: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[١].

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢]، حيث ذكر أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وذكر عدة أحاديث بطرقها على ذلك، ثم أورد بعد ذلك سببًا آخر ذُكِرَ في سبب نزول هذه الآيات، وأنها في القتل والدية والقصاص، وبعد ما أورد السبب الثاني برواياته قال: «وقد روى العوفي وعلي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين الذين زنيا، كماتقدمت الأحاديث بذلك. ثم قال ابن كثير: وقد يكون اجتمع السببان في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم»[٣].

الحافظ ابن كثير يرى ما ذهب إليه الجمهور من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

وقد صرح الحافظ ابن كثير في أكثر من موضع من تفسيره بأن الأصح ماذهب إليه جمهور العلماء من أن العبرة بعموم اللفظ

---

(١) «التفسير» ٣: ٦٠.
(٢) سورة المائدة، الآيات: ٤١ـ ٤٤.
(٣) «التفسير» ٢: ٥٨ـ ٦١.

لا بخصوص السبب من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[١]، حيث ذكر أقوال المفسرين فيمن نزلت فيه ثم قال: «والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار، اللازمة والمتعدية»[٢].

ولهذا نراه دائمًا يرجح من بين الأقوال أعمها وأشملها، وأمثلة هذا كثيرة جدًا منها ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[٣]، بعد أن ذكر سبب نزول هذه الآية، وأنها نزلت في أخذ الرسول ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي طلحة على القول المشهور قال: «وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية هي للبر والفاجر، أي هي أمر لكل أحد»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٥]، ذكر أقوال المفسرين في سبب نزول هذه الآية ثم قال: «وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧ـ ٢٨.
(٢) «التفسير» ٢: ٣٠٠ـ ٣٠١.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٤) «التفسير» ١: ٥١٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٠.

الكتاب والسنة»[١].

وحينما ذكرالأقوال في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾[٢]، صحح قول من قال: «إن الآية عامة في المنافقين كلهم، وفي المؤمنين كلهم»[٣].

الحافظ ابن كثير يرى أن سبب النزول توقيفي:

ومما يدل على أنه يرى أن سبب النزول أمر توقيفي على من شاهدوا التنزيل، وهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قوله بعد أن ذكر عن ابن عباس سبب النزول لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[٤]: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف»[٥].

ذكر الحافظ ابن كثير بعض الأقوال في مكان نزول بعض الآيات والسور، أو في وقت نزولها:

وقد يذكر الحافظ ابن كثير بعض الأقوال في مكان نزول بعض الآيات والسور، وهل هي مكية أو مدنية، ويناقشها ببيان القول الصحيح والراجح، كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

---

(١) «التفسير» ١: ٥١٩.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ـ ٢٠٧.
(٣) انظر «التفسير» ١: ٢٤٥ـ ٢٤٦.
(٤) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٥) «التفسير» ٤: ٥٢٢ـ ٥٢٣.

بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[١]، حيث حكم بالغرابة على الآثار التي تشير إلى أن هذه الآية مكية، وبين أن الصحيح أن هذه الآية مدنية، وأنها من أواخر ما نزل بالمدينة»[٢].

كما بين أيضًا وقت نزول بعض الآيات، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[٣]، قال ابن كثير: «وكان وقت نزولها صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش التي تولى الله تزويجها بنفسه، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما، وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث فالله أعلم»[٤].

ومن ذلك ما ذكره في مطلع سورة المدثر، حيث أورد أقوال العلماء وخلافهم في أول ما نزل، فروى عن جابر أنه كان يقول: «أول شيء نزل من القرآن المدثر، وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾[٥]»[٦]، وهذا هو

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٢) انظر «التفسير» ٢: ٧٨ـ ٧٩.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٤) «التفسير» ٣: ٥٠٣.
(٥) سورة العلق، الآية: ١.
(٦) «التفسير» ٤: ٤٤٠.

القول الحق، وقد نص على هذا ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لسورة العلق[١].

مدى أهمية تفسير القرآن بأسباب النزول:

ومن خلال ماتقدم اتضح لنا مدى أهمية معرفة أسباب النزول، لمن يريد تفسير القرآن الكريم، حيث إن معرفة الأسباب أكبر معين على فهم معاني الآيات، بل قد يتوقف فهم بعض معاني الآيات عليها. كماتبين لناأيضًا، أن ابن كثير يعتبر من أكثر المفسرين اهتمامًا بذكر أسباب النزول وتحرير القول فيها، وفي أسانيدها ومتونها صحة وضعفا.

(١) «التفسير» ٤ : ٥٢٨.

المبحث الرابع

تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

أهمية تفسير الصحابة رضوان الله عليهم، ووجوب الأخذ به:

الصحابة أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بألفاظ القرآن ومعانيه ولا غرو في هذا وقد صحبوا رسول الله ﷺ ونقلوا عنه القرآن لفظًا ومعنى وعاصروا نزوله طيلة ثلاث وعشرين سنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مقدمة أصول التفسير»[1]: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح..».

ويجب الأخذ بقول الصحابي إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كأسباب النزول ونحوها، وهذا يعتبر من قبيل المرفوع ولا يجوز رده اتفاقًا.

أما إذا كان مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهو موقوف على الصحابي ما دام لم يسنده إلى النبي ﷺ، لكن يجب الأخذ به أيضا على القول الراجح وذلك لعدة أمور: منها احتمال سماعهم من النبي ﷺ،

---

(١) ص٩٥.

ومنها أنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب لأن القرآن نزل بلغتهم، ولبركة الصحبة، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، ولما منحهم الله تعالى من الحرص الشديد على تعلم أمور دينهم، ولما لهم من العدالة التامة، وهم وإن كان كانوا غير معصومين من الخطأ فاحتمال وجود الخطأ منهم أقل من غيرهم واجتهادهم أقرب للحق والصواب من اجتهاد غيرهم، فلهم الميزة في الفضل والسبق والإيمان، وقلة الاختلاف، والحرص الشديد على دينهم مما ليس لغيرهم من المجتهدين، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في القرآن الكريم المهاجرين منهم والأنصار، ومدحهم بما هم أهله فلا مقارنة بينهم وبين غيرهم من سائر المجتهدين[١].

من اشتهر من الصحابة بالتفسير:

والصحابة مختلفون بين مقل ومكثر من التفسير وقد اشتهر من بينهم عشرة وهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير[٢] ـ رضي الله عنهم ـ وأكثر هؤلاء العشرة رواية عبدالله بن عباس، ثم عبدالله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب، فهؤلاء الأربعة هم أعلام التفسير بين الصحابة، ثم يأتي بقية العشرة على اختلاف بينهم قلة وكثرة، وهذا لا يعني أن بقية الصحابة ليس لهم حظ

---

(١) انظر «التفسير والمفسرون» ١ : ٩٤ـ ٩٦.
(٢) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٧.

في التفسير، فقد جاء في تفسير القرآن أشياء عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة، وكذلك عن أبي هريرة، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سلمة، وأبي أيوب الأنصاري، وسمرة بن جندب، وأبي سعيد الخدري، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجميعن ـ.

مكانة تفسير التابعين، ومتى يجب الأخذ به:

ثم يأتي بعد تفسير الصحابة تفسير التابعين وهم الذين عاصروا الصحابة وأخذوا عنهم، وقد اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسيرهم عند عدم وجود التفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة.

فمنهم من ذهب إلى أنه لا يجب الأخذ به حيث لا يحتمل سماعهم من الرسول ﷺ كما في تفسير الصحابي، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، وعدالتهم غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابة. نقل عن أبي حنيفة أنه قال: «ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وماجاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال».

ومنهم من ذهب إلى وجوب الأخذ بأقوالهم لأنهم تلقوا غالب تفسيرهم من الصحابة[1]، كما رُوِيَ عن مجاهد قوله: «عرضت

---

(١) انظر «التفسير والمفسرون» ١ : ١٢٨.

المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل آية وأسأله عنها»، ولأن المفسرين نقلوا أقوال التابعين واعتمدوا عليها في كتبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين . . »[١].

والأولى أن تفسيرهم يعتبر حجة يجب الأخذ به إذا أجمعوا على ذلك، أما إذا اختلفوا فلا يعتبر ذلك حجة قال ابن تيمية: «قال شعبة ابن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك»[٢].

ولكنه قد يستأنس فيما رُوِيَ عنهم، ولا يجب الأخذ به إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة،ولغة العرب، وأقوال الصحابة، ودراسته وتمحيصه من جميع الجوانب سندًا ومتنًا، فإذا ثبتت صحته وموافقته للمنقول والمعقول وجب اعتباره والأخذ به وإلا فلا.

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص١٠٢.
(٢) المصدر السابق ص١٠٥.

من اشتهر من التابعين بالتفسير:

وقد اشتهر بالتفسير منهم مجاهدُ بن جبر، وقتادةُ بن دعامة السدوسي، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، والضحاك ابن مزاحم، والحسن البصري، وعطاء الخراساني، ومسروق الأجدع، وسعيدُ بن المسيب، وأبو العالية، والربيعُ بن أنس، وعطية العوفي، وزيد بن أسلم، وابنه عبدالرحمن، ومرة الهمداني، وأبو مالك وغيرهم.

اهتمام الحافظ ابن كثير في بتفسير الصحابة والتابعين:

نظرًا لما لتفسير الصحابة والتابعين من مكانة بين مصادر التفسير عمومًا فإن الحافظ ابن كثير عند تعذر التفسير من القرآن ومن السنة ينتقل بعد ذلك إلى التفسير بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، فيورد عند كل آية ما رُوي عنهم من الآثار في تفسيرها، ويحرص على ذكر أكبر عدد من الأقوال المروية عنهم في تفسير كل آية ويذكر عباراتهم حتى ولو كانت متقاربة أو بمعنى .

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾[1] . ذكر عدة أقوال للمفسرين في الآية: «فعن ابن عباس أنه فسرها بالفتوحات الإسلامية للرسول ﷺ، وفي رواية عنه: أولم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية، وقال مجاهد

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١.

وعكرمة: المراد خرابها، وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين، وفي رواية عن ابن عباس أيضًا: نقصان أهلها وبركتها، وعن مجاهد أيضًا: نقصان الأنفس والثمرات، وقال عكرمة: هو الموت، وفي رواية عن ابن عباس أيضًا: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وكذا قال مجاهد أيضًا: هو موت العلماء»[١].

كما أورد عددًا من الأقوال في تفسير ﴿الأوابين﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[٢]، فعن قتادة: هم المطيعون أهل الصلاة، وعن ابن عباس: المسبحون، وفي رواية عنه: المطيعون المحسنون، وقال بعضهم: هم الذين يصلون بين العشائين، وقال بعضهم: هم الذين يصلون الضحى، وقال سعيد بن المسيب: هم الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ثم يصيبون الذنب ثم يتوبون، وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد: هم الراجعون إلى الخير، وقال مجاهد عن عبيد بن عمير: هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء يستغفر الله منها، ووافقه مجاهد في ذلك، وعن عبيد بن عمير أيضا قال: كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي[٣].

فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين عددًا من الأقوال

---

(١) «التفسير» ٢: ٥٢٠ـ ٥٢١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.
(٣) «التفسير» ٢: ٣٦.

المأثورة عن السلف وأكثر هذه الأقوال بمعنى واحد، وهذا من ابن كثير ـ رحمه الله ـ تطبيق لما جاء في مقدمة تفسيره من أنه ينبغي لمن ذكر مسألة خلافية أن يستوفي الأقوال كلها لأنه ربما يكون الحق والصواب في الذي تركه. أما حرصه على تعداد القائلين وذكر عباراتهم مع أن غالبها أو أكثرها متقارب أو بمعنى واحد كما في هذين المثالين وغيرهما فلأن ذلك أدل على المقصود وأوضح للمراد وزيادة في التقوية، لأن القول الذي يأخذ به أكثر من عالم غالبًا ما يكون أقرب للصواب من القول الذي انفرد به أحد العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدًا فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين»[١]، كما أن الإكثار من ذكر عبارات وألفاظ العلماء وإن كانت بمعنى يعطي دلالة على سعة المعاني القرآنية وعمومها .

وقد يورد لبعض المفسرين أكثر من قول في تفسير بعض الآيات بروايات وطرق مختلفة: من ذلك ما أورده عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾[٢] حيث قال: «قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ : أي في أكنة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي لا تفقه، وقال العوفي عن ابن عباس: هي القلوب

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص٥٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

المطبوع عليها، وقال مجاهد وقتادة: قرأ ابن عباس بضم اللام وهو جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء، وقال الضحاك عن ابن عباس قال: يقولون: قلوبنا غلف مملوءة لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره، وقال عطية العوفي عن ابن عباس: أي أوعية للعلم. قال ابن كثير: وعلى المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيما حكاه ابن جرير ﴿وقالوا قلوبنا غُلُفُ﴾ بضم اللام، نقلها الزمخشري، أي جمع غلاف أي أوعية. . . إلخ»[1].

فهذان قولان لابن عباس في تفسير هذه الآية بروايات وطرق مختلفة ومتعددة، ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2]، حيث أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية عدة أقوال برواياتها وطرقها عن ابن عباس ومجاهد ـ رضي الله عنهم ـ[3].

وكل هذه الأقوال المذكورة في تفسير هاتين الآيتين لا تنافي بينها ويمكن حمل معنى الآية عليها جميعًا.

عناية الحافظ ابن كثير في دراسة الآثار التي يوردها عن الصحابة والتابعين:

ومما يميز طريقة الحافظ ابن كثير في ذكره للآثار المروية عن

---

(١) «التفسير» ١: ١٢٣ـ ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) «التفسير» ١: ١٦٧، وانظر أيضًا ٣: ٢١٧ في تعدد الروايات عن مجاهد.

السلف من الصحابة والتابعين أنه ـ رحمه الله ـ بذل جهدًا كبيرًا في دراسة هذه الآثار من عدة جوانب من أهمها:

أ ـ مناقشة أسانيدها ومتونها وبيان الصحيح من الضعيف منها: ومن أمثلة هذا: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، حيث أورد في تفسير هذه الآية عدة روايات عن ابن عباس بطرق مختلفة، منها طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ومنها طريق الضحاك عن ابن عباس، ومنها طريق الأعمش قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وبعد أن ساق هذه الروايات بأسانيدها عن ابن عباس قال: «وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس»[2]، ومقصوده ـ رحمه الله ـ أن هذه الأسانيد بمجموعها صحيحة، وإلا فمن المعلوم أن بعضها فيه مقال، كطريق الضحاك عن ابن عباس فإنها منقطعة، وقد بين ذلك ابن كثير في أكثر من موضع كما سيأتي.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[3]، أورد عدة روايات بطرق مختلفة عن مجاهد والحسن في المائدة، وهل نزلت أم لا، فروى ليث بن أبي سليم عن مجاهد أنه قال: «هومثل ضربه الله،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٤.

(٢) «التفسير» ١: ١٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

ولم ينزل شيء، وقال ابن جرير: حدثنا الحارث، حدثنا القاسم ـ هو ابن سلام ـ حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: مائدة عليها طعام أبَوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن تنزل عليهم، وقال أيضا: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن أنه قال في المائدة: إنها لم تنزل، وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: لما قيل لهم: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[1]، قالوا: لا حاجة لنا فيها، فلم تنزل، قال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن»[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[3]، قال: «وقال ابن مردويه بإسناده، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب ـ عز وجل ـ قال ابن كثير: هذا إسناد ضعيف فإن جويبرا ضعيف والضحاك لم يدرك ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ».

ثم قال أيضًا: فأماالأثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله أنه قال: لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٥.
(٢) «التفسير» ٢: ١١٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

الكلام الذي كلمه يوم ناداه، فقال له موسى: يارب هذا كلامك الذي كلمتني به قال: لا يا موسى، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمن، قال: لا أستطيعه، قالوا فشبه لنا قال: ألم تسمعوا إلى صوت الصواعق؟ فإنه قريب منه وليس به، ـ قال ابن كثير ـ: وهذا إسناد ضعيف، فإن الفضل الرقاشي ضعيف بمرة...»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾[٢]، أورد ما رُويَ عن ابن حميد: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ﴾ قال: من الفرائض: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ قبل الفرائض يعملون، ثم قال: وهذاالإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما»[٣].

ومن الأقوال التي ضعفها من حيث متنها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[٤]، حيث قال: «قال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة وقال ابن زيد: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من

---

(١) «التفسير» ١: ٥٨٨.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٦.
(٣) «التفسير» ٤: ٢٣٣.
(٤) سورة غافر، الآية: ١١.

صلب آدم ـ عليه السلام ـ، ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة»، قال ابن كثير بعدما ساق هذين القولين: «وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزم على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات»(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٢)، قال أثناء كلامه على هذه الآية: «ومن زعم أن المراد من هذا فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل.. إلخ»(٣).

ب ـ التوفيق بين بعض الأقوال وبعض النصوص من القرآن والسنة، وكذلك التوفيق بين الأقوال بعضها مع بعض:

ومن أمثلة الأول ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾(٤)، حيث أورد ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا كما

---

(١) «التفسير» ٤: ٧٣.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٩.
(٣) «التفسير» ٣: ٤٦٤.
(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٩ـ ٣٠.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[١]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنًا وكافرًا»، قال ابن كثير: «ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: «**فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة...**» الحديث، ثم أورد رواية سهل بن سعد في هذا، وكذا حديث جابر: «**تبعث كل نفس على ما كانت عليه**»، وعن ابن عباس مثله، ثم قال: قلت: لابد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٢]، وما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة ...**» الحديث، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ...**» الحديث، ووجه الجمع على هذا: أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بأنه لا إله غيره، كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وجعله في غرائزهم وفطرهم، ومع هذا قدّر أن منهم شقيًا ومنهم سعيدًا»، ثم ساق بقية الأدلة على هذا[٣].

ومن أمثلة الثاني ـ وهو التوفيق والجمع بين الأقوال بعضها مع بعض ـ ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٢.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) «التفسير» ٢: ٢٠٩، وانظر ١: ٣٧١ـ ٣٧٢.

ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[١]، حيث ذكر أقوال المفسرين في تفسير الصراط المستقيم، فمنهم من قال: كتاب الله، ومنهم من قال: هو الإسلام، ومنهم من قال: هو الحق، ومنهم من قال: هو النبي ﷺ وصاحباه من بعده، وبعد أن ذكر ابن كثير هذه الأقوال برواياتها، وذكر من أخذ بكل قول منها من السلف وأدلتهم على ذلك قال: «كل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القران وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا، ولله الحمد»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦ ﴾[٣]، قال: «قال مجاهد: (العروة الوثقى) يعني الإيمان وقال السدي: الإسلام، وقال سعيد بن جبير والضحاك: لا إله إلا الله، وعن سالم بن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله»، ثم قال ابن كثير بعدما ساق هذه الأقوال: «وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها»[٤].

وكما وفق وجمع بين أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
(٢) «التفسير» ١: ٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٤) «التفسير» ١: ٣١١.

﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾[١]، فقد ذكر أنه رُوِيَ عن ابن عباس أن معناه: مؤتمنًا عليه، ورُوِيَ عنه أيضا: أن المهيمن: الأمين، وكذا رُوِيَ عن كثير من التابعين، وعنه أيضا: أنه بمعنى شهيد، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي، وروى العوفي عن ابن عباس أيضا أن معنى (مهيمنا) أي حاكمًا على ما قبله من الكتب. فبعد أن ساق ابن كثير هذه الأقوال المروية عن ابن عباس وغيره في معنى (مهيمن) قال: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمهاأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل ـ تعالى ـ بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[٢].

فقد وفق ـ رحمه الله ـ بين هذه الأقوال بل إنه اعتبرها قولاً واحدًا، واستبعد ما ذهب إليه بعض التابعين من أن المراد بقوله: (ومهيمنًا عليه) يعني أن محمدًا أمين على القرآن حيث قال: هو صحيح فى المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضًا نظر، وبالجملة فالصحيح الأول»[٣]، فقوله هنا «فالصحيح الأول» ـ يدل على أنه اعتبر الأقوال التي رويت عن ابن عباس وغيره

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) «التفسير» ٢: ٦٥.

بمثابة قول واحد، لأنها كلها صحيحة، ولا تنافي بينها، أما القول الاخير فقد استبعده ابن كثير وجعله قولاً ثانيًا في الآية، لأنه لا ينتظم مع ما سبقه من أقوال.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي وفق فيها الحافظ ابن كثير بين أقوال السلف، وهذا يدل على أنه يحترم لكلٍ قوله ما لم يكن ضعيفًا، وأنه ـ رحمه الله ـ ينظر من زاوية أكبر، وهي اتساع معاني آيات القرآن الكريم، وأن من الصعب الإحاطة بالمراد بها، فمعاني القرآن أكبر ونصوصه أشمل من أن يحدد المقصود بها ما لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة فيجب الوقوف عنده، أما ما جاء عن السلف من أقوال فلا يقطع بقول منها أنه المراد مهما كان قائله، لهذا فالأحوط والأجدر اتباعه بالنسبة لما رُوِيَ في التفسير عن الصحابة والتابعين هو الطريق الذي سلكه ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذا، جمعا بين الأقوال وتحاشيا من اطراح بعضها وربما يكون هو الحق، وابتعادا عن تضييق دائرة النص القرآني بدون دليل واضح لتبقى آيات القرآن الكريم على ما كانت عليه من العموم والشمول، ويبقى هو المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

جـ ـ بيان الراجح من غيره مما يذكره من آثار متمسكًا في ترجيحاته بما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة أو من ظاهر الآية:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ

ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[١]، قال: «وقد قرأ بعض السلف (ويعقوبَ) بالنصب عطفًا على بنيه كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكان حاضرًا ذلك، وقد ادعى القشيري ـ فيما حكاه القرطبي عنه ـ أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة، لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[٢]، وقد قُرِىء بنصب يعقوب ههنا على نزع الخافض، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة، وأيضًا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾[٣]، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً ﴾[٤]، وهذا يقتضي أنه وجد في حياته، وأيضا فإنه باني بيت المقدس كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة، وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع أول؟ قال: «**المسجد الحرام**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بيت المقدس**» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**» الحديث. . .»[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة هود، الآية: ٧١.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢.
(٥) «التفسير» ١: ١٨٥.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾[١]، ذكر ما ذهب إليه مجاهد من أن الله أراهم إياه في منامه قليلاً، وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فكان تثبيتًا لهم، وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد، ثم أورد القول الثاني الذي حكاه ابن جرير عن بعضهم: أنه رآهم بعينه التي ينام بها ثم قال: «وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام ههنا فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[٣]، أورد ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه كان يرى أن عدة الحامل أن تتربص أبعد الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرًا جمعًا بين الآيتين، ثم قال ابن كثير: «وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لولا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الأسلمية المخرّج في الصحيحين من غير وجه وفي هذا الحديث أن الرسول ﷺ أفتاها بأنها قد حلت حين وضعت الحمل، وأمرها بالتزويج»[٤]، فقد اطرح ما ذهب إليه ابن عباس مع أن فيه جمعا بين القولين تمسكا بما ثبت في السنة .

كما رجح أن الذبيح إسماعيل وقطع بذلك، وضعف القول بأنه إسحاق وذلك لعدم صحة دليله، فبعد أن أوردهذا القول قال: «وقد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.
(٢) «التفسير» ٢: ٣١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.
(٤) «التفسير» ١: ٢٨٤ـ ٢٨٥.

ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على العين والرأس ولكن لم يصح سنده»[١].

اختيار الحافظ ابن كثير وترجيحه لأعم الأقوال وأشملها: يرجح الحافظ ابن كثير دائمًا في اختياراته وترجيحاته أعم الأقوال وأشملها: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[٢]، ذكر أقوال المفسرين فيمن نزلت فيه الآية، فمنهم من قال: إنها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، ورُويَ هذا عن أبي ذر وقيس بن عباد، ورُويَ عن قتادة أن المراد المسلمون وأهل الكتاب، ورُويَ نحوه عن ابن عباس، وقال قتادة في الآية: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ مصدق ومذكب، وقال مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث، وقال في رواية هو وعطاء: هم المؤمنون والكافرون، وقال عكرمة: هي الجنة والنار قالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة، ثم قال ابن كثير بعدما ساق هذه الأقوال كلها: «وقول مجاهد وعطاء أن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل، والكافرون يريدون اطفاء نور الإيمان، وخذلان الحق وظهور الباطل، وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن»[٣].

---

(١) «التفسير» ٤ : ١٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٩.
(٣) «التفسير» ٣: ٢١٢.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[١]، قال: «قال السدي: يعني لا يبعث، وقال مجاهد والشافعي وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم يعني: لا يؤمر ولا ينهى، قال ابن كثير: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الأخرة»[٢].

وهذا المسلك الذي اعتمده ابن كثير ـ رحمه الله ـ في اختيار وترجيح الأعم من الأقوال مسلك جيد يدل على دقة في التحري، واحتراز من الوقوع في الخطأ والقول بلا علم، وتقديما لما هو المعروف عند جمهور العلماء من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أن فيه جمع شتات الأقوال والأخذ بها واعتبارها جميعًا من غيراطراح لبعضها.

وقد يكتفي بذكر الأصح من الأقوال دون ذكر ماعداه كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾[٣]، حيث قال: «أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي ضمن ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوه بل عبدوا غيره؟

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣٦.
(٢) «التفسير» ٤: ٤٥٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٥١.

فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمار»[١].

وأحيانًا يذكر أقوال العلماء بدون ترجيح: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾[٢]، حيث أورد في معنى هذه الآية عدة أقوال للسلف ولم يرجح بينها[٣]، ولعل هذا فيما إذا لم يترجح لديه قول منها فيتوقف.

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾[٤]، فقد حكى ابن كثير هنا بعض أقوال المفسرين في معنى قوله: ﴿وهم بها﴾ بدون اختيار قول منها أو ترجيحه على غيره[٥].

وفي هذا دلالة واضحة على احترازه ـ رحمه الله ـ عن الوقوع في الخطأ والقول على الله بلا علم، ووقوفه ـ رحمه الله ـ حيثما دل عليه الدليل من الكتاب أو السنة أو اجماع الأمة.

د ـ ومن الجوانب أيضًا أنه كثيرًا ما يعقب على ما يذكره من أقوال السلف، تارة بذكر ما قد يرد عليها من إشكال

---

(١) «التفسير» ٣: ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣.
(٣) «التفسير» ٢: ٢٧٩-٢٨٠.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٥) «التفسير» ٢: ٤٧٤.

ويجيب عن ذلك غالبًا:

فمثلاً عندما ذكر أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾[(١)]، وأن منهم من قال: يرى المشركون المسلمين يوم بدر مثليهم، ومنهم من قال: يرى المسلمون المشركين يوم بدر مثليهم أي ضعفيهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وبعد أن ذكر الأقوال في تفسير الآية أورد اشكالاً على القول الأول منها وسكت عنه، ثم أورد اشكالاً على القول الثاني، وذكر توجيه ابن جرير لذلك وانتفاء هذا الإشكال، ثم قال ابن كثير: تعقيبًا على هذين القولين: «لكن بقي سؤال آخر، وهو وارد على القولين، وهوأن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾[(٢)]؟ قال: فالجواب أن هذا كان في حالة والآخر كان في حالة أخرى..»[(٣)] إلخ.

وتارة يعقب عليها بذكر الحاصل والمضمون من الأقوال: كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[(٤)]، حيث ذكر أقوال المفسرين ثم قال: «حاصل قول المفسرين فيماتقدم أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال، واعتاضوا عن الهدى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.
(٣) «التفسير» ١: ٣٥٠، وقد تقدم في الكلام على تفسير القرآن بالقرآن.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦.

بالضلالة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ أي بذلوا الهدى ثمنًا للضلالة، وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾[1]، أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم، فإنهم أنواع وأقسام، ولهذا قال: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾، أي ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة، وما كانوا مهتدين أي راشدين في صنيعهم ذلك»[2].

كما ذكر حاصل أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾[3]، فبعد أن ذكر أقوال المفسرين قال: «وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنبوهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى . . .»[4].

كما ذكر مضمون أقوال العلماء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾[5]، بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية قال: «مضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت، وماجعله موصوفًا به شرعًا وقدرًا من كونه مثابة للناس، أي

---

(١) سورة المنافقين، الآية: ٣.
(٢) «التفسير» ١: ٥٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٤) «التفسير» ١: ٩٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرًا ولو ترددت إليه كل عام، استجابة من الله ـ تعالى ـ لدعاء خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله : ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[1][2].

هـ ـ ومن الجوانب التي تبرز في كلام الحافظ ابن كثير على الآثار أيضًا توجيهه لها توجيهًا حسنًا، وحمله لبعض الأقوال التي قد يكون فيها احتمال على أطيب محمل :

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾[3]، أورد ما رُوِيَ عن علي أنه قال: «﴿الأخسرين أعمالاً﴾ الحرورية»، ثم قال: «ومعنى هذا عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبدالله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطىء وعمله مردود»[4].

كما حمل ما ورد عن بعض السلف مما يوهم الاكتفاء بمسح الرجلين في الوضوء على الغسل الخفيف، فبعد ما ذكر الروايات في

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٧ـ ٤٠.
(٢) «التفسير» ١ : ١٦٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.
(٤) «التفسير» ٣: ١٠٧.

هذا عن بعض السلف التي قد توهم القول بالمسح قال: «وهذه آثار غريبة جدًا وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين»[١].

وعندما ذكر ما رُويَ عن سعيد بن المسيب أنه قال: «الوضوء من غير حدث اعتداء» قال: «فهو غريب عن سعيد بن المسيب، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد، وأمامشروعيته استحبابًا فقد دلت السنة على ذلك»[٢].

قد يورد الحافظ ابن كثير بعض الآثار الضعيفة سندًا أو متنًا:

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الحافظ ابن كثير مع مناقشته لأسانيد الآثار ومتونها وبيان الصحيح منها من الضعيف قد أورد بعض الآثار الضعيفة إما من جهة أسانيدها وإما من جهة معناها .

فمن الأسانيد الضعيفة التي وردت في تفسيره ـ رحمه الله ـ طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والتي تعتبر أوهى الطرق وأضعفها في الرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[٣]، وقد جاء هذا الإسناد كثيرًا في تفسيره[٤]، وقد نبه في بعض المواضع على ضعف الكلبي بقوله: «متروك بمرة ساقط»[٥].

---

(١) «التفسير» ٢ : ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) «التفسير» ٢ : ٢٢.
(٣) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٩، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٨١.
(٤) انظر «التفسير» ١ : ٢٥٣، ٤٢٠، ٤٥٥.
(٥) «التفسير» ٣ : ٢٢.

ومنها طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس[١]، وهذه الطريق ضعيفة لضعف بشر[٢]، ومنقطعة كما سيأتي.

ومنها طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس[٣]، والسدي مختلف فيه[٤].

ومنها طريق ابن جريج عن ابن عباس[٥]، وفيها الصحيح والسقيم[٦].

ومنها طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويكثرابن كثير النقل عن ابن عباس بهذا الطريق[٧] وهي غيرمرضية، لأن العوفي ضعيف، وربما حسن له الترمذي[٨].

ومنها طريق السدي الكبير عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود[٩]، وهذا الطريق فيه مقال لما سبق من أن السدي مختلف فيه.

ومن هذه الطرق الضعيفة طريق جويبر، عن الضحاك، عن الحسن

---

(١) انظر «التفسير» ١ : ٧٥.
(٢) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٩، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٨٠.
(٣) انظر «التفسير» ١ : ٥٣، ٢٥٢.
(٤) انظر «التفسير والمفسرون» ١ : ٧٩.
(٥) انظر «التفسير» ١ : ٢٨، ٩٣ـ ٩٥.
(٦) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٨، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٧٩.
(٧) انظر «التفسير» ١ : ٥٣، ١٦٠، ٢٥٣، ٥٠١.
(٨) انظر «الإتقان» ١ : ١٨٩، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٨٠.
(٩) انظر «التفسير» ١ : ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٢٥٢.

البصري[١]، وذلك لضعف جويبر[٢].

ومنها طريق الضحاك عن ابن عباس، لأن الضحاك لم يلق ابن عباس[٣]، وقد أورد ابن كثير من هذا الطريق كثيرًا من الآثار عن ابن عباس[٤]، وقد نص الحافظ ابن كثير على انقطاع هذا الطريق في أكثر من موضع من تفسيره[٥].

إضافة إلى هذا انه قد يذكر بعض الآثار بأسانيد فيها إبهام كقوله: «قال السدي عمن حدثه عن ابن عباس[٦]»، وقوله: «عن محمد بن إسحاق، عن رجل من أهل العلم، عن حجاج، عن مجاهد، عن ابن عباس[٧]»، ونحو ذلك[٨].

وقد يذكر بعض الأقوال دون أن ينسبه لقائل بعينه فيقول قال: بعضهم، قال: آخرون، قيل كذا، وقيل كذا، أو يقول: منهم من ذهب إلى كذا، ومنهم من ذهب إلى كذا[٩].

---

(١) «التفسير» ١ : ٣١٠.
(٢) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٩، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٨٠، و«عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ١٦٢.
(٣) انظر «الإتقان» ٢ : ١٨٩، و«التفسير والمفسرون» ١ : ٨٠.
(٤) انظر «التفسير» ١ : ٨٥ـ ٨٦، ١١٨، ١٢٤.
(٥) من هذه المواضع ١ : ٥٨٨، ٢ : ٧١.
(٦) انظر «التفسير» ١ : ٧٣، ٧٩، ٨١.
(٧) انظر «التفسير» ١ : ٧٩.
(٨) انظر مثلاً «التفسير» ١ : ٨١.
(٩) انظر مثلاً «التفسير» ٢ : ٢٤٨، ٢٧٩.

كما ذكر كثيرًا من الأقوال عن بعض المفسرين من الصحابة والتابعين دون ذكر للإسناد[(١)].

هذه بعض الأمثلة التي تدل على تساهل ابن كثير ـ رحمه الله ـ في ذكر بعض الآثار بأسانيد ضعيفة أو منقطعة أو فيها إبهام أو من غير نسبتها إلى قائل أو ذكرها بدون إسناد، غير أن غالب الأسانيد والطرق التي يوردها ابن كثير في تفسيره إنما هي أسانيد صحيحة وحسنة، ولنأخذ مثلاً الروايات عن ابن عباس فنجد أكثر نقوله عنه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإن كان ينقل عنه بغيرها من الطرق، ولكن نقله عنه من هذه الطريق أكثر من نقله بأي طريق آخر صح أو ضعف، وذلك لأن هذه الطريق هي أصح الطرق عن ابن عباس، كما أن نقوله بالطرق الصحيحة المقبولة عن ابن عباس أكثر بمجموعها من النقول عنه بالطرق التي فيها مقال، وهكذا بالنسبة لبقية المفسرين من الصحابة والتابعين، وهذا بلا شك يدل على ما تميز به تفسير ابن كثير عن كثير من التفاسير التي لم يهتم أصحابها باختيار الصحيح من الآثار سندًا ومتنًا.

ومن الآثار التي أوردها في تفسيره مع ضعف متونها: ما أورده عن مجاهد والحسن أنهما ذهبا إلى أن المائدة لم تنزل[(٢)]، قال الشيخ أحمد شاكر: «وهذا المروي عن مجاهد والحسن خطأ منهما لم يستندا فيه

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٢٤٤، ٢٧٠، ٣٣١، ٣٩٩، ٥٠٧.
(٢) انظر «التفسير» ٢: ١١٩.

إلى خبر ثابت، وإنما هو رأي واستنباط أخطآ طريقه»[١]، ولم يكتف ابن كثير بإيراد هذا القول فقط بل إنه ذهب ليبرهن على قوته فقال: «وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى، وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله، وكان موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد والله أعلم»[٢]. قال أحمد شاكر أيضا ردًا على ابن كثير في هذا: «وأما ما زعمه الحافظ ابن كثير هنا من أنه قد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى إلى آخر كلامه، فإنه كلام ضعيف لا قيمة له ولا حجة فيه، ولا أدري كيف يظن ابن كثير هذا الظن الباطل...»[٣] والصحيح أنهاأنزلت عليهم.

ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه فسر «الكرسي: بالعلم»[٤]، قال أحمد شاكر: «وهذا قول شاذ، ومخالف للثابت عن ابن عباس وجمهور المفسرين والمسلمين من أن المراد بالكرسي موضع القدمين»[٥].

ومن ذلك ما ذكره عن الجنيد وغيره من أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[٦]، هو علي بن أبي طالب[٧]، وهذا تخصيص

---

(١) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٤: ٢٦٢.
(٢) «التفسير» ٢: ١١٩.
(٣) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ٤: ٢٦٢.
(٤) «التفسير» ١: ٣٠٩.
(٥) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١: ١٦٢.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٧.
(٧) «التفسير» ٢: ٥٠٢.

بالتحكم بدون دليل، ولا شك أن حمل الآية على العموم أولى من تخصيصها بعلي ـ رضي الله عنه ـ لعدم وجود المخصص، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهر الآية يدل دلالة قاطعة على العموم بل إن آيات التنزيل كلها غالبها العموم إلا ماكان خاصًا بالرسول ﷺ ونحو ذلك، وهذا قليل في القرآن الكريم.

ومن ذلك أيضا ماذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[1]، حيث ذكر أن بعضهم ذهب إلى أن المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية، ثم قال: «وهو غريب ضعيف»[2]، ونحن لا نكتفي من ابن كثير ـ رحمه الله ـ بهذه المقالة تجاه مثل هذه الأقوال، بل الأولى أن ينزه تفسيره من هذه الخرافات ولا يكفي منه مجرد التضعيف لها، أضف إلى هذا أنه قد يذكرها ولا يضعفها كما في المثال السابق قبل هذا، وإن كان قد يعذر فيما ذكره وضعفه بحجة أنه ذكره لبيان ضعفه، فيبقى عليه مأخذ فيما ذكره وسكت عن تضعيفه، وهذا ـ ولله الحمد ـ قليل.

بروز شخصية الحافظ ابن كثير في مناقشته لأقوال المفسرين:

ومن خلال ماتقدم اتضح لنا مدى قيمة ما يروى عن السلف من الصحابة والتابعين في التفسير، كما تبين لنا أيضًا بروز شخصية ابن كثير

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٢) «التفسير» ٣: ٤٩.

أمام تعدد أقوال السلف وتنوعها في تفسير بعض الآيات، حيث لم ينقل تلك الأقوال على علاتها وإنما ناقشها فاختار من هذه الأقوال أصحها وأرجحها وأعمها، وأعمل فكره في تلك الأقوال يوفق بينها ويبحث عن الصحيح من غيره والراجح من المرجوح حسب ما تؤيده الأدلة وتقويه، وبهذا امتاز تفسيره على كثير من كتب التفسير التي اقتصر مؤلفوها على جمع الآثار فقط دون مناقشة لها أو توجيه أو ترجيح.

المبحث الخامس

تفسير القرآن بأقوال المجتهدين والفقهاء

القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا التشريع، وعناية المسلمين بدراستهما واستنباط أحكامهما:

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان في استنباط الأحكام الفقهية والقواعد التشريعية والأصولية، فما من حكم في التشريع الإسلامى إلا وله دليل يستند عليه من الكتاب أو السنة، أو منهما معا، إذ هماالمرجع لكل مسلم يريد الحق، ويسترشد إلى الصواب في معرفة الأحكام التشريعية واستنباطها، فالإجماع والقياس والاجتهاد أمور مبنية عليهما، حيث إنه لابد في الإجماع من نص يستند عليه، ولابد في القياس من حكم ثابت بدليل فيقاس عليه، وكذا الاجتهاد.

لهذا نرى علماء المسلمين وقفوا عند كل نص من الكتاب والسنة، واستنبطوا ما فيه من أحكام فقهية وأمور تشريعية، فالمفسرون استنبطوا ما في القرآن من فقه وأحكام، والمحدثون استخلصوا ما في السنة أيضا من ذلك، والفقهاء جمعوا الأحكام وأدلتها من الكتاب والسنة في كتبهم الفقهية، علمًا أن هناك تداخلاً كبيرًا بين هذه العلوم، فمفسر القرآن لاغنى له عن النظر في السنة، وكذا شارح الحديث لا غنى له عن الرجوع إلى القرآن، والفقيه لا غنى له عنهما معًا.

اختلاف المفسرين في تناولهم للأحكام قلة وكثرة وسبب ذلك:

يظهر جليًا أن المفسرين مختلفون في تناولهم للأحكام الفقهية بين مكثر ومقل ومتوسط، فحين نرى أن بعض المفسرين اهتم بكثرة الاستنباطات والتفريعات الفقهية[١]، نرى البعض الآخر عكس الأمر فقلل الخوض في ذلك[٢]، في حين أننا نرى بعضًا من المفسرين توسطوا في ذلك من غير إفراط ولا تفريط، فاقتصروا على ما تدعو إليه الحاجة، وما لابد منه في تفسير القرآن.

ولعل السبب الذي جعل المفسرين يختلفون هذا الاختلاف هو اختلاف مشاربهم، وتنوع ثقافاتهم، فنزع كل منهم إلى الاهتمام بالفن الذي أجاد فيه، فالفقيه في تفسيره اهتم بالأحكام الفقهية، والمحدث اهتم بذكر الأحاديث ومناقشة أسانيدها، والنحوي واللغوي كذلك اهتم كل منهما بالفن الذي أجاده وبرع فيه .

توسط ابن كثير في تناوله للأحكام الفقهية والأصولية عمومًا:

ولا نكون مغالين إذا قلنا: إن الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ من أبرز هذه الطبقة التي وقفت من الأحكام الفقهية والأصولية موقفًا

---

(١) كمفسري الفقهاء
الجصاص، وابن العربي والقرطبي وغيرهم وكالرازي في تفسيره.
(٢) كأبي السعود.

وسطا، فتناولت هذه الأحكام بحدود المعقول والمقبول في تفسير القرآن، فلم يهمل الكلام على الأحكام والمقام يتطلبه، ولم يحمّل النص القرآني ما لم يدل عليه، وإن كان هناك استطراد في بعض المواضع فهو إلى حد مستساغ مقبول.

فهو يحرص على بيان ما يستنبط من بعض الآيات من أحكام، كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾[١]، حيث قال: «يستفاد من هذا وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها..»[٢].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[٣]، قال: «ومن ههنا يؤخذ الحجر على السفهاء»[٤].

ذكر الحافظ ابن كثير لأقوال المجتهدين من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الفقهاء، واهتمامه بذكر المذاهب الأربعة وبخاصة المذهب الشافعي: ويذكر ابن كثير أقوال المجتهدين والفقهاء من الصحابة والتابعين وغيرهم، ويهتم بذكر المذاهب الأربعة المشهورة، ويعطي للمذهب الشافعي من بينها اهتمامًا أكبر، فينبه دائمًا على قوله، ويبين القول الذي نص عليه الشافعي[٥]، والصحيح

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.
(٢) «التفسير» ١: ٢٨٥.
(٣) سورة النساء، الآية ٥.
(٤) «التفسير» ١: ٤٥٢.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٤٧٦.

عنه[١]، ويشير في بعض المواضع إلى قوليه في الجديد والقديم[٢].

وينقل عن عدة من كتبه منها كتاب «الأم»، وكتاب «الإيمان»، وكتاب «المختصر»[٣].

مناقشة الحافظ ابن كثير لما يورده من أقوال المجتهدين والفقهاء، وبيان الصحيح منها أو الراجح من غيره:

وكما كانت طريقته مناقشة الآثار المروية عن الصحابة والتابعين في تفسيربعض الآيات فكذلك طريقته بالنسبة لأقوال المجتهدين والفقهاء، فلم يكتف فقط بسرد أقوالهم بل إنه ناقشها في كثير من المواضع، وبين الصحيح والراجح من غيره منها، ولهذه أمثلة كثيرة في تفسيره، منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[٤]، حيث بيّن صحة ما ذهب إليه الجمهور من أن ذبح الشاة يجزي في الإحصار، وعلل له ودلل عليه فقال: «والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء ذبح الشاة في الإحصار ـ أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي أي مهما تيسر مما يسمى هديا، والهدي من بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم كما قال الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**أهدى النبي ﷺ مرة**

---

(١) انظر «التفسير» ٢: ١٦.
(٢) انظر «التفسير» ١: ٣١ ـ ٣٢.
(٣) انظر «التفسير» ٢: ٨، ٩١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

غنمًا»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]، رجح قول الجمهور أن هذه الآية هي الدليل على وجوب الحج، خلافًا لمن قال إن الدليل على وجوبه قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٣][٤].

كما رجح ما ذهب إليه الشافعي وغيره من أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير واجبة لقوة أدلته[٥].

الحافظ ابن كثير كثيرًا ما يرجح قول الشافعي، وقد يرجح غيره:

وبحكم كونه شافعي المذهب فهو كثيرًا ما يرجح قول الشافعي ويأخذ به، إلا أنه مع هذا لا يتعصب لمذهب الشافعي، وقد يخالفه في بعض أقواله ويصحح ويرجح قول غيره، خصوصًا إذا رأى أن الحق قد يكون مع غيره، ومن أمثلة هذا ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾[٦]، حيث ذكر تفسيرالشافعي وغيره لمعنى ﴿تعولوا﴾ بمعنى تكثر عيالكم، ثم قال: «وفي هذا التفسير ههنا نظر فإنه كما

---

(١) انظر «التفسير» ١: ٢٣١ـ ٢٣٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(٤) «التفسير» ١: ٣٨٥.
(٥) انظر «التفسير» ٣: ٥٠٨.
(٦) سورة النساء، الآية: ٣.

يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضًا ـ ثم قال ـ: والصحيح قول الجمهور ﴿**ذلك أدنى ألا تعولوا**﴾ أي ألا تجوروا. . »[١].

ومما يدل على عدم تعصبه أيضا: أنه عندما يذكر مذاهب الفقهاء يستدل لكل مذهب ويذكر أدلته ومناقشاته بكل أمانة وصدق، وإذا أردت لهذا مثالاً فارجع إليه عندما ذكر الخلاف بين الظاهرية والجمهور في اشتراط النصاب في السرقة وعدمه، وكذا في ذكر الخلاف بين الأئمة الأربعة، وأتباعهم في مقدار النصاب الذي تقطع به يد السارق[٢]، وبهذا يتبين لك انصافه لجميع المذاهب وعدم تعصبه للمذهب الشافعي .

ومن الأقوال التي بين ضعفها ما رُويَ عن داود الظاهري في حد الأمة حيث قال ـ في المشهور عنه ـ إنها تجلد قبل الإحصان مائة جلدة، وبعده خمسين، قال ابن كثير: «وهو في غاية الضعف»، وقال في موضع آخر: «وهذا أضعف الأقوال».

وضعف أيضا قول أبي ثور إنها تجلد قبل الإحصان خمسين وترجم بعده، وبين خطأه في فهم الآية، ومخالفته للجمهور، حيث قال ـ رحمه الله ـ بعدما ساق هذا القول: «وهو أغرب من قول داود من وجوه وذلك أنه يقول: فإذا أحصن فإن عليهن نصف ما على المحصنات

---

(١) «التفسير» ١ : ٤٥١ .

(٢) انظر «التفسير» ٢ : ٥٥ .

المزوجات الرجم، وهو لا يتنصف، فيجب أن ترجم الأمة المحصنة إذا زنت، وأما قبل الإحصان فيجب جلدها خمسين، فأخطأ في فهم الآية، وخالف الجمهور في الحكم، بل قد قال أبو عبدالله الشافعي ـ رحمه الله ـ: ولم يختلف المسلمون في أنه لا رجم على مملوك في الزنا»[(١)].

كما ضعف استدلال بعضهم على نسخ صلاة الخوف بعد النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٢)]، حيث قال: «وممن استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي ﷺ لقوله: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ فبعده تفوت هذه الصفة فإنه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول ما نعي الزكاة الذين احتجوا بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[(٣)]، قالوا فنحن لا ندفع زكاتنا بعده ﷺ إلى أحد بل نخرجها بأيدينا على ما نراه، ولا ندفعها إلا إلى من صلاته ـ أي دعاؤه ـ سكن لنا، ومع هذا رد عليهم الصحابة وأبوا عليهم هذا الاستدلال وأجبروهم على أداء الزكاة وقاتلوا من منعها منهم»[(٤)].

الحافظ ابن كثير قد يذكر أقوال الفقهاء دون بيان الراجح منها من غيره:

وقد يذكر الأقوال بدون أن يرجح بينها أو ينص على الضعيف

---

(١) «التفسير» ١: ٤٧٧ـ ٤٧٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٤) «التفسير» ١: ٥٤٨.

منها، ومن أمثلة هذا: الخلاف الذي ذكره في عدة المختلعة هل هي عدة المطلقة ـ ثلاثة قروء ـ؟ أم أن عدتها حيضة واحدة؟ على قولين للعلماء، وكذا الخلاف هل للمخالع أن يوقع عليها الطلاق وهي في العدة؟ على ثلاثة أقوال للعلماء[(١)]، وغير ذلك[(٢)].

ومن هذا يتبين أنه وإن ناقش أقوال الفقهاء والمجتهدين وبين الراجح منها من الضعيف في كثير من المواضع ففي مواضع أخرى يكتفي بذكر الأقوال دون مناقشة أو ترجيح، وهذا يمكن إرجاعه لعدة احتمالات، منها أنه قد يتوقف لعدم وضوح الراجح من غيره في نظره، ومنها أنه قد يترك بيان القول الراجح من غيره لظهور رجحانه من بين الأقوال، إمالقوة أدلته وكثرة من أخذ به من العلماء، وإما لغير ذلك، ومنها أنه نظر إلى كتابه على أنه تفسير للقرآن الكريم لا أنه كتاب للفقه والأحكام، فلم يلتزم ببيان الراجح في كل موضع، ولهذا نراه في كثير من المواضع يحيل إلى كتب الأحكام[(٣)].

استطراد الحافظ ابن كثير أحيانًافي تناوله لبعض الأحكام:

هذا ومع أن الحافظ ابن كثير متوسط في تناوله للأحكام غالبًا إلا أنه قد يستطرد في بعض المواضع، فينتقل من ذكر الأقوال وأدلتها والراجح منها إلى ذكر المناقشات والردود، وإيراد بعض الإشكالات

---

(١) انظر «التفسير» ١ : ٢٧٦.

(٢) انظر مثلاً «التفسير» ١ : ٢٠٩ـ ٢١٠.

(٣) انظر مثلاً «التفسير» ١ : ٢٢٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٥٠٤، ٥٣٥و ٥٣٨.

على بعض الأقوال وذكر إجابات العلماء عليها، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾(١)، حيث ذكر اختلاف العلماء على قولين في المراد بالإحصان، فمنهم من قال: المراد به الإسلام، ومنهم من قال: التزويج، ثم قال: «وعلى كلا القولين إشكال على مذهب الجمهور، وذلك أنهم يقولون: إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة، سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكرًا، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الإماء»، وبعد أن ذكر هذا الإشكال قال: «وقد اختلفت أجوبتهم على ذلك»، ثم ذكر إجابات العلماء عن هذا الإشكال، وأدلتهم على هذه الإجابات، وردود بعضهم على بعض، وإجابات كل منهم عن أدلة الآخر، وبعد أن بين ضعف وخطأ بعض هذه الأقوال عقب على ذلك كله بذكر ملخص لهذه الأقوال(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾(٣)، عقد فصلا ذكر فيه خلاف العلماء فيما إذا أرسل كلبا على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه أو صدمه هل يحل؟ أم لا؟ على قولين للعلماء ذكرهما، وذكر أدلتهما، ومال إلى ترجيح القول بأنه لا يحل، وذكر احتجاج ابن الصباغ لهذا القول بحديث رافع بن خديج

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٥.
(٢) انظر «التفسير» ١: ٤٧٦-٤٧٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

قلت: يا رسول الله إنا لاقو العدو غدا وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب؟ قال: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه**» الحديث في الصحيحين، ثم ذكر أن هذا الحديث وإن كان واردًا على سبب خاص فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وضرب لهذا مثلاً، ثم أورد إشكالاً على الاستدلال بهذا الحديث وأجاب عنه من خمسة مسالك، ثم أورد إعتراضاً قال فيه: «فإن قيل فلم لا فصل في حكم الكلب فقال ما ذكرتم: إن جرحه فهو حلال وإن لم يجرحه فهو حرام؟ ثم أجاب عنه، ثم ذكر حكم صيد الكلب إذا أكل منه والخلاف فيه، وكذا حكم صيد الجوارح من الطيور إذا أكلت منه[(١)].

وقد يعقد المسألة تلو المسألة، والفصل تلو الفصل في الكلام على الأحكام، غير أن هذا ليس بالكثير، ومن أمثلته ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[(٢)]، حيث عقد أثناء كلامه على هذه الآية خمس مسائل: (الأولى) في حكم قتل الحر بالعبد والخلاف فيه، و(الثانية) في حكم قتل الرجل بالمرأة، و(الثالثة) في حكم قتل الجماعة بالواحد، و(الرابعة) في الخلاف هل لولي الدم أن يعفو على الدية بدون رضا القاتل؟، و(الخامسة) في الخلاف هل للنساء عفو؟ أم لا؟[(٣)].

كما ذكر أربع مسائل في الكلام على قوله تعالى في نفس السورة:

---

(١) انظر «التفسير» ٢: ٨-١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٣) انظر «التفسير» ١: ٢٠٩-٢١٠.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ...﴾[٢]، ذكر عددًا من المسائل والفصول في أحكام الخلع والطلاق وحكم نكاح المحلل ذكر فيها أقوال العلماء وأدلتهم[٣].

تقليل ابن كثير الكلام عن الأحكام أحيانًا:

قد يقلل الحافظ ـ رحمه الله ـ في بعض المواضع من الكلام عن الأحكام الفقهية حتى ليبدو وكأنه لا يتكلم عن آية من آيات الأحكام، ومن الأمثلة على هذا كلامه على آية الدين[٤]، حيث اكتفى في كلامه عليها بالإشارة العابرة لبعض الأحكام التي تتعلق بالدين، ككتابته والإشهاد عليه، واشتراط العدالة في الكاتب والشهود، مع الاختصار في ذلك[٥].

كما قلل الكلام عن البيع والربا عند كلامه على قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٩ـ ٢٣٠.
(٣) انظر «التفسير» ١: ٢٧١ـ ٢٧٩.
(٤) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ الآية ٢٨٢ من سورة لبقرة.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٣٣٤ـ ٣٣٧.

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[(١)].

كمااكتفى عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾[(٢)]، بالإشارة فقط لما عليه الجاهليون في المداينة وقولهم للمدين إما أن تقضي وإما أن تربي[(٣)].

تناول الحافظ ابن كثير في مواضع كثيرة للأحكام الأصولية بذكر بعض القواعد الأصولية، وذكر استدلال الأصوليين ببعض الآيات، واختلافهم مع مناقشة ذلك أحيانًا:

وكثيرًا ما يعرض الحافظ ابن كثير للقواعد الأصولية فيستدل ببعض قواعد الأصوليين في بعض المواضع، من ذلك: ما جاء في التنبيه الذي عقده عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾[(٤)]، حيث قال: «تنبيه ينبغي الوقوف عليه». ثم قال: «قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[(٥)]، يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة، وعلل هذا بما هو معروف عند المحققين من الأصوليين من أن النكرة في سياق الشرط تعم كماهي في سياق النفي، ثم بين أن الإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها، وقال: «هذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين الناس

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.
(٣) انظر «التفسير» ١: ٤٠٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣٨.

سلفًا وخلفًا . . »[١].

كما بين أن القول بمفهوم اللقب ضعيف عند عدم القرينة، لاسيماعند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم[٢]، وبين أن مفهوم العدد إذا عارضه منطوق قدم عليه[٣].

كما يذكر استدلال الأصوليين ببعض الآيات على بعض القواعد الأصولية، كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[٤]، حيث بين استدلال الأصوليين بهذه الآية على أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكي مقررًا ولم ينسخ، كما هو المشهور عند الجمهور[٥].

ومن ذلك أيضا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[٦] في قصة الذبيح، حيث ذكر استدلال جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافًا للمعتزلة، ثم قال: «والدلالة من هذا ظاهره»[٧].

كما ذكر احتجاج الأصوليين بقوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ

---

(١) «التفسير» ١ : ٦٢.
(٢) «التفسير» ١ : ٤٨١.
(٣) انظر «التفسير» ١ : ١٧٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٥.
(٥) «التفسير» ٢ : ٦٢.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.
(٧) «التفسير» ٤ : ١٦.

أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾[١] بأنه كان له ﷺ أن يحكم بالاجتهاد، كمااستدلوا بغيرها من السنة»[٢].

كما يذكر أيضااختلاف الأصوليين في بعض المواضع،وقد يناقش أقوالهم ويرجح بينها، ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾[٣]، حيث ذكر أقوال الأصوليين في الحكم إذا جاء الأمر بعد الحظر، فذكر أن منهم من يقول إنه على الوجوب كالمطلق، قال: وهؤلاء يحتاجون إلى جواب ابن حزم، وقد بين قبل هذا أنه لا مستند له فيما ذهب إليه من وجوب الجماع بعد كل حيضة، ومنهم من يقول إنه للإباحة ويجعل تقدم النهي عليه قرينة صارفة له عن الوجوب، قال ابن كثير: وفيه نظر ـ ثم قال: والذي ينهض عليه الدليل أنه يرد عليه الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي، فإن كان واجبًا فواجب كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٤]، أو مباحا فمباح كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٦]، ثم قال ابن كثير بعد هذا مختارًا لهذا القول ومصححًا له: وعلى هذا القول تجتمع الأدلة، وقد حكاه الغزالي وغيره، واختاره بعض الأئمة المتأخرين وهو

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) «التفسير» ١: ٥٥٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

الصحيح»[١].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[٢]، بين ـ رحمه الله ـ جواز النسخ شرعًا وعقلاً ووقوعه سمعًا ونقلاً، وذكر الرد من هذه الآية وغيرها على منكري النسخ من اليهود وغيرهم، كما بين السبب الذي حمل اليهود على البحث في مسألة النسخ، ألا وهو الكفر والعناد، ورد عليهم وفند شبههم، كما رد على أبي مسلم الأصفهاني المفسر في دعواه عدم وقوع شيء من ذلك في القرآن، وضعف قوله حيث قال بعدما ساق قوله: «وقوله ضعيف مردود مرذول»، كما ذكر أنه تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ، وذكر عدة أمثلة مما تعسف الأصفهاني في الرد عليها، وبين أن جوابه على ذلك كله مردود وغير مقبول[٣].

عدم إكثار الحافظ ابن كثير من الخوض في علوم الكون والفلك والطبيعة مع معرفته بها، وحرصه غالبًا على الوقوف على ما يدل عليه ظاهر الآيات أو ما هو مشاهد معروف من هذه العلوم:

أما مايتعلق بعلوم الكون والفلك والطبيعة واجتهادات العلماء حولها فإنه لا يكثر الخوض فيها، وقد يشير إليها في بعض المواضع، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا

---

(١) «التفسير» ١: ٢٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٣) «التفسير» ١: ١٤٩ـ ١٥١.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[(١)]، فبعد أن ذكر خلاف المفسرين في هذه الفترة ذكر الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، وأن بين كل مائة سنة شمسية ومائة سنة قمرية ثلاث سنين، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[(٢)]، فقال: «أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب»[(٣)].

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[(٤)]، حيث قال: «فهذا دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال، لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي يتقلص الفيء يمنة، وقال في قوله: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: «أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه»، ثم قال بعد ذلك: «وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية المشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالاً، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٧.
(٤) «التفسير» ٢: ٣٥.

الغروب، فتعين ما ذكرناه ولله الحمد»[١].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾[٢]، ذكر بعض كلام علماء الفلك مما يتعلق بتسيير الأفلاك والكواكب، وكسوف بعضها لبعض، والأفلاك الثابتة وغير ذلك ـ ثم قال في نهاية الكلام: «هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام، على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها، وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى خلق: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾[٣]، أي فاوت بينها في الاستنارة، فجعل كلا منها أنموذجًا على حده ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجًا، وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر، ليدل على مضي الشهور والأعوام كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[٤]»[٥].

ومن خلال هذا التعقيب الأخير من ابن كثير على هذه الآية بعد أن

---

(١) «التفسير» ٣: ٧٥، وفيما ذكره ابن كثير نظر فإن جعل الشمس تزاور عنهم ذات اليمين وذات الشمال لا يتوقف على موضع الباب في يمين أو شمال، وإنما هي آية تكريم لهؤلاء، إنها آية من آيات الله كما قال تعالى فى الآية نفسها: ﴿ذلك من آيات الله﴾ والله أعلم.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٥.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٥ـ ١٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥.

(٥) «التفسير» ٤: ٤٢٥.

ذكر كلام الفلكيين يتضح أنه ـ رحمه الله ـ يقف عند ما دلت عليه الآيات القرآنية، وأنه وإن حكى بعض كلام أهل الفلك، فلا يدل ذلك على التسليم به واعتقاد صحته وإنما مجرد حكاية لبعض أقوالهم، حيث بين المقصود من هذه الآية بعد سياق كلامهم، واقتصر على ذكر الأمور المشاهدة الواضحة لكل أحد من التفاوت بين نور الشمس والقمر، وحكمة ذلك، وتقدير منازل القمر وبروجه وتفاوت نوره زيادة ونقصانًا، والحكمة في ذلك أيضًا، وهذا بلا شك هو الأمر الواضح الذي تدل عليه الآيات بلا تعسف أو تكلف .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[١]، تعرض لذكر بعض الأمور الجغرافية والطبيعية، فذكر بعض البحار المالحة المرة التي لا تستساغ كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق، وبحر القلزم، وبحر اليمن، وبحر البصرة، وبحر فارس، وبحر الصين والهند، وبحر الروم، وبحر الخزر، وما شاكلها وشابهها من البحار الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ـ ويمضي الحافظ ابن كثير بعد هذا ليتكلم عن حالات المد والجزر في هذه البحار فيقول: «ومنها ما فيه مد وجزر، ففي أول كل شهر منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر بالنقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٣.

إلى الليلة الرابعة عشرة، ثم تشرع في النقص، فأجرى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو ذو القدرة التامة ـ العادة بذلك، فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله ـ سبحانه وتعالى ـ مالحة، لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تجوي[(١)] الأرض بمايموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها ملحًا كان هواءها صحيحًا وميتتها طيبة، ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر أنتوضأ به؟ فقال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[(٢)].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾[(٣)]، أورد نقلاً عن أصحاب الهيئة قال: «وقال أصحاب الهيئة: وبُعْد ما بين بابل ـ وهي من إقليم العراق ـ عن البحر المحيط الغربي ـ ويقال له أوقيانوس ـ سبعون درجة، ويسمون هذا طولاً، وأما عرضهما ـ وهو بعد ما بينهما وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب، وهو المسامت لخط الاستواء، اثنتان وثلاثون درجة والله أعلم»[(٤)].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[(٥)]، ذكر أن هذه الآية في بيان كيفية خلق السحاب الذي منه الماء فقال: «وهو إما من البحر ـ كما ذكره غير واحد ـ أو مما شاء الله عز وجل»،

---

(١) أي تنتن.
(٢) «التفسير» ٣: ٣٢٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٤) «التفسير» ١: ١٤٢ـ ١٤٣.
(٥) سورة الروم، الآية: ٤٨.

وقال بعد هذا في معرض كلامه على قوله تعالى في نفس الآية: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: «وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالاً مملوءةً كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1]»[2].

فمن هذه الأمثلة يتبين لنا مدى ما كان عليه ابن كثير ـ رحمه الله ـ من معرفة بهذه العلوم ـ علم الفلك والكون والهيئة والطبيعة ونحوها ـ، ولكنه ـ كما قلت سابقًا ـ مقل من الخوض فيها، مع الوقوف تمامًا عند الذي يدل عليه النص من غير زيادة أو نقصان، تدل على هذا عبارته السابقة حينما عقب على ما نقله عن الفلكيين بقوله: «هذا ملخص مايقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وإنما المقصود . .إلخ» وقد تقدم[3] . .

وكذلك قوله هنا حينماتكلم عن كيفية خلق السحاب حيث قال: «إما من البحر ـ كما ذكره غير واحد ـ أو مما يشاء الله عز وجل»، فقد قال ـ رحمه الله ـ بما علم ولم ينف صحة ما لم يعلم، وهذا يدل على شدة ورعه، وهذا هو الواجب على كل مسلم أن يقول بما علم وأن

---

(١) سرة الأعراف، الآية: ٥٧.
(٢) «التفسير» ٣: ٤٣٦ـ ٤٣٧.
(٣) راجع ص٣٢٠.

يسكت عما جهل، إذ جهل المرء بشيء لا يدل على عدم وقوعه، والخلاف في مثل هذا مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته، وأيا كان الأمر فالسحاب وجد بقدرة الله ـ سبحانه ـ سواء كان من البحر ـ كما يقوله أكثر الفلكيين ـ أم من غيره، فالواجب على المسلم التسليم بأن إيجاد كل موجود إنما هو بقدرة الله سبحانه وتعالى، وليس عليه أن يبحث فيما وراء ذلك، ولو سلمنا بأن السحاب أوجد وخلق من ماء البحر فهذا لا ينافي قدرة الله سبحانه وتعالى، بل إن هذا مما يزيدنا إيمانًا ويقينًا بالله سبحانه وتعالى وبعظمته وجلاله والله أعلم .

حسن طريقة الحافظ ابن كثير في عرضه للخلاف وبروز شخصيته في مناقشة الأقوال وحسن اختياراته، ومدى ماكان عليه من معرفة بالأحكام الفقهية والأصولية وعلوم الكون والفلك والطبيعة:

ومن خلال ماتقدم يظهر لنا حسن طريقة الحافظ ابن كثير في عرضه للخلاف، كماتظهر لنا شخصيته المستقلة في مناقشته للأقوال واختياره منها ما دل عليه الدليل من غير تعصب لمذهب من المذاهب أو قول من الأقوال، ومدى ما كان عليه من معرفة بالأحكام الفقهية والأصولية، كما تبين لنا أيضًا أنه في تناوله للأحكام وسط بين المكثرين من تناولها والمقلين من ذلك من المفسرين، حيث أعطى لهذا الجانب حقه من غير إفراط ولا تفريط .

هذا ونستطيع من خلال ما تقدم في هذا البحث وفيما سبقه من مباحث أن نحدد أن نحدد القول:

مجالات الاجتهاد في تفسير ابن كثير محصورة في مجال الرأي المحمود:

حيث يرى الحافظ ابن كثير تبعًا لإمامه الطبري وشيخه ابن تيمية وغيرهما من علماء السلف والخلف أن الرأي ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم، فالمحمود جائز والمذموم محرم، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، ولهذا نجد أنه وإن كان يفسر القرآن بالمأثور فقد أضاف إلى ذلك شيئًا من الاجتهاد والرأي المحمود الموافق للكتاب والسنة والمستوفي جميع شروط التفسير، لهذا جاء تفسيره ـ رحمه الله ـ جامعًا بين المنقول والمعقول والرواية والدراية، ونحن لا نعجب من هذا الاتجاه إذا عرفنا أن عمدته في التفسير هو عمدة المفسرين عامة الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ، وهو أول من ابتكر هذه الطريقة من حيث الجمع بين التفسير بالمأثور وإضافة شيء من الاجتهاد والرأي المحمود، كما أن لتأثر الحافظ ابن كثير بشيخ الإسلام ابن تيمية أثراً كبيراً في هذا الاتجاه، ونستطيع أن نقول إن مجالات الاجتهاد في تفسيره ـ رحمه الله ـ محصورة في مجال الرأي المحمود والاجتهاد المقبول، وتتركز في مناقشته لكثير من الأقوال، والتوفيق بينها، وبيان الصحيح والحسن والضعيف منها، والراجح من غيره، وفي توجيه بعض الأقوال والأدلة، وفي استنباط بعض الأحكام التي قد تؤخذ من

بعض الآيات .

هذا عمله في جميع الجوانب التفسيرية التي خاضها، ففي تفسير القرآن بالقرآن نراه لا يكتفي بإيراد الآيات فقط، وإنما يوفق بين بعض هذه الآيات تارة من جهة لفظها وتارة من جهة معناها أو من جهتهما معًا، وفي تفسيره القرآن بالسنة نراه أيضًا يقف موقفًا متميزًا عمن سبقه من المفسرين من حيث نقده للأحاديث سندًا ومتنًا، وبيان الصحيح والحسن والضعيف منها، كمايناقش أيضًا كلام المحدثين على بعض الأحاديث بالموافقة تارة والمخالفة أخرى، وهكذا موقفه من الآثار المروية في أسباب النزول، وفي التفسير عمومًا عن السلف، وفي أقوال المجتهدين والفقهاء وأهل اللغة وغيرهم.

وهكذا طريقته في جميع الجوانب التفسيرية التي تناولها فهو ينقل وينقد، ويصحح ويضعف، ويوجه ويوفق، ويختار قولاً ويترك غيره، إلى غير ذلك، وهذا ما يميز تفسيره عن كثير من كتب التفسير التي اكتفى أصحابها بإيراد المأثور فقط من الأحاديث والآثار من غير مناقشة لذلك.

المبحث السادس

تفسير القرآن بالأخبار التاريخية والإسرائيلية

قبل الدخول في هذا الموضوع أود أن أوضح أنه ذو جانبين:

أ) الجانب الأول: تفسير القرآن بالأخبار التاريخية الواقعة في حياته ﷺ واهتمام ابن كثير في ذلك:

تفسير القرآن بالأخبار التاريخية التي وقعت في العهد النبوي الكريم، بمعنى تفسير القرآن بالسيرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ، وقد أعطى الحافظ ابن كثير هذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، ولا غرو في هذا فقد أخذ على نفسه اعتبار السنة النبوية مصدرًا أصيلاً في تفسيره بعد تفسير القرآن بالقرآن، وسيرته ﷺ فيها بيان لسنته وهديه في غزواته وحروبه، والوقائع التاريخية في حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وثمة أمر ثان له أهميته أيضًا وهوأن الحافظ ابن كثير يعتبر عمدة المؤرخين، وكتابه «البداية والنهاية» أكبر شاهد على هذا.

ولهذا نراه ـ رحمه الله ـ يقف عند كل حدث تاريخي أشارإليه القرآن الكريم مما وقع في عهده ﷺ فيذكر بعض ما يتعلق به من الروايات والأخبار التاريخية، مما رواه أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد وغيرهم، وما ذكره أصحاب السير والمغازي والتاريخ كابن إسحاق في سيرته والواقدي في مغازيه وابن عساكر في تاريخه وغيرهم، ويحرص على ذكر الصحيح من الأخبار .

وخير مثال لهذا ما ساقه من ذلك أثناء كلامه على الآيات التي نزلت في شأن غزوة بدر[١]، وفي غزوة أحد[٢]، وفي الحديبية[٣]، وفي إجلاء يهود بني النضير[٤] وغير ذلك من الوقائع في عهده الميمون - عليه الصلاة والسلام -. ويعتبر في ذكره لهذه الأخبار - على العموم - مقتصدًا مكتفيًا بما تدعو الحاجة إليه في التفسير، وكثيرًا ما يحيل إلى كلامه على هذه الروايات وأسانيدها في كتابه «البداية والنهاية»[٥].

مناقشة الحافظ ابن كثير لما يورده من أخبار تاريخية من حيث أسانيدها ومتونها، وبيان الصحيح منها من غيره:

وكثيرًا ما يناقش هذه الأخبار من حيث أسانيدها ومتونها مبينًا الصحيح منها من غيره والراجح من المرجوح.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٦]، ذكر أن المقام كان ملصقًا بجدار الكعبة، وإنما الذي أخره الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، ثم ساق الآثار الواردة في ذلك بأسانيدها، منها ما قاله البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن

---

(١) انظر «التفسير» ٢: ٢٨٦ ومابعدها.
(٢) انظر «التفسير» ١: ٤١١ ومابعدها.
(٣) انظر «التفسير» ٤: ١٨٢ ومابعدها.
(٤) انظر «التفسير» ٤: ٣٣٠ ومابعدها.
(٥) انظر «التفسير» ١: ٨٠، ٣٦٣، ٣: ١٠٠، ٤: ٣٨٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

كامل، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا أبو ثابت، حدثنا الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**أن المقام كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ملتقصًا بالبيت، ثم أخّره عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ**» قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح». ومنها ما قاله عبدالرزاق، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: «أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كما ساق غيرها من الآثار في هذا ثم قال: «فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه والله أعلم».

ثم ساق ما قاله الحافظ أبو بكر بن مردويه: أخبرنا عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم، أخبرنا محمد بن عبدالوهاب بن أبي تمام، أخبرنا آدم هو ابن أبي إياس في تفسيره، أخبرنا شريك، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد قال: «**قال عمر بن الخطاب: يارسول الله لو صلينا خلف المقام، فأنزل الله:** ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، **فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله ﷺ إلى موضعه هذا**»، قال مجاهد: وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن ـ قال ابن كثير: «هذا مرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدم في رواية عبدالرزاق عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد: أن أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وهذا أصح من طريق ابن مردويه

مع اعتضاد هذا بما تقدم والله أعلم»[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)﴾[2] ذكر خلاف العلماء في يوم الفرقان وهو يوم بدر هل كان في سبع عشرة من رمضان؟ أم في تسع عشرة منه؟ وذكر ما روي عن الحسن بن علي أنه قال: «كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان ـ ثم قال ابن كثير: «إسناد جيد قوي، ورواه ابن مردويه عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب، عن علي قال: كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان»، قال ابن كثير: «هو الصحيح عند أهل المغازي والسير، وقال يزيد بن أبي حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه: كان يوم بدر يوم الإثنين، ولم يتابع على هذا، وقول الجمهور مقدم عليه والله أعلم»[3].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾[4]، قال: «قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا

---

(١) «التفسير» ١: ١٧٠ـ ١٧١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.
(٣) «التفسير» ٢: ٣١٣.
(٤) سورة القدر، الآيتان: ٢ـ ٣.

القاسم بن الفضل الحداني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدمابايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني - رحمك الله - فإن النبي ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ يا محمد يعني نهرا في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد، قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص - وبعد أن أورد ابن كثير كلام بعض الأئمة في رواة هذا الحديث، وبين أنه على كل تقدير منكر جدًا كما قاله الحافظ أبو الحجاج المزّي - بعد هذا قال: «قلت: وقول القاسم بن الفضل الحداني إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد ولا تنقص ليس بصحيح، فإن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمي ذلك عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبدالله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الأمرة بالكلية بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فيقارب ما قاله الصحة في الحساب

والله أعلم»[١].

وبما أن هذا الجانب واضح في تفسير الحافظ ابن كثير: فإنني سأكتفي هنا بهذا القدر حيث لا تخفى مكانة الحافظ ـ رحمه الله ـ في التاريخ، فليس عجيبًا أن نراه يذكر عند كل آية مما يتعلق بالغزوات والوقائع ما يتعلق بها من أخبار تاريخية، مستمدًا ذلك من دواوين السنة وكتب التاريخ والسير والمغازي وغيرها، مع تحقيق القول في ذلك واختيار أصح الروايات وأثبتها.

ب ـ الجانب الثاني: تفسير القرآن بالأخبار الإسرائيلية:

المراد بالأخبار الإسرائيلية:

تشمل الأخبار الإسرائيلية ما تأثربه تفسير القرآن من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وكل دخيل على التفسير مما فيه مبالغة ودس وكذب وتحريف، ولو كان مرويًا عن غير أهل الكتاب، أو متعلقًا بقصص غير واردة في أسفار أهل الكتاب، كقصة هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود وغيرهم، وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرهابالإسرائيليات تغليبًا للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه لكثرة أهله وظهورهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا[٢].

---

(١) «التفسير» ٤: ٥٢٩ـ ٥٣٠.

(٢) انظر «التفسير والمفسرون» ١: ١٦٥، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص٧١ـ =

متى دخلت الإسرائيليات في التفسير؟

ومبدأ دخول الإسرائيات في التفسير أمر يرجع إلى عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وذلك نظرًا لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل مع فارق واحد هو الإيجاز في القرآن والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل، وقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب مصدرًا من مصادر التفسير عند الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، غيرأن ذلك الرجوع في حدود دائرة الجواز، أما بالنسبة للتابعين فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وذلك يرجع لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهر جماعة من المفسرين حشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة، بل ونجد بعض المفسرين في هذا العصر ـ عصر التابعين ـ يصل بهم الأمر إلى أن يصلوا بين القرآن وما يتعلق بالإسلام في مستقبله، فيشرحون القرآن بما يشبه التكهن عن المستقبل والتنبؤ بما يطويه الغيب. . إلخ.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يُروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل!!، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعًا من الخرافة ـ إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من

= ٧٥.

المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها[١].

أسباب الإكثار من الإسرائيليات في التفسير:

وقد أرجع ابن خلدون أسباب الإكثار من الإسرائيليات، وكيف تسربت إلى المسلمين في مقالة له ذكرها في مقدمته[٢] إلى عدة اعتبارات، وقد نقل هذه المقالة الشيخ الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» ولخصها بقوله: «ومن هذا يتضح لنا أن ابن خلدون أرجع الأمر إلى عدة اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية، فعد من الاعتبارات الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب، وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية، من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، وهم يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم، وعد من الاعتبارات الدينية التي سوغت لهم تلقي المرويات في تساهل وعدم تحر للصحة أن هذه المنقولات ليس مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل»[٣].

كما أن من ضمن الأسباب بل ومن أهمها كون القرآن جاء موجزًا مجملاً في كثير من قصص الأنبياء، بينما الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل جاءت فيها هذه القصص مفصلة، ومن ذلك أيضًا

---

(١) «التفسير والمفسرون» ١: ١٧٥ـ ١٧٧ باختصار وتصرف قليل.

(٢) «مقدمة ابن خلدون» ٤٩٠ـ ٤٩١.

(٣) «التفسير والمفسرون» ١: ١٧٨.

ترجمة التوراة وشروحها، ووجود طائفة من القصاص الذين لهم شوق وشغف برواية الإسرائيليات[١].

الأثر السيء للإسرائيليات في كتب التفسير:

وقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وغيرهم وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئًا مما جاء فيها، لاعتقاده أن الكل من باب واحد، وبهذا دخل الشك في كثير من الأخبار الصحيحة، كما أفقدت هذه الإسرائيليات كثيرًا من كتب التفسير قيمتها، بل إنها شغلت المطلع على تفسير القرآن عن التفكير في الأمور الجوهرية مماأودعه الله ـ تعالى ـ في كتابه من بيان للعقائد والأحكام والعبر والعظات وغير ذلك من الأمور التي ينبغي الوقوف عندها طويلاً، كمافتحت لأعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين وغيرهم منفذًا ينفذون منه إلى الطعن في الإسلام وتشويه سمعته ووسمه ـ وهو دين الحق والعقل والفطرة ـ بميسم الجهل والخرافات.

كما أنها اعتبرت عقبات في طريق التقدم الفكري الإسلامي لأنها كانت بعض ما شغل علماء المسلمين في التحذير منها والتنبيه على خطئها وخطرها بما وضعوه من قواعد الجرح والتعديل.

كما أن لها أثرًا في تمزيق المسلمين شيعًا وأحزابًا، لأن منها

---

(١) انظر «التفسير والمفسرون» ١: ١٧٦ ـ ١٧٧، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص١٦٤ ـ ١٦٥.

ماوضع بقصد الكيد للإسلام وتمزيق وحدة المسلين مماأثار الجدل والتعصب الذميم بين المسلمين .

إضافة إلى ما تقدم فإن نسبة هذه الإسرائيليات إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة[١] .

الذين كثرت رواية الإسرائيليات عنهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم:

وغالب ما يروي من الإسرائيليات في كتب التفسير عن الصحابة معزو إلى عبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو ابن العاص، وعبدالله بن سلام، وتميم الداري، وغيرهم .
ومن التابعين: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وغيرهما، ومن تابعيهم: ابن جريج، والكلبي، وابن إسحاق، وغيرهم[٢] .

ليس لنا أن نأخذ من رواية السلف من الصحابة ومن بعدهم لبعض الإسرائيليات باباً للخوض في الكلام فيهم أو الاتهام لهم :

وما دمنا قد عرفنا فيما سبق أن رجوع الصحابة، إلى أهل الكتاب في دائرة ضيقة جدًا، وهي دائرة الجواز والإباحة، فليس لنا أن نأخذ من هذا بابًا للخوض في الكلام فيهم، خصوصًا أنهم وقفوا عندما حده لهم رسول الله ﷺ فما وافق الشرع قبلوه، وما خالفه نبذوه، وما سكت

---

(١) انظر «التفسير والمفسرون» ١ : ١٧٨ـ ١٧٩، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص٤٢٨ـ ٤٢٩ .

(٢) انظر «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص١٢٣، ١٦٧، ١٩٣ـ ١٩٧ .

عنه توقفوا فيه، وقد أجمعت الأمة على عدالتهم وفضلهم .

كما أنه لا ينبغي لنا أن نجعل من اتساع دائرة الإسرائيليات عند التابعين وتابعيهم، طريقًا للطعن والقدح فيهم، والاتهام لهم وتجريحهم، حيث إن من بين هؤلاء من هم على الثقة والعدالة عند كثير من العلماء، مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وغيرهما[١] .

وإذا نحن حكمنا بالتهمة وعدم العدالة على كل من روى شيئًا من الإسرائيليات فإننا قل أن نظفر بكتاب من كتب التفسير أو بمفسر من المفسرين سالمًا منها، ولكن الذي ينبغي هو عرض هذه الإسرائيليات، وأن تُحلل تحليلاً دقيقًا من حيث الرواية والسند والمتن، فما صح منها أثبتناه وما لم يصح نفيناه.

حكم رواية الإسرائيليات:

لقد ورد في حكم رواية الإسرائيليات عدد من الأحاديث والآثار يفهم من بعضها الجواز ومن البعض الآخر المنع، وأعدل الآراء في هذا هو ما ذهب إليه جمهور العلماء وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في التوفيق بين أدلة الجواز وأدلة المنع، وذلك بحمل أدلة الجواز، على ما وافق شرعنا وعلى ما سكت عنه شرعنا فلم يصدقه ولم يكذبه، وحمل أدلة المنع على ماخالف شرعنا .

وفيمايلي نص كلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «مقدمته في أصول

(١) انظر «مناهل العرفان» ١ : ٤٩٤ .

التفسير»[1] فبعد أن أشار ـ رحمه الله ـ إلى أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ـ قال: «فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

الثاني: ما علمنا كذبه بماعندنا مما يخالفه .

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم ـ أي في قوله ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى . . إلى غير ذلك مماأبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على

---

(١) ص١٠٠ـ ١٠١ .
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٢ .

الأدب في هذاالمقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه ـ تعالى ـ أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله تعالى عليه، فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي لا تجهد نفسك فيمالا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب» ثم ذكرابن تيمية بعد هذا أن ما تقدم أحسن ما يكون في حكاية الخلاف.

رأي الحافظ ابن كثير في الإسرائيليات من خلال تفسيره:

لقد قسم الحافظ ابن كثير الإسرائيليات ـ تبعًا لشيخه ابن تيمية ـ إلى ثلاثة أقسام، وقد نقل كلام شيخه بالنص الحرفي في هذا، فبعد أن ذكر حديث: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» كما ذكرابن تيمية قال: «لكن هذه الأحاديث تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح .

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل

فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني. .»[١] إلى آخر كلام شيخه ابن تيمية في هذا .

وقد ذكر نحوًا من هذا في مواضع كثيرة من تفسيره، وبين أن منهجه الإعراض عن كثير من هذه الإسرائيليات كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[٢]، بعد أن أشار إلى حال إبراهيم مع أبيه ونظره في الكواكب والمخلوقات ـ قال: «وما قصه أكثر المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لانصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير: الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه

---

(١) «التفسير» ١ : ٤، وانظر «مقدمة في أصول التفسير» ص١٠٠ـ ١٠١.
(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٥١ـ ٥٦.

الأمة»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾[٢]، قال عن أخبار بني إسرائيل: «ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه الكتاب والسنة أيضًا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله ـ عليه السلام ـ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: «**فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»[٣].

ويشدد الحافظ ابن كثير في الحكم على الإسرائيليات والتحذير منها كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾[٤]، قال: «وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها، لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا ونحن في غنية عنها ولله الحمد، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم»[٥].

---

(١) «التفسير» ٣: ١٨١ـ ١٨٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.
(٣) «التفسير» ٢: ٢٧٥.
(٤) سورة الإسراء، الآيات: ٤ـ ٨.
(٥) «التفسير» ٣: ٢٥.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(١) بعد أن ذكر أقوالاً في «إبليس» واسمه ومن أي قبيل هو؟ قال: «وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لاتكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد، الذي دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجانب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ـ أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس فيه، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنة الفردوس مثواهم وقد فعل»(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾ إلى قوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٢) «التفسير» ٣: ٨٩.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، بعدما ما ذكر أثرًا طويلاً عن ابن عباس في قصة ملكة سبأ وصفه بأنه منكر غريب، ثم قال: «والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب ـ سامحهما الله ـ فيمانقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله ـ سبحانه ـ عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة»[٢].

وقال في أول سورة «ق»: «وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: «ق» جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف!!! وكأن هذا ـ والله أعلم ـ من خرافات بني إسرائيل، التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة ـ مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئتمها ـ أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل؟ مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته، وإنماأباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «**وحدثوا عني بني إسرائيل ولا حرج**» فيما يجوزه العقل، فأماما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٤١ـ ٤٤.
(٢) «التفسير» ٣: ٣٣٦.

ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل»[١].

رأي الحافظ ابن كثير في الإسرائيليات في كتابه «البداية والنهاية» في التاريخ:

وكما كانت له هذه الكلمات القوية بشأن الإسرائيليات في تفسيره فله أيضًا في كتابه التاريخ ما يماثلها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في مقدمة كتابه «البداية والنهاية»[٢] حيث يقول: «ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، وتسمية لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه . . . إلى آخر كلامه في هذا والذي يتلخص في أن ما سكت عنه شرعنا فلم يصدقه ولم يكذبه تجوز حكايته للاعتبار، وما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا، وما شهد له شرعنا بالبطلان وجب رده ولا تجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال».

وقال في موضع آخر من «تاريخه»[٣]: «إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحًا، فأما ما يعلم أويظن بطلانه بمخالفته الحق الذي بأيدينا الذي هو عن المعصوم فذلك متروك

---

(١) «التفسير» ٤: ٢٢١.
(٢) ١: ٦.
(٣) «البداية والنهاية» ٢: ١٣٣.

مردود لا يعرج عليه».

فهذه الكلمات المنتشرة في كتابيه التفسير والتاريخ تدل بوضوح على تشدد رأيه تجاه هذه الحكايات الإسرائيلية، وفيما يلي بيان:

موقفه منها في تفسيره:

إن الناظر في كتب التفسير بالمأثور لا يكاد يجد تفسيرًا خاليًا من هذه الإسرائيليات، وهي تختلف قلة وكثرة، كما تختلف بكون بعضها فيه التنبيه على بعض الإسرائيليات بينما البعض الآخر لم ينبه على شيء منها .

وقد اتضح لي من خلال قراءتي في تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنه يسوق كثيرًا من الحكايات الإسرائيلية، معتمدًا في هذا على كثير من كتب التفسير والحديث والتاريخ وغيرها، فيروي عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، كما يروى في هذا عن ابن إسحاق في سيرته، وابن عساكر في تاريخه وغيرهم، ويسند كثيرًا من هذه الحكايات عن بعض مفسري السلف كعبدالله بن عباس، وعبدالله بن سلام، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وكعب الأحبار، ومجاهد، وقتادة وغيرهم .

كما اتضح لي أن موقفه من هذه الحكايات يختلف بين موضع وآخر، فبينما نراه في كثير من المواضع يعقب وينبه على كثير من الإسرائيليات، ويحذر منها، ويبين حكمها ـ نراه في بعض المواضع يسوقها ويمضي دون أن ينبه عليها أو يتعقبها بشيء .

وفي مقارنة بين رأيه فيها من خلال كلماته المتفرقة في تفسيره وتاريخه وبين ماجاء من هذه الحكايات مثبتًا في تفسيره نجد الفرق واضحًا، فبينما كان رأيه فيها يتصف بالشدة والقوة والصلابة نجد موقفه منها غير ذلك، وهذا لا يمكن إرجاعه إلى شك في رأيه فيها فرأيه فيها واضح جلي،وإنما يمكن ارجاعه ـ فيما يبدو ـ إلى أنه ـ رحمه الله ـ غلبه عند التطبيق ما وجد من الروايات في كثير من المواطن فأثبت طائفة منها غير قليلة.

كيفية تعقيبه على كثير من الإسرائيليات:

أما كيفية تعقيبه على كثير من الإسرائيليات فهي تختلف أيضًا، فتارة يحكم على بعضها بالنكارة والرد والكذب والافتراء، وهذا فيما إذا كانت مخالفة لما عندنا، ومن أمثلة هذا: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، حيث ذكر ما رُوي عن ابن عباس وأنس بن مالك في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، ثم قال: «وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائةوثلاثون ذراعًا وثلث ذراع تحرير الحساب».

قال الحافظ ابن كثير بعد هذا السياق: «وهذا شيء يستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٢١ـ ٢٢.

«**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»، قال ابن كثير: ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته. ثم قال: وهذا كذب وافتراء فإن الله تعالى ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾[3] وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم»[4].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾[5]، قال: «وقد حكى

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيتين: ١١٩ـ ١٢٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٤) «التفسير» ٢: ٣٧ـ ٣٨.

(٥) سورة الكهف، الآيات: ٩٢ـ ٩٦.

النووي - رحمه الله - في «شرح مسلم» عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك»، قال الحافظ ابن كثير: «فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء، وهذا قول غريب جدًا، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ. . .﴾[٢]، رد حكايات اليهود وزعمهم أن الذبيح إسحاق، وبين أن ذلك لم يصح في كتاب ولا سنة، وإنما ذلك متلقى في الغالب عن أخبار أهل الكتاب، حيث حسدوا العرب أن يكون أبوهم إسماعيل هو الذبيح[٣].

وتارة يحكم على بعضها بالتوقف بأن لا تصدق ولا تكذب مع جواز نقلها، وغالب ما يرويه في تفسيره من هذا القبيل: ومن أمثلة هذا: ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٤]، حيث عقد عنوانًا لبسط القصة في شأن البقرة، وأورد كثيرًا من الأخبار عن بعض المفسرين، وفي نهايتها قال: «وهذه السياقات عن عبيدة

---

(١) «التفسير» ٣: ١٠٣- ١٠٤.
(٢) سورة الصافات، الآيات: ٩٩- ١١٣.
(٣) انظر «التفسير» ٤: ١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[٢]، ذكر أثرًا رواه السدي، عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ـ ورضي الله عنهم ـ قال: «كان سليمان يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر . .» إلخ، وبعد أن ساق الحافظ ابن كثير هذا الأثر قال: «هذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب، وهي وقف لا يصدق منها إلا ما وافق الحق، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[٤]، أورد ما ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم: «أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل،

---

(١) «التفسير» ١ : ١١٠.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٤.
(٣) «التفسير» ٣ : ٥٢٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

وقال بعضهم من أهل مصر . . » ثم قال ابن كثير بعدما أورد هذا الأثر بتمامه: «وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرًا إسرائيليًا لا يصدق ولا يكذب»(١) .

تنبيه ابن كثير على بعض الإسرائيليات التي ذكرها بعض المفسرين في كتبهم، أو نسبت إلى النبي ﷺ:

وكثيرًا ما ينبه على بعض الإسرائيليات التي وقع فيها بعض المفسرين دون أن يثبتها، وإنما يشير إليها فقط للتنبيه، كما جاء عند تفسير قوله تعالى عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾(٢)، حيث قال: «وقد ذكر ابن جرير ههنا أثرًا طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن يسار وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم»(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾(٤)، قال: «وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلاً عجيبًا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ماجرى له، وفيه طول وغرابة، ونكارة في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة

---

(١) «التفسير» ١ : ٥٥٩ـ ٥٦٠ .
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣ .
(٣) «التفسير» ١ : ٢٤٥ .
(٤) سورة الكهف، الآيات: ٨٦ـ ٩٦ .

لا تصح أسانيدها والله أعلم»[١].

وهو بما منحه الله من معرفة بالحديث وعلومه لا يكتفي بنقد الآثار والأخبار التاريخية وبيان ما فيها من الإسرائيليات، بل إنه كثيرًا ما يكشف زيف ما نسب إلى النبي ﷺ مما ليس له صحة عنه من هذه الحكايات التي جاء بعضها على صفة أحاديث مضافة إلى النبي ﷺ كذبًا وزورا.

فعندما ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو حاتم، وابن جرير، وابن مردويه عن عبدالله بن عمر في قصة هاروت وماروت عقد لمناقشته عنوانًا فقال: «ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه»، ثم ذكر روايات هذا الحديث، وقال عن بعضها بأنه غريب، وعن البعض الآخر غريب جدًا، ثم قال: وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبدالله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ . . »[٢].

ومن ذلك أيضا: «ما رواه ابن جرير عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى ـ عليه السلام ـ على المنبر قال: «**وقع في نفس موسى هل ينام الله ؟ فأرسل إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وكادت يداه تلتقيان فيستيقظ فيحبس أحداهما على الأخرى، حتى نام**

---

(١) «التفسير» ٣: ١٠٤.
(٢) «التفسير» ١: ١٣٨.

نومة فاصطفقت يداه، فانكسرت القارورتان، قال: ضرب الله عز وجل مثلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض» ، قال الحافظ ابن كثير: وهذا حديث غريب جدًا، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع والله أعلم[١]».

ذكر ابن كثير أشياء من الإسرائيليات دون تنبيه أو تعقيب عليها:

أما الإسرائيليات التي يذكرها دون تنبيه أو تعقيب عليها فهي كثيرة أيضًا: ومن أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٢]، حيث قال: «وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا حكاية مطولة عن مجاهد، أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار، فخرج فإذا هو برجل واقف على الباب، فقال ما ولدت المرأة؟ فقال: جارية، فقال: أما إنها ستزني بمائة رجل، ثم يتزوجها أجيرها، ويكون موتها بالعنكبوت..» إلى آخر هذه الحكاية[٣]، فقد ساقها الحافظ ابن كثير دون تعليق عليها بردها أو قبولها أو التوقف فيها، كما هو الشأن في الإسرائيليات، بل إنه لم ينبه على أنها إسرائيلية، حتى نخضعها للمعيار الشرعي في الإسرائيليات، علمًا بأنها تحمل بين طياتها من التهافت ما يوجب ردها .

---

(١) «التفسير» ١ : ٣٠٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٣) «التفسير» ١ : ٥٢٦ .

ومن ذلك أيضًا: ما ذكره عن ابن جرير، وابن عساكر، وابن إسحاق في قصة الرجل المراد في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1][2].

وما ذكره عن ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قصة سفينة نوح ـ عليه السلام ـ وأنها طافت بالبيت أربعين يومًا . . إلى آخر القصة[3]، إلى غير ذلك من الحكايات والآثار التي أثبتها الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره دون أن يعقب أو ينبه عليها، وهذا بلا شك لا يتمشى مع خطته التي رسمها في مقدمة التفسير وفي كلماته المتفرقة فيه بشأن الإسرائيليات، ولعل السبب في هذا ما أشرت إليه سابقًا وهو كثرة هذه الروايات وغلبتها، الأمر الذي جعل الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ كما قال الشيخ أحمد شاكر: «لم يستطع أن يسير على ما رسم وغلبه ما وجد من الروايات في كثير من المواطن فأثبت طائفة منها غير قليلة»[4].

خلاصة القول في موقف ابن كثير من الإسرائيليات، وثناء العلماء عليه في ذلك على وجه العموم:

وخلاصة القول في هذا أن الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ له الفضل في التصدي لكثير من الإسرائيليات، والتنبيه عليها، وبيان حكمها،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.
(٢) انظر «التفسير» ٢: ٢٦٥ـ ٢٦٧.
(٣) انظر «التفسير» ٢: ٤٤٧ـ ٤٤٩.
(٤) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١: ٩.

وكشف عوارها، وبيان زيفها، وبطلانها، وعدم الفائدة فيها، وغنى الأمة الإسلامية عنها بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد كان ـ رحمه الله ـ بوقوفه من الإسرائيليات موقف الناقد البصير من بين المفسرين موضع ثناء العلماء ـ رحمهم الله ـ، قال الزرقاني[١]: «ولايزال كثير من أيقاظ المفسرين ـ كابن كثير ـ يتحرون الصحة فيما ينقلون ويزيفون ما هو باطل أو ضعيف، ولا يحابون ولا يجبنون».

وقد أحمد شاكر:[٢]«للحافظ ابن كثير كلمات قوية في شأن الإسرائيليات ورواياتها، وقد رسم في بعضها خطته نحوها»، وقال أيضًا قبل هذا: «فإن المؤلف ـ رحمه الله ـ جد بها في مواضع كثيرة من تفسيره وأبان عن خطلها وضررها، وأنحى باللائمة على رواياتها ورواتها، ورسم لنفسه خطة في شأنها».

وقال الشيخ الذهبي[٣]: «ومما يمتاز به ابن كثير أنه ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذر منها، على وجه الإجمال تارة وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى».

ويقول الدكتور رمزي نعناعة[٤]: «كما كان لبعض المفسرين فضل التنبيه على بطلان بعض ما رُوي من الإسرائيليات في كتب التفسير كابن كثير، والفخر الرازي، والألوسي، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد

---

(١) «مناهل العرفان» ١ : ٤٩٣ .

(٢) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ١٤، ٩ .

(٣) «التفسير والمفسرون» ١ : ٢٤٥ .

(٤) «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص٢١٨ .

رضا، وفارس هذه الحلبة هو الحافظ ابن كثير، فقد تصدى في كتابيه التفسير والتاريخ لنقد هذه الإسرائيليات، وتحقيق القول فيها».

وقال عنه أيضًا في موضع آخر[١]: «ويمتاز ابن كثير في تفسيره وتاريخه بالتنبيه على بطلان كثير من منكرات الإسرائيليات، وكيف تسربت إلى الإسلام ومن أين أتت، ولا عجب فهو حافظ وله بصر بالنقد ومعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على أقوال أهل الملل والنحل».

وقال الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة[٢]: «ومن خصائص هذا التفسير العظيم أنه يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، تارة يذكرها ويعقب عليها بأنها : دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة: لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها، وقد تأثر في هذا بشيخه الإمام ابن تيمية وزاد على ما ذكره كثيرًا، وكل من جاء بعد ابن كثير من المفسرين ممن تنبه إلى الإسرائيليات والموضوعات وحذر منها هم عالة عليه في هذا، ومدينون له بهذا الفضل، كالإمام الألوسي، والإمام محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا ـ رحمهم الله جميعًا ـ، ولهذا الكتاب فضل كبير علي في تنبيهي إلى الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، وهو معتمدي

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٣.

(٢) «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» ص١٨٢ـ ١٨٣.

ومرجعي الأول في هذا الباب، وللإمام ابن كثير حاسية دقيقة وملكة راسخة في نقد المرويات والتنبيه إلى منشئها ومصدرها، وكيف تدسست إلى الرواية الإسلامية، وقد تعقب ابن جرير على جلالته وتقدمه في بعض الإسرائيليات والموضوعات التي ذكرها في تفسيره، ولا عجب في هذا، فهو من مدرسة عرفت بحفظ الحديث والعلم به رواية ودراية، وأصالة النقد، والجمع بين المعقول والمنقول، وهي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وأمثالهم، فجازاه الله على صنيعه هذا خير الجزاء» .

مايؤخذ على ابن كثير في باب الإسرائيليات وعلى المفسرين قبله وبعده :

ومع هذا كله فإنه يبقى عليه كما أشرت سابقًا أنه ـ رحمه الله ـ ضمَّن تفسيره كثيرًا من الإسرائيليات دون أن يعقب عليها أوينبه إليها، كما يبقى عليه مأخذ وعلى المفسرين من قبله ومن بعده الذين ضمنوا تفاسيرهم كثيرًا من الحكايات الإسرائيلية، سواء نبهوا عليها أم تركوا ذلك؟ وهذا المأخذ هو ما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر[1] . ـ رحمه الله ـ بقوله: «إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا عليه دليل على صدقه ولا كذبه ـ شيء، وذكر ذلك في القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها ـ شيء آخر !! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا

---

(١) «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» ١ : ١٥ .

الذي لا يعرف صدقه، ولا كذبه مبين لمعنى قول الله ـ سبحانه ـ ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحديث عنهم أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير والبيان ؟!!! اللهم غفرا» .

وهذا مأخذ جيد للمغفور له أحمد شاكر، حيث إن إثبات مثل هذه الحكايات بجوار كلام الله تعالى فيه أبلغ التصديق لها وأعظمه، كيف لا؟ وقد قرنت مع أصدق الكلام كلام الله عز وجل. وكماأشرت سابقًا أن هذا يؤخذ على جميع المفسرين الذين ملأوا تفاسيرهم بهذه الحكايات، وسواء منهم من نبه على ذلك ومن لم ينبه عليه، إلا أن من نبه على هذه الحكايات يعتبر أخف حكمًا من غيره، إذ الأولى والأجدر أن يضرب المفسر عنها صفحًا، فلا يثبت منها شيئًا في تفسير القرآن لا قليلاً ولا كثيرًا، وبهذا يكون تفسيره أسلم وقوله أحكم.

على من تكون المسؤولية فيما رُوي في التفسير من الإسرائيليات

يقول الدكتور رمزي نعناعة: «أعتقد أن المسؤولية الأولى في هذا لا تقع على عاتق أهل الكتاب كما هو قائم في الأذهان، وإنما المسؤولية الكبرى في هذا تقع على عاتق الرواة والمدونين القدماء، سواء في ذلك الذين رووا ودونوا أجوبة أهل الكتاب وشروحهم لأول مرة في كتب لم تصل إلينا، والذين دونوها في الكتب التي وصلت إلينا نقلاً عن الكتب المتقدمة، وكلهم مفروض فيهم القدرة على تمييز الغث

من السمين، والباطل من الحق، والكذب من الصدق، وعلى إدراك مافي هذه الروايات من غلو ومبالغات لا يصح كثير منها في عقل أو منطق أو واقع ولا يؤيدها أثر صحيح، ومع أن بعض المفسرين وقفوا من هذه الروايات موقف المنكر كابن كثير وغيره، غير أن هذا لم يكن شاملاً ولا عامًا، حيث إن الناقدين أنفسهم رووا كثيرًا منها في مناسبات كثيرة بدون نقد أو إنكار، وقد حاول بعض العلماء ـ كالكوثري والطوفي ـ الاعتذار عن المفسرين في ملء تفاسيرهم بالإسرائيليات، وفي الحقيقة مهما اعتذرنا عنهم فلابد من تحميلهم المسؤولية في ذلك»[١].

ـ وفي نظري أن على أهل الكتاب قدرًا كبيرًا من المسؤولية في هذا، خصوصًا منهم الذين حاولوا تشويه تفسير القرآن ـ بدافع من التعصب البغيض والعداوة للإسلام ـ بما لفقوه من هذه الحكايات والأكاذيب والافتراءات، حسدًا وبغيًا من عند أنفسهم للعرب والأمة الإسلامية، بما منحها الله من خير كثير ونعمة عظيمة ببركة بعثة محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم. ولقد كان لكثرة هذه الحكايات الإسرائيلية وانتشارها سبب في رواجها على كثير من المفسرين، واغترارهم وتورطهم بها، وانطلاء الأمر عليهم، مما جعل الكثير منهم يثبتون الكثير من هذه الإسرائيليات .

---

(١) «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ص٤٣٠ـ ٤٣٣ بتصرف واختصار.

واجب المفسرين إزاء هذه الإسرائيليات :

إن واجب المفسرين إزاء الإسرائيليات: قبول ما جاء موافقًا للقرآن والسنة، مع الاعتماد على ما جاء في القرآن والسنة لا على ما جاء موافقًا لهما من تلك الحكايات، وإنما ينبغي اعتبارهامجرد شواهد فقط نحن في غنية عنها بما في القرآن والسنة، ولا مانع من ذكرها والاستشهاد بها.

أما ماجاء مخالفًا للكتاب والسنة فيجب اطراحه ورده وتنزيه كتاب الله عنه .

أما ما كان من القسم الثالث وهو الذي ليس فيه موافقة ولا مخالفة لما جاء في القرآن والسنة فالأولى في نظري تنزيه كتاب الله تعالى عنه، حيث إن الله قد أغنانا بما في كتابه وسنة رسوله ﷺ عما سواهما . قال ابن العربي منفرًا عن هذه الإسرائيليات فيما نقله عنه القرطبي[١]: «فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً» .

وقال الشيخ محمود شلتوت[٢] ـ رحمه الله ـ: «وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن، وكان جديرًا أن يقيموا بينهاوبين الناس سدًا يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولم ير

---

(١) «تفسير القرطبي» ١٥ : ٢١٠ .
(٢) «الفتاوى» ص٥٦ .

فائدة لعباده أن يطلعهم على شيء منه، وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أشد أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال».

على أنه لا ينبغي الاعتماد على ذكر السند في إيراد هذه الحكايات خصوصًا في مثل هذا الوقت الذي أهملت فيه دراسة الأسانيد وميزان الجرح والتعديل.

وبهذا نخلص إلى أن ما وافق القرآن والسنة من هذه الحكايات فلا مانع من قبوله للاستشهاد فقط، وما خالف فلا يجوز قبوله أبدًا، وما لم يوافق ولم يخالف فالأولى اطراحه وتنزيه كتاب الله عنه، لئلا يظن من ليس عنده علم بحكم هذه الإسرائيليات أنها تفسير للقرآن الكريم.

واجب الجامعات الإسلامية، وعامة علماء المسلمين تجاه هذه الإسرائيليات:

وختامًا لهذا المبحث فإنني أهيب بجامعاتنا الإسلامية أن تنتبه لهذا الخطر العظيم الذي تشكله تلك الحكايات الإسرائيلية التي تغص بها كتب التفسير، ذلك الخطر الذي يهدد تراث الأمة تفسيرًا وحديثًا تاريخًا وحضارة.

على جامعاتنا أن تجعل من بين موضوعات رسائل الماجستير والدكتوراه نقد كتب التفسير بالرواية، وتمحيصها مما علق بها من هذه الحكايات التي من شأنها إبعاد الناس عن التفكير فيما تضمنه القرآن الكريم من العقائد والأحكام، والهدى والموعظة وغير ذلك، وإبعادهم

أيضًاعن الحقيقة والواقع فيما يتصل بكتابهم أفضل كتاب وأجل دستور، وفيما يتعلق بسنة نبيهم وتاريخهم وحضارتهم .

وليس من الصعب تجريد كتب التفسير مما علق بها من هذه الإسرائيليات، فمن الممكن بل من السهل أن توضح أماكن الإسرائيليات وينبه عليها في مقدمة توضع لكل تفسير اشتمل على شيء من هذه الإسرائيليات، لكي يقرأها من يريد الاطلاع على التفسير قبل البدء فيه، وبهذا نسلم من خطر هذه الحكايات وغائلتها .

كما أهيب بعلماء المسلمين عمومًا الذين منحهم الله بركة في الوقت وقوة في العزيمة أن يولوا هذا الأمر اهتمامهم، حيث إن هذا العمل لا يعدله أي عمل آخر، كيف لا ؟ وهو يعد ذبًا وذودًا عن حياض القرآن الكريم، وخدمة لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.



الفصل الثاني
اعتماد ابن كثير على اللغة العربية
في تفسير القرآن الكريم

وفيه مبحثان

المبحث الأول: أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم .

المبحث الثاني : بيان مدى اهتمام ابن كثير باللغة العربية في تفسيره وطريقته في ذلك .



المبحث الأول

أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن

تعتبر اللغة العربية من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم، لأنه نزل بلغة العرب، وعلى النبي العربي الهاشمي ﷺ، كما هي سنة الله في الرسالات كل نبي يبعث بلسان قومه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[١]. وهذا لا يعني أن رسالته ﷺ خاصة بالعرب، بل إن رسالته للناس كافة، كمانطقت بذلك كثير من الآيات القرآنية، بل إن عموم رسالته ﷺ تقرر في أول الدعوة، وأيام الشدة والمحنة، عندما كانت الدعوة مضطهدة والأنصار قلة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[٤]، وغير ذلك، وهذه الآيات كلها مكية، وهكذا غالب الآيات في عموم الرسالة إنما نزلت في مكة وفي أول الدعوة.

وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات الدالة على أن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

القرآن الكريم أنزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾[٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

رجوع الصحابة رضي الله عنهم في التفسير إلى لغة العرب شعرًا ونثرًا:

ولقد كان من بين المصادر التفسيرية عند الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الاجتهاد وقوة الاستنباط، وكان من أهم أدواته عندهم الرجوع إلى اللغة العربية ومعرفة أوضاعها وأسرارها ومصطلحاتها، ومعرفة أشعار العرب وعاداتهم في مخاطباتهم شعرًا ونثرًا، وكان الصحابة كثيرًا ما يستشهدون بأشعار العرب.

قال ابن عباس: «الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ـ ١٩٥.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٣.

ذلك»[١].

وجاء في الاتقان[٢] عنه أنه قال: «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»، وعنه: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»، وعنه أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير، ثم قال السيوطي: «قلت: وقد روينا عن ابن عباس كثيرًا من ذلك»، ثم أورد مسائل نافع بن الأزرق أحد الخوارج، وهي تسعون ومائة مسألة أجاب ابن عباس فيها على معنى كل آية مع الاستشهاد من شعر العرب لكل معنى يذكره[٣].

وروى عنه أنه قال: «ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٤]، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول أفاتحك ـ يعني أقاضيك ـ»، وقال أيضًا: «ما كنت أدري ما﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال: أحدهما، أنا فطرتها ـ يعني ابتدأتها ـ»[٥].

وقال سعيد بن المسيب بينما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) «البرهان» ١ : ٢٩٤.
(٢) ١ : ١١٩ـ ١٢٠.
(٣) انظر «الإتقان» ١ : ١٢٠ـ ١٣٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٥) «البرهان» ١ : ٢٩٣.

على المنبر قال: «يا أيها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[(١)]، فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين التخوف: التنقص، فخرج رجل فقال: يا فلان ما فعل دينك؟ قال: تخوفته أي تنقصته، فرجع فأخبر عمر، فقال: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم - قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه:

تخوَّف الرحْلُ منها تامكاً قَرِداً كما تخوَّف عودَ النبعة السَفِنُ[(٢)]

فقال عمر: عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»[(٣)].

لابد في تفسير القرآن من المعرفة بلغة العرب:

قال يحيى بن نضلة المديني سمعت مالك بن أنس يقول: «لا أوتى برجل غيرعالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا».

وعن مجاهد قال: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب»[(٤)].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٧.
(٢) التامك: السنام المرتفع، القرد: المتراكم بعضه فوق بعض من السمن، النبعة: شجرة من أشجار الجبال يتخذ منها القسي، السفن: الحديدة التي تبرد بها القسي.
(٣) «تفسير الطبري» ١٠ـ ١١٠.
(٤) «البرهان» ١: ٢٩٢.

وقال الإمام الشاطبي في «الموافقات»[١]: «لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمَّ عرف فلا يصح أن يجري في فهمها ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب، مثال ذلك أن معهود العرب أن لا ترى الألفاظ تعبدًا عند محافظتها على المعاني، وإن كانت تراعيها أيضا، فليس أحد الأمرين عندها بملتزم بل قد تبني على أحدهما مرة وعلى الآخر أخرى، ولا يكون ذلك قادحًا في صحة كلامها واستقامته ـ ثم شرع في ذكر الدليل على ذلك فقال: والدليل على ذلك أشياء ـ :

أحدها: خروجها في كثير من كلامها عن أحكام القوانين المطردة والضوابط المستمرة . . الخ.

الثاني: أن من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعد ذلك اختلافًا ولا اضطرابًا إذا كان المعنى المقصود على استقامته . . الخ» .

وقال الزركشي في كلامه عن معرفة غريب القرآن[٢]: «وهذا الباب عظيم خطير، ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذرًا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء في

---

(١) ٢ : ٨٢ـ ٨٣.

(٢) «البرهان» ١ : ٢٩٥.

اللسان فقهاء في الدين، وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئًا من غريب القرآن. . »، وقال أيضًا: «واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر. . » .

وقال أيضا: «للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

(الأول): النقل عن النبي ﷺ.

(الثاني): الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع. . »، وبعد أن ذكر الخلاف في قول التابعي قال:

(الثالث): الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني، فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تحمل على من حرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبًا إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها. . »[1].

---

(١) المصدر السابق ٢: ١٥٦ـ ١٦٠.

غالب العلوم التي يحتاج إليها المفسر ترجع إلى اللغة العربية وعلومها:

ولقد ذكرالعلماء العلوم التي يحتاج إليها المفسر وغالبها مما يرجع إلى اللغة العربية وعلومها، قال السيوطي: «أحدها معرفة اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، ولا يكفي معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

(الثاني): النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلابد من اعتباره، أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته ؟ فقال حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فَيَعْيَى بوجهها فيهلك فيها .

(الثالث): التصريف، لأنه به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: «ومن فاته علمه فاته المعظم، لأنه وجد مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها» .

(الرابع): الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة؟ أو من المسح؟ .

(الخامس)، **(والسادس)**، **(والسابع)**: المعاني، والبيان، والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلاف بحسب وضوح الدلالة وخفائها،

وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

(الثامن): علم القراءات، لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه على بعض»[1].

وفيما تقدم في هذه العجالة مايكفي دليلاً على أهمية اللغة وعلومها في تفسير القرآن واعتبارها من أهم مصادر التفسير.

---

(١) «الإتقان» ٢: ١٨٠ـ ١٨١ باختصار وتصرف قليل.

المبحث الثاني

مدى اهتمام الحافظ ابن كثير باللغة العربية في تفسيره وطريقته في ذلك

نظرًا لأهمية اللغة العربية واعتبارها من أهم مصادر التفسير فإننا نرى الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ قد أولاها عناية تامة، واعتمدَ عليها اعتمادًا كبيرًا في تفسيره، وجعلها الفيصل في بيان معاني الآيات القرآنية جملة وتفصيلا.

ويظهر اهتمام الحافظ ابن كثير في اللغة من خلال الجوانب الآتية:

أولاً: رجوعه إلى اللغة واحتكامه إليها.

ثانيًا: تفسير المفردات القرآنية والمعاني الإجمالية للآيات على مقتضى اللغة العربية.

ثالثًا: الاهتمام بشتى جوانب اللغة الأخرى من نحو واشتقاق وتصريف وبلاغة ونحو ذلك.

وفيما يلي بسط الكلام على هذه الجوانب:

أولاً: رجوعه إلى اللغة واحتكامه إليها، ويتمثل هذا بأمرين:

أ) الاستشهاد بكلام العرب شعرًا ونثرًا.

ب) ذكر أقوال علماء اللغة .

أ) أما الاستشهاد بما رُويَ عن العرب من الشعر فهو كثير، ومن

أمثلته:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[(١)]، حيث أورد في معرض الكلام على معنى كلمة (التقوى) قول النابغة:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وقول الآخر:

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم[(٢)]

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[(٣)]، بين أن معنى ﴿يسومونكم﴾ يولونكم، ثم أورد قول عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا[(٤)]

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٥)]، وفي الكلام على معنى ﴿بديع﴾ قال: «وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعًا، ومن ذلك قول أعشى ابن ثعلبة في مدح هوذة بن علي الحنفي:

يدعى إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٢) «التفسير» ١ : ٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٤) «التفسير» ١ : ٩٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

أي يحدث ما يشاء»[١].

أما الاستشهاد بما رُويَ من كلام العرب نثرًا فهو ليس بكثير، ومن أمثلته:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[٢]، حيث قال: «والعرب تقول للعود إذا يبس: عتا يعتو عتيًا وعتوا، وعسا يعسوا عسوا وعسيا»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٤]، قال: «الحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب: حنت الناقة على ولدها، وحنت المرأة على زوجها»[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾[٦]، قال: «أي لعادلون جائرون منحرفون، تقول العرب: نكب فلان عن الطريق إذا زاغ عنها»[٧].

ب) أما الأمر الثاني وهو ذكر أقوال علماء اللغة والاستشهاد بها في تفسير كثير من الآيات فهذا كثير، ومن أمثلته:

---

(١) «التفسير» ١: ١٦١.
(٢) سورة مريم، الآية: ٨.
(٣) «التفسير» ٣: ١١٢.
(٤) سورة مريم، الآية: ١٣.
(٥) «التفسير» ٣: ١١٣.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٧٤.
(٧) «التفسير» ٣: ٢٥١.

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[(١)]، حيث قال: «والويل الهلاك والدمار، وهي كلمة مشهورة في اللغة، وقال الخليل: الويل شدة الشر، وقال سيبويه: ويل لمن وقع في الهلكة، وويح لمن أشرف عليها، وقال الأصمعي: الويل تفجع، والويح ترحم، وقال غيره: الويل الحزن، وقال الخليل: وفي معنى ويل: ويح وويش وويه وويك وويب، ومنهم من فرق بينها. .»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ ﴾[(٣)]، قال في معرض ذكر الأقوال في معنى ﴿طحاها﴾: «وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبي صالح وأبو زيد: ﴿طحاها﴾ بسطها، ثم قال: وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: وطحوته مثل دحوته أي: بسطته»[(٤)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾[(٥)]، قال: «الشفق هو حمرة الأفق، إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة، قال الخليل بن أحمد: الشفق

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.
(٢) «التفسير» ١ : ١١٧.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٦.
(٤) «التفسير» ٤ : ٥١٥.
(٥) سورة الانشقاق، الآية: ١٦.

الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل غاب الشفق، وقال الجوهري: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها أول الليل إلى قريب من العتمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وقت المغرب ما لم يغب الشفق**»، قال ابن كثير: وفي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل»[١].

وبهذا رجح ابن كثير ما ورد عن أهل اللغة، خصوصًاوأنه شهد له قول الرسول ﷺ وتفسير عكرمة على ما رُوي عن مجاهد من أن المراد بالشفق حمرة الأفق قبل طلوع الشمس.

مناقشة الحافظ ابن كثير لبعض أقوال أهل اللغة:

وقد يناقش بعض أقوال أهل اللغة كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾[٢]، حيث قال: «ومعنى قوله تعالى: ﴿أوبي﴾ سبحي، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد، وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحي بلسان الحبشة، قال ابن كثير: وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها،وقال أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه (الجمل) في باب النداء منه: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي سيري معه بالنهار كله، والتأويب سير النهار كله، والإسْآد سير الليل كله، قال ابن كثير:

---

(١) «التفسير» ٤: ٤٨٩.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٠.

وهذا لفظه، وهو غريب جدًا لم أره لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في معنى الآية ههنا، والصواب أن المعنى في قوله ﴿أوبي معه﴾ أي رجعي مسبحة كما تقدم والله أعلم»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾[٢]، قال: «وقال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ثجاجا منصبا، وقال الثوري: متتابعا، وقال ابن زيد: كثيرًا، ثم قال: قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج، وإنما الثج الصب المتتابع، وفيه قول النبي ﷺ: «**أفضل الحج العج والثج**» يعني صب دماء البدن، قال ابن كثير: قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «**أنعت لك الكرسف**» يعني أن تحتشي بالقطن، فقالت: يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً ـ قال ابن كثير: وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم»[٣].

ثانيًا: تفسير مفردات الآيات ومعانيها الإجمالية حسب مقتضى اللغة العربية:

بمعنى أن تفسيره لمفردات الآيات ومعانيها الإجمالية جاء وفق المعاني المعروفة في لغة العرب، ووفق مدلولاتها ومصطلحاتها،

---

(١) «التفسير» ٣: ٥٢٧.
(٢) سورة النبأ، الآية: ١٤.
(٣) «التفسير» ٤: ٤٦٢.

ووفق المعنى اللغوي المشهور .

وطريقة الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذا أنه تارة يدمج الكلام على معاني الألفاظ والمفردات في المعنى الإجمالي للآية، وهذا في الأعم الأغلب، فلو تتبعنا المعنى الإجمالي الذي يسوقه في توضيح معنى بعض الآيات لوجدنا أن بيان معاني مفردات تلك الآية جاء ضمن ذلك المعنى، وتارة نراه يبين معنى كل لفظة ومفردة على حدة، وهذا كثير، وقد يجمع بين الأمرين فيذكر المعنى العام أولاً ثم يفصل في بيان معاني المفردات، وهذا أيضًا كثير، وقد يعكس بأن يذكر معاني بعض مفردات الآية، ثم يتبع ذلك بذكر معناها العام.

ويعتمد في بيان معاني المفردات والألفاظ على ما ورد عن السلف غالبًا.

أما المعاني الإجمالية للآيات فإنه يعبر عنها بأسلوبه حسب ما فهمه مما ورد عن السلف من الكلام في تفسيرها جملة وتفصيلاً .

وإذا نحن تتبعنا تفسير ابن كثير للألفاظ والمفردات القرآنية سواء في ذلك ما فسره على انفراده، وماأدمجه في المعنى العام للآية، وسواء في ذلك ما فسره هو بنفسه، أو رجحه من بين أقوال المفسرين من السلف ـ نجد أن هذا التفسير جاء متمشيًا مع لغة العرب التي نزل بها القرآن، وفق معانيها واصطلاحاتها، دالاً على المعنى المقصود من الكلمة بأوجز عبارة وأسهلها.

وسأورد فيما يلي أمثلة لتفسيره بعض المفردات مع مقارنة ذلك بماجاء في كتب اللغة:

لنرى مدى التطابق بين تفسيره ـ رحمه الله ـ وكلام أهل اللغة على هذه الألفاظ.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾(١) قال: «أي عاقبناهم عقوبة فجعلناها عبرة . . .»(٢).

ففسر ـ رحمه الله ـ النكال بالعقوبة والعبرة، وقد جاء هذا التفسير وفقًا لما هو معروف في اللغة، ففي لسان العرب في مادة (نكل) قال: «قال الليث: النكل اسم لما جعلته نكالاً لغيره، إذا رآه خاف أن يعمل عمله، الجوهري: نكل به تنكيلاً إذا جعله نكالا وعبرة لغيره، ويقال: نكلت بفلان إذا عاقبته في جرم أجرمه عقوبة تنكل غيره عن ارتكاب مثله. ـ قال ـ: وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال الزجاج: أي جعلنا هذه الفعلة عبرة ينكل أن يفعل مثلها فاعل فيناله مثل الذي نال اليهود المعتدين في السبت». وهكذا جاء نحو من هذا التفسير عند عامة أهل اللغه(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٦

(٢) «التفسير» ١: ١٠٧.

(٣) انظر مادة «نكل» في «مختار الصحاح»، «النهاية في غريب الحديث»، «القاموس المحيط».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] قال: «أي لاتغلبه سنة وهي الوسن والنعاس، ولهذا قال: ﴿ولا نوم﴾ لأنه أقوى من السنة..»[2].

وبالمقارنة بين تفسير الحافظ ابن كثير لقوله تعالى: ﴿سنة﴾ وبين ما هو مشهور عند علماء اللغة في معنى السنة والوسن نجد أن تفسير الحافظ للسنة بالنعاس جاء وفقًا لما جاء في اللغة، ففي مادة (وسن) من (لسان العرب)[3] قال: «قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي لا يأخذه نعاس ولا نوم، ورجل وسنان ونعسان بمعنى واحد، والسنة نعاس يبدأ في الرأس فإذا صار إلى القلب فهو نوم، وفي الحديث: «**توقظ الوسنان**» أي النائم الذي ليس بمستغرق في نومه، والوسن أول النوم، والهاء في السنه عوض من الواو المحذوف. ابن سيده: السنه والوسنه ثقلة النوم وقبل النعاس وهو أول النوم، وسن يوسن وسنا فهو وسن ووسنان وميسان، والأنثى وسنة ووسنى وميسان.

وقال ابن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ففرق بين السنة والنوم كما ترى.

ووسن الرجل يوسن وسنًا وسنة إذانام نومة خفيفة فهو وسن».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) «التفسير» ١: ٣٠٨.

(٣) وانظر مادة «وسن» في «مختار الصحاح» و«النهاية»، و«القاموس المحيط».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾[١] قال بعدما أورد تفسيرابن عباس، وبعض التابعين لقوله ﴿ركزا﴾ بالصوت ـ قال: «والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي قال الشاعر:

فتوحشت ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها[٢]

وقد جاء هذا التفسير وفقًا لما هو موجود في قواميس اللغة، ففي «لسان العرب» في مادة (ركز) قال: «قال الفراء: والركز الصوت الخفي، وقيل: هو الصوت ليس بالشديد، قال: وفي التنزيل العزيز ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ قال الفراء: الركز الصوت، والركز صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه، وأنشد

وقد توجَّس ركزاً مقفرٌ ندسٌ بنبْأة الصوت ما في سمعه كذب[٣]

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[٤]، لم يكتف في ببيان معنى أمة في هذا المقام، بل إننا نراه ذهب ليبين استعمالاتها في القرآن والسنة حيث قال: «والأمة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة، فيراد بها الأمد كقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، وقوله في يوسف: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٨.
(٢) «التفسير» ٣: ١٤٠ـ ١٤١.
(٣) وانظر مادة «ركز» في «مختار الصحاح»، «النهاية في غريب الحديث»، «القاموس المحيط».
(٤) سورة هود، الآية: ٨.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(١).

وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾(٢).

وتستعمل في الملة والدين كقوله إخبارًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾(٣)..

وتستعمل في الجماعة كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧﴾(٦)، والمراد من الأمة ههنا الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم كما في «صحيح مسلم»: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني لا يؤمن بي إلا دخل النار**» وأما أمة الاتباع فهم المصدقون للرسل كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٧). وفي الصحيح: «**فأقول: أمتي أمتي**».

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٦) سورة يونس، الآية: ٤٧.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[1]، وكقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[2]»[3].

وهذه الاستعمالات التي ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، والتي فسر بها لفظ أمة في هذه المواضع من القرآن والسنة ـ كلها معروفة ومشهورة على ألسنة العرب وفي استعمالاتهم، وعند علماء اللغة[4].

قد يسوق الحافظ ابن كثير بعض الآثار التي فيها التعبير بعض الكلمات في القرآن بأنها غير عربية دون تعقيب عليها:

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحافظ ابن كثير قد يسوق بعض الآثار التي فيها التعبير عن بعض الكلمات في القرآن بأنها غير عربية[5]، ولا نستطيع أن نقطع في رأي ابن كثير في هذا، هل هو ممن يرى وقوع المعرّب في القرآن؟ أو ممن لا يرى ذلك؟ لأنه لم يعقب عليها بما يدل على أحد الأمرين، وسكوته عن تضعيفها ليس فيه دلالة على أنه يرى صحة ذلك، لأنه قد يسوق بعض الأقوال الضعيفة ويسكت عن تضعيفها، لكن هذا على قلة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.
(٣) «التفسير» ٢: ٤٣٨.
(٤) انظر مادة «أمة» في «النهاية»، «القاموس المحيط»، «لسان العرب».
(٥) انظر «التفسير» ٢: ٤٥٤، ٤٧٣ـ ٤٧٤، ٥١٢، ٣: ١٠٧، ٣٤٥.

ولعل فيما تقدم من الأمثلة ما يكفي للدلالة على أن تفسير الحافظ ابن كثير للمفردات جاء بحسب ما هو معروف في اللغة .

أما الأمثلة على بيانه للمعاني الإجمالية للآيات فمنها:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[1] - حيث قال في الكلام على الآية الأولى: «نهى الله عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه توريهة لما يقصدونه من التنقيص - عليهم لعاين الله -، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولوا: راعنا، ويورون بالرعونة كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ﴾[2]، قال: وكذا جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم، والسام هو الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ (وعليكم)، وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً» .

وقال في الآية الثانية: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٠٤ـ ١٠٥

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦ .

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١): «بين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين - الذين حذر الله تعالى عن مشابهتهم - للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه نبيهم محمد ﷺ حيث يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢)».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾(٣) قال: «يقول تعالى: إنما شرعنا لك يا محمد التوجه إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة - ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت، ممن ينقلب على عقبيه أي مرتدًا عن دينه، وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة، وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي وإن كان هذا الأمر عظيمًا في النفوس، إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة، والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا، كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٢) «التفسير» ١: ١٤٨-١٤٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[1]. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

ويمضي ابن كثير بعد ذكر هذه الآية فيقول: «ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول ﷺ واتباعه في ذلك، وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب ـ من سادات الصحابة، وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين صلوا إلى القبلتين..»[4].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[5] ـ حيث قال: «هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان، بجهدهم وطاقتهم، مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، وبما

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤ـ ١٢٥.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٤) «التفسير» ١: ١٩١ـ ١٩٢.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٨ـ ٩٩.

عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي، سيد ولد آم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنعيهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أي وسيجزيهم على ذلك: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾[(١)]»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٢٢﴾[(٣)] ـ قال: «أي وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدًا وخدما تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إلى ما فعلت بهم»[(٤)].

وهكذا نرى الحافظ ابن كثير يعطينا صورة واضحة سهلة موجزة لمعاني هذه الآيات مدمجًا لمعاني المفردات في المعنى العام للآية ومكتفيًا بذلك .

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.
(٢) «التفسير» ١ : ٣٨٧.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.
(٤) «التفسير» ٣: ٣٣٢.

وقد يبين المعنى للآية على عدة قراءات:

ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[(١)] حيث قال: «وأما قوله: ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ ـ فقرأه ابن محيصن ﴿وَيشهدُ اللهُ﴾ بفتح الياء وضم الجلالة ﴿على ما في قلبه﴾، ومعناها أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيح، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[(٢)]، وقرأ الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة ﴿ويُشهد الله على ما في قلبه﴾، ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، هذا ما رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وقيل معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه، وهذا المعنى صحيح، وقاله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير، وعزاه إلى ابن عباس، وحكاه عن مجاهد، والله أعلم»[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.
(٢) سورة المنافقين، الآية: ١.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٨.
(٤) «التفسير» ١: ٢٤٦.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾[١] ـ قال في قوله: ﴿وصدوا عن السبيل﴾: «من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه وأنه حق دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾»[٢].

كما بين الأظهر من معاني القراءات في بعض المواضع: فمن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ﴾[٣] ـ حيث قال: ﴿كبرت كلمة﴾ نصب على التمييز تقديره: كبرت كلمتهم هذه، وقيل على التعجب تقديره: أعظم بكلمتهم، كما تقول: أكرم بزيد رجلاً، قاله بعض البصريين، وقرأ ذلك بعض قراء مكة ﴿كبرت كلمةٌ﴾ كما يقال عظم قولك، وكبر شأنك، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لإفكهم»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[٥] ـ ذكر القراءتين في هذه الآية: الأولى: ﴿يؤتون ماآتوا﴾ بمعنى يعطون عطاءهم وهم خائفون أن لا يتقبل منهم، والثانية: ﴿يأتون ما أتوا﴾

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.
(٢) «التفسير» ٢: ٥١٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥.
(٤) «التفسير» ٣: ٧١.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

بمعنى يفعلون ما يفعلون وهم خائفون ثم قال: «والمعنى على القراءة الأولى ـ وهي قراءة الجمهور، السبعة وغيرهم ـ أظهر، لأنه قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[١]، فجعلهم من السابقين، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين والله أعلم»[٢].

مدى اهتمام الحافظ ابن كثير بذكر المعاني للآيات:

وهكذا نرى ابن كثير ـ رحمه الله ـ يولي هذا الجانب ـ وهو ذكر المعاني العامة ـ للآيات اهتمامًا كبيرًا، وهذا مما يميز تفسيره عن كثير من التفاسير، كما أنه يعطي صورة واضحة لظهور شخصية الحافظ ابن كثير وبروزها في التفسير، ويدل على تعمقه في فهم معاني آيات القرآن الكريم، إذ من الصعب أن يعبر أي شخص عن المعاني العامة للآيات حتى ولو كان عالمًا إلا بعد فهمه تفسير جزئيات الآيات ومفرداتها والراجح من أقوال المفسرين فيها.

وما من شك أن ذكر المعنى الإجمالي للآية أكبر معين على فهمها، خصوصًا إذا كان المعنى بأسلوب واضح موجز سهل كما في أسلوب ابن كثير، الذي وفقه الله تعالى في كلامه على معاني الآيات إلى أسلوب في غاية الوضوح، وفي متناول الجميع، لا يتعذر فهمه على أحد من الناس من أي طبقة كان، مع سلامته أيضًا من النزول إلى المستوى

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.
(٢) «التفسير» ٣: ٢٤٨.

الذي قد يكون عليه بعض المآخذ.

وإن الناظر في تفسيره ليأخذه العجب حينما يقرأ في هذا التفسير فيرى فيه ذلك الأسلوب العلمي الذي يشبع رغبة العالم ويدركه العامي، حيث لم يحلق في كلامه في التفسير في الأساليب الخيالية المتكلفة أو التي تهتم باللفظ غالبًا أكثر من المعنى، ولم ينزل إلى مستوى الأسلوب العامي الذي يكون فيه إخلال بقواعد اللغة ومصطلحاتها العلمية، بل إن أسلوبه جاء متوسطًا فيه بغية العالم والمتعلم والعامي على حد سواء.

ثالثًا: الاهتمام بشتى جوانب اللغة الأخرى من نحو واشتقاق وصرف وبلاغة وغير ذلك:

فمن الأمثلة على اهتمامه بالنحو ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[١] ـ حيث قال: «وانتصاب صبغة الله على الإغراء، كقوله ﴿فطرة الله﴾، أي الزموا ذلك عليكموه، وقال بعضهم: بدلاً من قوله ﴿ملة إبراهيم﴾، وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله ﴿آمنا بالله﴾ كقوله: وعد الله»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[٣] ـ قال: «إنما صرف عرفات وإن كان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٢) «التفسير» ١: ١٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

علمًا على مؤنث لأنه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات، سمي به بقعة معينة فروعي فيه الأصل فصرف اختاره ابن جرير»[(١)].

وقد يبين الإعراب على كثير من القراءات ومن أمثلة هذا:

ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[(٢)] - حيث قال: «قريء ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ بالنصب على أن اللام لام كي، أي وآتينه الأنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم، وقرىء (وليحكم) بالجزم على أن اللام لام الأمر، أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه»[(٣)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾[(٤)] - قال: «قرىء ﴿فك رقبة﴾ بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل، والرقبة مفعول به»[(٥)].

وقد يناقش بعض الأقوال النحوية فيبين الراجح من غيره منها:

ومن أمثلة هذا: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[(٦)]، حيث ذكر الأقوال في مرجع الضمير في قوله ﴿وشروه﴾، وأن من المفسرين من قال إنه عائد على إخوة يوسف،

---

(١) «التفسير» ١: ٢٤٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٧.
(٣) «التفسير» ٢: ٦٤.
(٤) سورة البلد، الآية: ١٢.
(٥) «التفسير» ٤: ٥١٣.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٢٠.

ومنهم من قال عائد على السيارة، قال ابن كثير: «والأول أقوى» ثم استدل لهذا القول بقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فالذين زهدوا فيه هم إخوته لا أولئك السيارة[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾[٢]، ذكر أن المعنى: أن تسلك الطرق التي جعلها الله مذللة أي سهلة ـ ثم قال: «وقال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أي مطيعة، فجعلاه حالاً من السالكة، قال ابن زيد: وهو كقول الله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[٣]، قال: ألا ترى أنهم ينقلون النحل ببيوته من بلد إلى بلد وهو يصحبهم ـ قال ابن كثير: والقول الأول هو الأظهر، وهو أنه حال من الطريق أي فاسلكيها مذللة لك، نص عليه مجاهد، وقال ابن جرير: كلا القولين صحيح»[٤].

كما رجح أن ﴿ما﴾ نافية في قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٥] خلافًا لابن جرير حيث رجح أنها موصولة[٦].

كما بين ضعف بعض الأقوال النحوية: في بعض المواضع، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ

(١) «التفسير» ٢: ٤٧٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٩.
(٣) سورة يس، الآية: ٧٢.
(٤) «التفسير» ٢: ٥٧٥.
(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.
(٦) «التفسير» ٣: ٣٩٧.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[١]، حيث رد على الظاهرية في إعادتهم الضمير في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾[٢] ـ على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه، قال ابن كثير: «وهذا بعيد من حيث اللغة، فإنه لا يعود الضمير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كماهو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[٤]، وفي أثناء ذكر أقوال العلماء في حكم التسمية ـ قال: «والمذهب الثاني في المسألة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة، فإن تركت عمدًا أو نسيانًا لا يضر، قال: وهذا مذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وجميع أصحابه، ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل، وهو رواية عن الإمام مالك...، ثم ذكر بعض من أخذ بهذا القول من الصحابة والتابعين ثم قال: وحمل الشافعي الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ على ما ذبح لغير كقوله الله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٥]، إلى أن قال ابن كثير: وهذا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.
(٣) «التفسير» ٢: ٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوي، وقد حاول بعض المتأخرين بأن يقويه بأن جعل الواو في قوله ﴿وإنه لفسق﴾ حالية، أي لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقًا، ولا يكون فسقًا حتى يكون قد أهل به لغير الله، ثم ادعى أن هذا متعين، ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة، لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية، قال ابن كثير: وهذا ينتقض عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[(١)] فإنها عاطفة لا محالة[(٢)]، فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها، فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما ورد على غيره، وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم»[(٣)].

وكثيرًا ما يبين المقسم فيه وجواب القسم في المواضع التي ورد فيها القسم: ومن أمثلة هذا: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾[(٤)]، حيث قال: «يقسم الله تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت . . .»، كما بين أن المقسم عليه وجواب القسم هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾[(٥)]، حيث قال: «هذا جواب القسم»[(٦)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.
(٢) حيث عطفت على قوله في صدر الآية: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾.
(٣) «التفسير» ٢: ١٦٩.
(٤) سورة العاديات، الآية: ١.
(٥) سورة العاديات، الآية: ٦.
(٦) «التفسير» ٤: ٥٤١- ٥٤٢، وانظر ٤:٢، ٢٣٢.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[١]، ذكر خلاف المفسرين في جواب القسم هنا فقال: «واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: هو قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾[٢]، وقيل: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾[٣]، وقال قتادة: جوابه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾[٤]، ثم أورد قول ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال: جوابه (ص) بمعنى: صدق وحق، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾، وقيل: جوابه ماتضمنه سياق السورة بكاملها»[٥].

وأحيانًا لا يكتفي بذكر الخلاف بل نراه يرجح قولا: كما جاء عند تفسير سورة (ق) حيث قال: «واختلفوا في جواب القسم ما هو، فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾[٦]، ثم قال ابن كثير: وفي هذا نظر، بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يتلقى لفظًا، وهذا كثير في أقسام القرآن، كما تقدم في قوله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) سورة ص، الآية: ١.
(٢) سورة ص، الآية: ١٤.
(٣) سورة ص، الآية: ٦٤.
(٤) سورة ص، الآية: ٢.
(٥) «التفسير» ٤: ٢٦.
(٦) سورة ق، الآية: ٤.

﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾[(١)](٢).

كما أورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾(٣)، تقادير المفسرين لمعنى القسم، وأن منهم من حمله على إثبات القسم وأن لا زائدة، والمعنى: أقسم، ومنهم من قال: ليست زائدة لا معنى لها، وإنما يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي، كقوله عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، قال ابن كثير: «وهكذا ههنا تقديرالكلام ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم. وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فلا أقسم﴾ : فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل: أقسم»(٤).

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا: وجود بعض الأخطاء النحوية في بعض نسخ تفسير الحافظ ابن كثير، وخصوصًا النسخ المطبوعة، وهذا في نظري إنما وقع غالبًا من النساخ، حيث تداولت هذا التفسير عدة طبعات غالبها تجارية غير محققة، مما أفسح المجال أمام تلك الأخطاء.

تناول الحافظ ابن كثير للاشتقاق والتصريف ليس بالكثير:

---

(١) سورة ص، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٢) «التفسير» ٤: ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.
(٤) «التفسير» ٤: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

أما تناوله الاشتقاق والتصريف فليس بكثير، ومن الأمثلة على بيانه اشتقاق بعض الكلمات ما جاء عند الكلام على الاستعاذة ـ حيث بين أصل اشتقاق كلمة (شيطان) فقال: «مشتق من شطن. . .، وقيل مشتق من شاط. . .، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت. . .:

أيما شاطن عصاه عكاه[١]   ثم يلقى في السجن والأغلال

فقال: أيما شاطن ولم يقل: أيما شائط.

وقال النابغة الذبياني. . .:

نأت بسعاد عنك نوى شطون   فباتت والفؤاد بها رهين

وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان . .، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[٣]، ذكر أقوال السلف في معنى الأواب والأوابين، ثم قال: «قال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال: هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية إلى الطاعة، مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه، قال ابن كثير: وهذا الذي قاله هو الصواب، لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع، يقال: آب فلان إذا رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ

---

(١) عكاه: بمعنى شده في الحديد.

(٢) «التفسير» ١ : ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[(١)]، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر قال: «**آيبون تائبون عابدون حامدون**»[(٢)].

ومن **التصريف**: ما جاء عند الكلام على معنى (آية) حيث قال: «قال الكسائي: آيية على وزن آمنة فقلبت ألفًا ثم حذفت لالتباسها، (أي قلبت الياء الأولى ألفا ثم حذفت)، وقال الفراء: أصلها آيية بتشديد الياء الأولى، فقلبت ألفًا كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آي وآيات وآياي»[(٣)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[(٤)]، نقل عن ابن جرير قوله: «وأكثر ما يقال في الشر: بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير أبليه إبلاء وبلاء»[(٥)].

أما اهتمامه بالبلاغة فيتمثل في عدة جوانب من أهمها:

أ ـ بيان المناسبات بين الآيات .

ب ـ بيان معاني الاستفهام.

جـ ـ الإشارة إلى بعض ما احتوى عليه القرآن من فنون البلاغة.

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢٥.
(٢) «التفسير» ٣: ٣٦.
(٣) «التفسير» ١: ٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٥) «التفسير» ١: ٩٠.

أ ـ أما المناسبات فإنه يتناولها من وجوه عدة :

١ـ منها بيان المناسبات بين القصص:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[1]، حيث قال: «لما ذكر تعالى قصة زكريا ـ عليه السلام ـ، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيًا طاهرًا مباركًا، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى ـ عليه السلام ـ منها من غير أب، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة، ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا وفي سورة الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى، ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه وأنه على ما يشاء قادر فقال: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[3]، قال: «هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، فيذكر أولاً قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم، لأن تلك مربوطة بهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم

---

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦ـ ٢١.

(٢) «التفسير» ٣: ١١٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

وهي أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر، هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[1]».

٢ـ ومنها ذكر المناسبة بين الآية وما قبلها:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾[2]، قال: «ولهذا السياق بعدما تقدم مناسبتان: (أحدهما) أن إسرائيل ـ عليه السلام ـ حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله، وكان هذا سائغًا في شريعتهم، فله مناسبة بعد قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3]، فهذا مشروع عندنا وهو الإنفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه كما قال تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾[4]، وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[5].

(المناسبة الثانية) لماتقدم السياق في الرد على النصارى واعتقادهم الباطل في المسيح، وتبين زيف ما ذهبوا إليه، وظهور الحق واليقين في أمر عيسى وأمه، كيف خلقه الله بقدرته ومشيئته، وبعثه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى ـ شرع في الرد على اليهود قبحهم الله

---

(١) «التفسير» ٣: ١٩٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ٨.

تعالى، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[٢]، قال: «لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات، المخرجين الزكوات، المتفضلين بالبر والصدقات، لذوي الحاجات والقرابات، في جميع الأحوال والأوقات ـ شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ . . »[٣].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة الموجودة في التفسير، حيث تعتبر هذه الناحية وهي بيان صلة الآية بما قبلها أبرز النواحي التي اهتم بها الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في موضوع المناسبات.

٣ـ وقد يذكر مناسبة وسط الآية أو عجزها وختامها لما جاء في صدرها: ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[٤]، حيث قال: «وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنًا بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل،

---

(١) «التفسير» ١: ٣٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٣) «التفسير» ١: ٣٢٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[٢]، قال: «وقوله: ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل، ولابد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل»[٣].

كما بين المناسبة في اختتام قصة شعيب وقومه في كل موضع بذكر نوع من العذاب، وتكلم عن ذلك في سورة الأعراف، وهود، والشعراء[٤]. وقد تقدم ذكر هذا في الكلام على تفسير القرآن بالقرآن في المبحث الأول من هذا الباب.

٤ـ وقد يذكر مناسبة بين آيتين في السورة مع وجود الفاصل الطويل بينهما بآيات أخرى: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٥]، حيث

---

(١) «التفسير» ١: ١٢٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٣) «التفسير» ١: ٣٣٠.
(٤) «التفسير» ٢: ٢٣٢، ٤٥٨، ٣: ٣٤٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

قال: «ووجه المناسبة من ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[١]»[٢].

٥ـ وقد يقارن بين بعض الآيات المتشابهة مبينًا سبب الاختلاف بينها، في تعريف لفظ كلمة في إحداهما وتنكيره في الأخرى،أو من حيث مجيء الضمير في إحداهما للخطاب والأخرى للغيبة ونحو ذلك:

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٣]، قال: «قال في هذه السورة: ﴿رب اجعل هذا بلدًا آمنا﴾ أي اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة، وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[٤]، وناسب هذا هناك لأنه ـ والله أعلم ـ كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هوأصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة، ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[٥][٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٢) «التفسير» ٢: ١٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
(٦) «التفسير» ١: ١٧٤.

بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]، قال: «وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورةالأعراف، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب، لأن الله تعالى يقص على رسوله ﷺ ما فعل بهم، وأما في هذه السورة - وهي البقرة - فهي مدنية فلهذا كان الخطاب فيها متوجها إليهم..»[2].

فقد بين السبب في اختلاف الضمير فيهما من الغيبة إلى الخطاب، وهو أن اية الأعراف لكونها مكية جاء الضمير فيها للغيبة، لأن الله تعالى يقص على رسوله ما فعل باليهود، وليس في مكة منهم أحد بل هم في المدينة، ولما نزلت اية البقرة كان الضمير فيها للمخاطب موجها إليهم، نظرا لوجودهم بالمدينة فصلح الخطاب معهم.

٦- وقد يقارن بين بعض الآيات من حيث استبدال لفظة في أحداهما تقارب ما جاء على الأخرى فيبين المناسبة في ذلك: ومن أمثلة هذا ماجاء عند كلامه في الآية السابقة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[3]، حيث قال: «أخبر هناك بقوله: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[4] وهوأول الانفجار، وأخبر هنا بما آل إليه الحال أخيرًا وهو الانفجار، فناسب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٠.
(٢) «التفسير» ١: ١٠٠ـ ١٠١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

ذكر الانفجار ههنا وذاك هناك والله أعلم»[١].

وما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾[٢]، حيث أورد تفسير ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم أن المراد بذلك الفقراء لا تقتلوهم من فقركم الحاصل، ثم قال بعد ذلك: «وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾[٣] أي لا تقتلوهم خوفًا من الفقر في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿نَّرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ لأنه الأهم ههنا والله أعلم»[٤].

فقد بين المناسبة في التعبير بقوله هنا ﴿من إملاق﴾ وقوله هناك: ﴿خشية إملاق﴾ بذكر كلمة خشية بدل حرف الجر هنا، كما بين أيضًا السبب في اختلاف التعبير هنا بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ وهناك بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾.

٧ـ وقد يقارن بين آيتين متشابهتين تختلف إحداهما عن الأخرى بزيادة حرف، فيبين المناسبة في زيادة هذا الحرف في إحداهما وتركه في الأخرى: ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم

---

(١) «التفسير» ١: ١٠٠ـ ١٠١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣١.
(٤) «التفسير» ٢: ١٨٨.

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾[1]، حيث قال: «إنما قال ههنا: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيرًا للنعمة عليهم في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، ثم فسره بهذا لقوله ههنا ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[2]، وأما في سورة إبراهيم فلما قال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[3] أي بأياديه ونعمه عليهم فناسب أن يقول هناك: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[4] فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل»[5].

فقد قارن ـ رحمه الله ـ بين هاتين الآيتين من حيث وجود حرف العطف الواو في آية سورة إبراهيم وتركه في آية البقرة، فبين أن ترك العطف في آية البقرة جاء لأن الآية جاءت تفسيرًا للنعمة في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾، فناسب توحيد المفسِّر لوحدة المفسَّر وهي النعمة، أما آية سورة إبراهيم فذكر فيها العطف وتعداد المفسِّر لتعدد المفسَّر وهي الأيادي والنعم. وقد تقدم[6].

ومن أمثلة هذا أيضًا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٦.
(٥) «التفسير» ١ : ٩٠.
(٦) في ص ٢٠٨.

بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[١]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[٢]، حيث قارن بين هاتين الآيتين من حيث زيادة التاء في (تستطع) في الآية الأولى وتركها في الثانية حيث قال: ﴿ما لم تسطع﴾، قال ابن كثير: «أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء، ولما فسره وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: ﴿تسطع﴾، وقبل ذلك كان الإشكال قويًا ثقيلاً فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾، فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف، كما قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾[٣]، وهو الصعود إلى أعلاه، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[٤] وهوأشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظًا ومعنى والله أعلم»[٥].

فقد بين المناسبة من ذكر التاء في ﴿تستطع﴾ و﴿استطاعوا﴾ وتركها في ﴿تسطع﴾ و﴿اسطاعوا﴾ .

٨ـ وقد يبين المناسبة بين المقسم به وجواب القسم: كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾[٦]، حيث قال: «فأقسم تعالى بالليل إذا يغشى أي إذا غشي الخليقة بظلامه، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ أي بضيائه وإشراقه، ﴿وَمَا

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٧.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٧.
(٥) «التفسير» ٣: ١٠٠.
(٦) سورة الليل، الآيات: ١ ـ ٤.

خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾[١]، وكقوله: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٢]، قال: ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شراً»[٣].

ابن كثير متوسط في كلامه على المناسبات:

وقد اكتفى ابن كثير في اهتمامه بالمناسبات بما تدعو الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم، وهو التنبيه على اتصال آيات القرآن بعضها ببعض وتناسب سباقها مع لحاقها، فبين آونة وأخرى نراه يذكرنا بهذا التناسب القوي وذلك الاتصال الوثيق فيما ذكره من مناسبات ومقارنات بين بعض الآيات، ولم يكن ابن كثير ممن أولعوا في التوسع والاطناب في هذا الموضوع كالرازي والألوسي ونحوهم .

ب ـ أما بيانه لمعنى الاستفهام فمن أمثلته:

ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾[٤]، حيث قال ابن كثير: «وهذا استفهام إنكاري أي ليس لهم نصيب من الملك»[٥].

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٨.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.
(٣) «التفسير» ٤: ٥١٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٣.
(٥) «التفسير» ١: ٥١٣.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[١]، قال: «أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم، كقوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾[٣]، أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم»[٤]. فقد بين ـ رحمه الله ـ أن الاستفهام في هذه الآيات الثلاث بمعنى، وأن معناه الإنكار عليهم.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾[٥]، قال: «استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع»[٦].

جـ ـ ومن الأمثلة التي أشار فيها لشيء من فنون البلاغة في القرآن:

ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[٧]، حيث قال: «وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل ـ ثم قال: فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز»[٨].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٤٩.
(٢) سورة النجم، الآية: ٢١.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٥٠.
(٤) «التفسير» ٤: ٢٢.
(٥) سورة يس، الآية: ٢٣.
(٦) «التفسير» ٣: ٥٦٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٨) «التفسير» ١: ٢١١.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾[١]، أورد قول علماء البيان: «وهو أحسن مما حيوه به، لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام»[٢]. وذلك لأن الجملة الاسمية تدل على الاستمرار والثبوت والدوام، وقد جاء رد إبراهيم عليه السلام جملة اسمية، حيث قال الله عنه: ﴿قال سلام﴾ والتقدير: سلام عليكم، أما الجملة الفعلية فإنهاتدل على التجدد والحدوث لا على الاستمرار، وقد جاء سلام الملائكة هنا جملة فعلية فنصب سلامًا، فهو منصوب على المصدرية.

وكثيرًا ما **يشير إلى باب اللف والنشر**: وهو معروف في البلاغة، ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٣]، حيث قال: «وهذا من باب اللف والنشر»[٤] ـ أي من باب اللف والنشر بين المعاني، حيث ذكر الله الليل والنهار هنا ثم أعقبهما بقوله: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، وليس كل من الليل والنهار محلاً للسكن أو ابتغاء الرزق، وإنما الذي يعتبر محلاً للسكون هو الليل، والذي يعتبر محلاً لطلب الرزق هو النهار، وهو المراد في الآية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾[٥].

---

(١) سورة هود، الآية: ٦٩.

(٢) «التفسير» ٢: ٤٥١.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٤) «التفسير» ٣: ٣٩٨.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ١٠ـ ١١.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾[1]، قال: «وهذا من باب اللف والنشر»[2]. وهذا كماتقدم.

وقد يستعمل ابن كثير السجع في تفسيره، ولكن ذلك قليل جدًا[3].

إلى غير ذلك من الأمور التي تناولها ابن كثير مما يتعلق باللغة وعلومها.

ومن خلال ماتقدم في هذا الفصل تبين لنا مدى أهمية اللغة وعلومها في تفسير القرآن الكريم، كما تبين لناأيضًا أن الحافظ ابن كثير قد أعطى اللغة وعلومها اهتمامًا كبيرًا في تفسيره: فاعتمد عليها في بيان معاني الآيات القرآنية جملة وتفصيلاً، واعتبرها الفيصل عند الاختلاف في كثير من المواضع، وناقش بعض أقوال أهل اللغة، تارة ببيان الصحيح من الضعيف منها، وتارة في الترجيح بينها، وكما تبين لنا أيضًا أنه في تناوله للمباحث اللغوية واللفظية وقف عند ما تدعو إليه الحاجة في تفسير القرآن، ولم يتعمد الإطالة في ذلك كما هي طريقة كثير من المفسرين، وإذا قارناه بأي تفسير آخر وجدنا أنه في هذا مقتصد غير مسرف.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٢) «التفسير» ٣: ٥٣٨.

(٣) انظر «التفسير» ١: ٤٠٦، ٣: ٤٠٩.



الباب الرابع
تقـويم تفسير ابن كثير

والكلام فيه على النحو التالي:

أولاً: بيان أهم مميزات تفسيره .

ثانيًا: ثناء العلماء عليه .

ثالثًا: المآخذ عليه بين القبول والرد.

رابعًا: أثره فيمن بعده:

أ) استفادة من جاء بعده من المفسرين وغيرهم منه .

ب) اهتمام المسلمين عمومًا بهذا التفسير واستفادتهم منه واعتباره مرجعًا أوَّليّاً في تفسير القرآن.



أولاً: مميزات تفسيره:

من أهم هذه المميزات ما يلي:

١ـ اختياره أحسن الطرق في تفسير القرآن، حيث اعتمد تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول للتفسير لا يجوز العدول عنه عند وجوده، يليه تفسير القرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين.

٢ـ اهتمامه باللغة وعلومها، واعتبارها من أهم مصادر التفسير.

٣ـ تمسكه بعقيدة السلف الصالح وأهل السنة والجماعة في كلامه على آيات العقائد والأسماء والصفات، وهذه ميزة قل أن توجد في غيره من كتب التفسير.

٤ـ اهتمامه بذكر أسانيد الأحاديث ونقدها، وبيان الصحيح منها والضعيف مما لم يكن لغيره من المفسرين، لهذا اعتبر من أصح كتب التفسير بل أصحها.

٥ـ اهتمامه بذكر القراءات، وأسباب النزول.

٦ـ اهتمامه بمناقشة أقوال المفسرين وأسانيدها، وبيان الصحيح والضعيف والراجح من غيره منها.

٧ـ اهتمامه بذكر الأحكام الأصولية والفقهية، وحسن عرضه للخلاف وإيراد أدلة كل فريق مع ترجيح القول الذي تسانده الأدلة القوية من غير تعصب لمذهب من المذاهب.

٨ـ اهتمامه بذكر المعاني الإجمالية للآيات.

٩ـ تعداده لكثير من الأقوال وقائليها حتى ولو كانت بمعنى، مما يزيد المعنى قوة ووضوحًا.

١٠ـ موقفه الواضح المتشدد من الأخبار الإسرائيلية، وتنبيهه على الكثير منها وبيان خطئها وخطرها.

١١ـ الأسلوب الذي وفق إليه الحافظ ابن كثير في هذا التفسير، والذي جمع بين القوة والجودة، والسهولة واليسر، والوفاء بالمقصود من التفسير بأقصر عبارة وأوجزها، الأمر الذي جعل هذا التفسير كما أشرت سابقًا في متناول جميع الطبقات، العلماء والمتعلمين والعامة على حد سواء.

١٢ـ أمانته في النقل ونسبته كل نقل إلى مصدره غالبًا، وفي الكتب التي أشار إليها في تفسيره والتي تزيد على مائة مرجع أكبر دلالة على هذا.

١٣ـ وقوفه عند حدود ما يجوز في تفسير القرآن، من غير استطراد في كثير من المباحث الكلامية والنحوية والفلكية والكونية والطبيعية وغيرها، وأخذه من هذا العلوم وغيرها مما يدخل تحت التفسير بقدر الحاجة من غير إفراط ولا تفريط.

ثانيًا: ثناء العلماء عليه:

للعلماء كلمات كثيرة في تقويم هذا التفسير نذكر منها مايلي:

قال السيوطي في «ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي[١]» عند الكلام عن الحافظ ابن كثير: «وله التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله».

---

(١) ص٣٦١.

وقال الشوكاني في «البدر الطالع»[١]: «وله التفسير المشهور، وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها».

وقال فيه محمد رشيد رضا: «هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما رُوِيَ عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها، وتحامي ما أطال به الكثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة، أوالاستطراد لعلوم أخرى لا يحتاج إليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه ولا الاتعاظ به..»[٢].

وقال الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة في تقديمه «لاختصار علوم الحديث» لابن كثير[٣]: «ومن مؤلفاته تفسير القرآن، وهو من أفيد كتب التفسير بالرواية».

وقال الزرقاني في «مناهل العرفان»[٤]: «وتفسيره هذا من أصح التفاسير بالمأثور إن لم يكن أصحها جميعًا».

وقال الأستاذ أحمد شاكر في «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير»[٥]: «وبعد فإن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا،

---

(١) ١: ١٥٣.
(٢) «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان ص٣٣٢.
(٣) ص١٦.
(٤) ١: ٤٩٨.
(٥) ١: ٥ـ٦.

وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري، ولسنا نوازن بينهما وبين أي تفسير آخر مما بأيدينا، فما رأينا مثلهما ولا ما يقاربهما»، وقال أيضًا بعدماذكر طريقة ابن كثير في تفسيره واهتمامه بنقد الأسانيد: «فكتابه بجانب أنه تفسير للقرآن ـ معلم ومرشد لطالب الحديث يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون، وكيف يميز الصحيح من غيره، فهو كتاب ـ في هذا المعنى ـ تعليمي عظيم ونفعه جليل كثير».

وقال الشيخ الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون»[١]: «تفسيرابن كثير من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور، ويعتبر في هذه الناحية الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير ـ وقال أيضًا ـ[٢]: وبالجملة فإن هذا التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور، وقد شهد له بعض العلماء فقال السيوطي في «ذيل تذكرة الحفاظ» والزرقاني في «شرح المواهب»: إنه لم يؤلف على نمطه مثله».

وقال الدكتور منيع عبدالحليم محمود في كتابه «مناهج المفسرين»[٣] في الكلام عن منهج ابن كثير في تفسيره إنه: «منهج من المناهج المثالية التي تتبع في التفسير»، وقال أيضا[٤] في وصف تطبيق الحافظ ابن كثير لمنهجه الذي رسمه في مقدمة التفسير: «وقد طبق ابن

---

(١) ١: ٢٤٤.
(٢) ١: ٢٤٧.
(٣) ص٢٢٣.
(٤) ص٢٢٥.

كثير منهجه النفيس في كتابه، ومن أجل ذلك كان تفسيره من أنفس التفاسير يرجع إليه المحققون، وقد استفاد منه الكثيرون فيما بعد فاغترف منه اغترافًا صاحب محاسن التأويل وصاحب تفسير المنار وغيرهم كثير».

وقال محققو التفسير (طبعة دار الشعب): «وعلى الرغم مما نؤمن به من أن تفسير الطبري كان وما يزال إمامًا في هذا الفن، وأن فوائده أكثر من أن ينوّه بها ويشار إليها، فإننا نرى أن تفسيرابن كثير لا يقل عنه قيمة إن لم يتفوق عليه في نظر العامة والخاصة على السواء، أما العامة فلما يجدون فيه من السهولة والعذوبة والاختصار في الأسانيد، وأما الخاصة فلما يسعدون به من المناقشات المبنية على الدقة والحفظ والعلم بطرق الحديث، وما امتاز به المؤلف من نسبة ماينقله إلى مصادره ومراجعه على كثرتها وتنوع مشاربها واتجاهاتها..»[(١)].

وقال عبدالوهاب عبداللطيف في كلامه عن ابن كثير في مقدمة طبعة التفسير (نشر مكتبة النهضة الحديثة) : «وفيه تحرير للمسائل العلمية، ودقة في استنباط الأحكام الشرعية، وتحقيق للروايات والأخبار النبوية، ونقد للمسائل الإسرائيلية، وجمع لأقوال السلف الذهبية، وتعليل وتوجيه للمختار من الآراء التفسيرية» .

وقال الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه

---

(١) «مقدمة الطبعة» ١ : ٦.

«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»[١]: «وتفسيره - يعني تفسير الحافظ ابن كثير - أجل التفاسير إن لم يكن أجلها وأعظمها، جمع فيه بين التفسير والتأويل والرواية والدراية، مع العناية التامة بذكرالأسانيد، وبيان صحيحها من ضعيفها من موضوعها، ونقد الرجال والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات في الموضوع الأول، وتفسير القرآن بالقرآن، مع حسن البيان، وعدم التعقيد، وعدم التشعيب في المسائل والاستطراد الكثير...».

وقال صبحي الصالح[٢]: «ومن مزاياه - يعني تفسير الحافظ ابن كثير - الدقة في الإسناد، وسهولة العبارة، والوضوح في الفكرة».

فهذه الكلمات من هؤلاء العلماء تدل على المكانة الرفيعة والقيمة العالية التي يحتلها تفسير ابن كثير - رحمه الله- بين كتب التفسير، وأنه من أصح وأحسن كتب التفسير، وأنه يحتل المكانة الثانية إن لم تكن الأولى بين كتب التفسير بعد تفسير الإمام الطبري - رحمهما الله -.

ثالثاً: المآخذ التي أخذت على هذا التفسير بين القبول والرد:

لقد ذكر محققو طبعة دار الشعب في المقدمة التي وضعوها في أول التفسير أربع ملاحظات أخذوها على هذا التفسير.

---

(١) ص١٨٢ـ ١٨٣.
(٢) «مباحث في علوم القرآن» ص٢٩١.

كما ذكر عبدالوهاب عبداللطيف في تقديمه للطبعة التي نشرتها مكتبة النهضة الحديثة أن هناك ثلاثة أمور خلا منها تفسير الحافظ ابن كثير.

وسأذكر تلك الملاحظات وهذه الأمور التي أخذها هؤلاء على هذا التفسير، مع مناقشة ذلك، وبيان ما يمكن قبوله والتسليم به، وما يمكن رده منها.

أولاً: الملاحظات التي ذكرها محققو طبعة دار الشعب:

الأولى: «أنه حفل بالكثير من الإسرائيليات التي لا تستند إلى نقل ولا إلى عقل، والتي هي أشبه بالخيالات والأساطير منها بالآثار والحقائق..».

وهذه الملاحظة معقولة ومقبولة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الكلام على الأخبار الإسرائيلية، وموقفه منها، لكن يجب أن لا ننسى أن موقفه تجاه الإسرائيليات يعتبر بحق أشد مواقف المفسرين نقدًا لها وبيانًا لخطئها وخطرها، حيث كان هو فارس هذه الحلبة، وهذا التشدد يعتبر ميزة من مميزات تفسيره، وإن كان قد فاته بعض الشيء من ذلك كما سبق.

الثانية: «هي أن المؤلف كان في عرضه للمسائل الفقهية يكثر من الآراء، ويؤيد مايختاره منها بحشد ضخم من الأسانيد، وكثيرًا ما تبلبل هذه الطريقة القارىء، وبدلاً من أن تحيطه بالموضوع كله فقد تنسيه الموضوع كله، ولو أنه ذيل هذه المسائل بتلخيص مختصر للموضوع

لكان أدعى إلى الفهم، وأحفز للاستيعاب والهضم».

وأقول إن هذه الملاحظة وإن كان تفسير الحافظ لم يخل منها لكنها في بعض المواضع فقط وليست على إطلاقها، حيث لا توجد في كثير من المواضع التي تكلم فيها على الأحكام الفقهية، كماأن الإكثار من ذكر الآراء وحشد الأسانيد لم يكن مقصورًا على الأحكام الفقهية فقط بل إن هذا مما اعتمده ابن كثير في أغلب تفسيره، وإن لم يكن ذلك مما يرجع إلى الأحكام، وهدفه واضح في هذا .

الثالثة: «وهي أن المؤلف في نقله عن الطبري وغيره لا يثبت العبارة المنقولة وإنما يشير إليها، وكثيرًا ما تكون عبارته تعبيرًا عن فهمه هو . . .». وهذه أيضًا ليست على إطلاقها، وفي الحقيقة فإن أكثر نقوله عن المفسرين بالمعنى، إلا أنه في بعض المواضع قد ينقل بالنص من غير تصرف أو بتصرف قليل بزيادة أو نقص كما تقدم.

الرابعة: «وهي أن المؤلف قد يتجه في تأويل بعض الآيات وتفسيرها إلى رأي يمكن مناقشته فيه، إما لأنه غير مستند إلى حجة، وإمالأنه من الهفوات التي لا يسلم من الوقوع فيها أولو العلم والمعرفة. .»[1].

وهذه الملاحظة مردودة في نظري لعدة أسباب :

السبب الأول: أن تفسير ابن كثير للآيات القرآنية سواء بذكر معناها

(١) «التفسير ١ : ٦ـ ٧ طبعة دار الشعب.

العام أو ببيان مفرداتها كل ذلك مستند إلى ما جاء في القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين من بعدهم وحسب ما هو معروف مشهور في اللغة، فحينما يتكلم على بعض الآيات فهو يعتمد على ما جاء فيها من التفسير المأثور، لا أنه يفسر من عند نفسه أو برأيه، صحيح أنه يرجح بين الأقوال ويوجه بعضها، لكن لا يمكن بحال من الأحوال أن يوصف تفسيره لآية أو ترجيحه لرأي فيها حتى ولو كان هذا الرأي في نظر البعض مرجوحًا: أنه من الهفوات، علمًا أن كلامه على الآيات تفسيرًا أو ترجيحًا يعتمد فيه على الحجة والدليل، وما أكثر الأقوال المختلفة في تفسير الكثير من الآيات عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين، ولم يقل عن شيء من ذلك إنه من الهفوات، ولا يصح أن يقال ذلك.

السبب الثاني: أن القارىء في التفسير لا يجد مثل تلك الآراء التي أشار إليها الإخوة المحققون، والتي تعتبر من الهفوات في تفسير الحافظ ـ رحمه الله ـ كما زعموا، بل إن القارىء يجد فيه العكس تمامًا، فيجد فيه خلاصة أقوال المفسرين، وأصحها وأحسنها، ويلمس فيه توخي الحافظ ابن كثير والتماسه لأقرب معنى تدل عليه الآيات القرآنية، أو تشهد له الأدلة من الكتاب والسنة وغيرهما، أضف إلى هذا أنه يعتبر بحق التفسير السلفي الذي لم يحد صاحبه فيه عن طريقة السلف الصالح وأهل السنة والجماعة خلافًا لكثير من المفسرين.

السبب الثالث: أن المحققين أطلقوا هذه المقالة من غيرأن يذكروا لها مثالاً واحدًا من واقع التفسير يؤيد ما يقولون.

وعلى هذا يبقى هذا الزعم بلا دليل يدل عليه فيكون باطلاً، وما من شك أن مناقشة مثل تلك الآراء التي زعموها، والتنبيه عليها من واجبهم حين قاموا بتحقيق التفسير، خصوصًا إذا كانت أشبه شيء بالهفوات، أو لا دليل عليها كما زعموا. وفي نظري أن إطلاق مثل هذه المقالة لا يجوز على تفسير الحافظ ابن كثير .

أما الأمور التي أخذها عبدالوهاب عبداللطيف على هذا التفسير فهي :

أولاً: «أنه خلا في كثير من المواضع عن تخريج بعض الأحاديث النبوية»، وقد سبقت الإشارة إلى أنه وإن اهتم بذكر الأسانيد وتخريج الأحاديث فإنه قد فاته بعض الشيء من ذلك، وهذا قليل جدًا بالنسبة إلى ما خرّجه، وغالبًا ما يكون في الأحاديث المشتهرة والمعروفة .

ثانيًا: «أنه لم يذكر فيه أحيانًا أسباب نزول الآيات من الأحاديث»، والحقيقة أننا إذا قارنا تفسير الحافظ ابن كثير بغيره من التفاسير وجدناه من أكثرها اهتمامًا بذكر أسباب النزول، إلا أنه في بعض المواضع يذكر السبب في المعنى كتفسير للآية، وفي بعضها يكتفي بذكر بعض الأقوال والروايات ويترك بعضها، وفي بعض المواضع يهمل ذكرما رُوي في السبب لكونه ضعيفًا .

ثالثًا: «أنه لم يقصد المفسر ببيان المبهمات من الأسماء والأماكن

والأنساب»[1].

وهذا المأخذ في نظري مبالغ فيه، فقد بين ابن كثير أكثر ما ورد من المبهمات في تفسيره، صحيح أنه لم يستطرد في ذلك، لكن الاستطراد في مثل هذه الأمور يعد عيبًا في التفسير.

وفي نظري أن أهم ما يمكن أن يؤخذ على الحافظ ابن كثير في تفسيره هي الأمور التالية:

١ـ ذكر بعض الأحاديث والآثار الضعيفة سندًا أو متنًا، وهو إن ناقش أكثرها فقد فاته شيء منها، وذكر بعض الأحاديث بدون سند أو تخريج، والتساهل في إثبات لفظ بعض الأحاديث أو مصدره.

٢ـ ذكر الأخبار الإسرائيلية، وهو وإن كان موقفه منها أشد من مواقف جميع المفسرين إلا أنه كان عليه أن يكون موقفه منها أشد صلابة، حيث تنبه لخطئها وخطرها، ولم ينطل عليه أمرها كبعض المفسرين.

رابعًا: أثره فيمن بعده:

ويتمثل هذا الأثر في:

أ ـ استفادةمن جاء بعده من المفسرين وغيرهم منه.

ب ـ اهتمام المسلمين عمومًا بهذا التفسير، واستفادتهم منه، واعتباره مرجعًا أوليًا في تفسير القرآن.

أ) استفادة من جاء بعده من المفسرين وغيرهم منه:

---

(١) مقدمة «التفسير» نشر مكتبة النهضة الحديثة عبدالشكور عبدالفتاح فدا.

ليس من السهل حصر التفاسير والمؤلفات التي استفاد أصحابها من هذا التفسير، خصوصًا وأن كثيرًا من المؤلفين في التفسير وغيره لا ينسبون المنقول إلى مصدره، الأمر الذي يؤدي بالقارىء إلى التوقف والشك في معرفة مصدرهذا المنقول، خصوصًا فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور والذي تناقله المفسرون بعضهم من بعض، حيث إننا نجد في كثير من التفاسير وغيرها التي جاءت بعد ابن كثير روايات مسندة إلى الصحابة والتابعين من غيرأن تنسب هذه الروايات لمصدر من المصادر المؤلفة في التفسير بالمأثور، والتي عنيت بجمع شتات ذلك التفسير، والتي تعتبر بحق أمهات كتب التفسير بالمأثور، كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن كثير، والسيوطي وغيرهم، مما يجعلنا نجزم جزمًا قاطعًا بأن هذه الروايات منقولة عن أحد هذه المصادر من غير أن تنسب إليه، إذ لا يمكن وصول هذه الروايات إلا عن طريق تلك التفاسير.

وسأذكر أهم التفاسير التي استفاد أصحابها من هذا التفسير العظيم، مع بيان أهم الجوانب التي استفادوا فيها منها وهي كما يلي:

١ـ «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) بصنعاء:

ينقل الشوكاني في هذا التفسير عن تفسير الحافظ ابن كثير في جوانب متعددة ويعتمد عليه في ذلك، ومن أهم هذه الجوانب كلامه على الأسانيد تصحيحًا أو تضعيفًا.

ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير أول سورة البقرة، حيث أورد بعض الأحاديث في فضلها، ومنها ماأخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، والدارمي، ومحمد بن نصر، والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة ـ ثم سكت ساعة ثم قال ـ: تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف**»، ثم قال بعد سياق هذا الحديث: «قال ابن كثير: وإسناده حسن على شرط مسلم».

ومن ذلك: «ما أخرجه أبو عبيد عن عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوا عن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر إلى ثابت بن قيس بن شمّاس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**»، قال فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة، قال الشوكاني: «قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهامًا ثم هو مرسل»[(١)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[(٢)]، قال: «وأخرج ابن أبي حاتم عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أحصن** قال: «**إحصانها: إسلامها**»، وقال علي: اجلدوهن، قال ابن

---

(١) «فتح القدير» ١ : ٢٧ـ ٢٨، وانظر «تفسيرابن كثير» ١ : ٢٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٥.

أبي حاتم: حديث منكر، وقال ابن كثير: في إسناده ضعف، وفيه من لم يسم، ومثله لا تقوم به حجة»[١].

وفي تقديمه لسورة التغابن قال: «وأخرج ابن حبان في الضعفاء، والطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر عن عبدالله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**مامن مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن**» ثم قال: قال ابن كثير: وهو غريب جدًا، بل منكر»[٢].

إلى غير ذلك من المواضع التي نقل فيها الشوكاني عن ابن كثير في هذا الجانب[٣].

ومنها نقل الشوكاني نقد ابن كثير لبعض الأخبار الإسرائيلية سندًا ومتنًا:

ومن أمثلة هذا ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ق﴾ قال: «وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا، ثم خلق وراء ذلك جبلاً يقال له ﴿ق﴾ السماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها، ثم خلق وراء ذلك جبلاً يقال له ﴿ق﴾ السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر،

---

(١) «فتح القدير» ١ : ٤٥٦، وانظر «تفسيرابن كثير» ١ : ٤٧٦.
(٢) «فتح القدير» ٥ : ٢٣٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤ : ٣٧٣.
(٣) انظر «فتح القدير» ٤ : ١٦٧، ٢٥٩، ٥ : ٦٢، ٤٣٧، ٤٧٣.

وسبعة أجبل، وسبع سموات. . . إلخ»، قال الشوكاني بعد سياقه: «قال ابن كثير: لا يصح سنده عن ابن عباس، وقال أيضًا: وفيه انقطاع»[(١)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾[(٢)]، بعدما ذكر معنى جبارين ـ قال: «قيل هم قوم من بقية عاد، وقيل هم من ولد عيص بن إسحاق، وقيل هم من الروم، ويقال إن منهم عوج بن عنق المشهور بالطول المفرط، وعنق هي بنت آدم، قيل كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعًا وثلث ذراع ـ ثم قال بعد هذا ـ: قال ابن كثير: وهذا شيء يستحيى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص**» ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾[(٥)]، وإذا كان

---

(١) «فتح القدير» ٥: ٧٣، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٢٢١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٢.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١١٩ـ ١٢٠.
(٥) سورة هود، الآية: ٤٣.

ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر وولد زنية، هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم. انتهى كلامه»[(١)].

ومنها نقل شيء من تفسيره وكلامه على بعض الآيات:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(٢)]، قال: «قال ابن كثير: «إن الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد ابن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[(٣)].

وعند الكلام على الفاتحة نقل عنه في سبب تسميتها «السبع المثاني» فقال: «قال ابن كثير في «تفسيره» : وصح تسميتها بالسبع المثاني قالوا لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة»[(٤)].

ومنها نقل مناقشته لبعض الأقوال ورده لها:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[(٥)]، نقل عن ابن جرير قوله: «إن هؤلاء المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا

---

(١) «فتح القدير» ٢: ٢٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣.
(٣) «فتح القدير» ١: ٣٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٤٠ـ ٤١.
(٤) «فتح القدير» ١: ١٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٩.
(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٧ـ ١٨.

في وقت من الأوقات واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾[(١)]، ثم قال: «قال ابن كثير: «إن الصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سلبوه وطبع على قلوبهم، كما يفيده قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾[(٢)]»[(٣)].

والخلاصة أن الشوكاني قد استفاد من تفسير الحافظ ابن كثير في عدة جوانب: من أهمها نقل الأحاديث والآثار والأخبار، ونقد الأسانيد، وكلامه على بعض الآيات، ومناقشة بعض الأقوال وغير ذلك.

ليس بصحيح أن تفسير الشوكاني ملخص لتفسيرابن كثير:

أما ما ذكره عبدالوهاب عبداللطيف في تقديمه لتفسير الحافظ ابن كثير في الطبعة التي نشرتها مكتبة النهضة الحديثة، حيث قال عن تفسير الشوكاني «فتح القدير»: «وهو ملخص لتفسير ابن كثير في الرواية، ومزيد فيه شيء من الدراية»، وقال في موضع آخر عن هذا التفسير أيضًا: «لخص تفسير ابن كثير وزاد عليه».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) سورة المنافقين، الآية: ٣.

(٣) «فتح القدير» ١: ٤٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.

أقول هذا الكلام فيه مبالغة، فالحقيقة أن الشوكاني ينقل عن ابن كثير وعن غيره من المفسرين، وأكثر نقوله عن الطبري والسيوطي وابن عطية والقرطبي، كما ينقل عن الزمخشري وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن المنذر وعبد بن حميد والواحدي والبغوي والثعلبي، كما ينقل أيضًا عن أمهات كتب الحديث واللغة وغيرها .

٢ ـ «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي «١٢٨٣هـ ـ ١٣٣٢هـ» :

ويكثر النقل عن تفسير الحافظ ابن كثير، وأهم الجوانب التي استفاد منه فيها نقل بعض **الأحاديث والآثار عنه، وكلامه على بعض الأسانيد تصحيحًا وتضعيفًا**:

فمن الأحاديث ما ذكره في مقدمة سورة المائدة حيث قال: «قال ابن كثير: روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد قالت: «**إني لآخذة بزمام العضباء ـ ناقة رسول الله ﷺ ـ إذ نزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة**»، وروى الإمام أحمد أيضًا عن عبدالله بن عمرو قال: «**أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته لم تستطع أن تحمله فنزل عنها**» تفرد به أحمد، وروى الحاكم عن جبير بن نفير قال: «**حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير أتقرأ المائدة؟ قلت نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه**»،

ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[٢]، ذكر ما أورده ابن كثير عن الإمام أحمد وأبي داود عن جابر بن عبدالله قال: «**أمر رسول الله ﷺ من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين**»، ثم قال: «قال ابن كثير: إسناده جيد قوي»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾[٤]، أورد أقوال المفسرين فيمن نزلت فيه هذه الآية، وذكر من بين الأقوال: ما ذهب إليه بعضهم من حمل الآية على الخوارج، قال: «وأسندوا في ذلك حديثاً رفعوه»، ثم قال: «قال ابن كثير: وإسناد ذلك لا يصح ـ ثم قال: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا . .»[٥].

ومن الآثار ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٦]، حيث أورد ما قال عبدالرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء، سمعت ابن عباس يقول: «هما فجران، فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئًا، لكن الفجر الذي يستنير على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشراب، وقال عطاء: فأما إذا سطع سطوعًا في

---

(١) «محاسن التأويل» ٦: ١٧٩٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.
(٣) «محاسن التأويل» ٦: ٢٥٢٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ١٨١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
(٥) «محاسن التأويل» ٦: ٢٥٨٦، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ١٩٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

السماء وسطوعه أن يذهب في السماء طولاً ـ فإنه لا يحرم به شراب للصائم ولا صلاة ولا يفوت به الحج، ولكن إذا انتشر على رؤوس الجبال حرم الشرب للصيام وفات الحج»، قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وعطاء، وهكذا روى عن غير واحد من السلف ـ رحمهم الله ـ»(١).

وبعد أن نقل عنه كثيرًا من الأحاديث في النهي عن الوصال نقل عنه قوله: «وقد روى ابن جرير عن عبدالله بن الزبير وغيره من السلف أنهم كانوا يواصلون الأيام المتعددة، قال: «وحمله منهم على أنهم كانوا يفعلونه رياضة لأنفسهم، لا أنهم كانوا يفعلونه عبادة والله أعلم»، ثم قال: «قال ابن كثير: ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي أنه إرشادي من باب الشفقة، كما جاء في حديث عائشة: «**رحمة لهم**»، فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لأنهم كانوا يجدون قوة»(٢).

كما نقل عنه عددًا من الآثار والأقوال وبيان القول الصواب في وقت نزول قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٣)، وذلك في الفائدة الأولى من الفوائد التي ذكرها بعد تفسير الآية حيث قال: «قال ابن كثير: «ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها نزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما قدمنا عن عمر وعلي ومعاوية

---

(١) «محاسن التأويل» ٣: ٤٥٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢٢.
(٢) «محاسن التأويل» ٣: ٤٦٠، وانظر «تفسيرابن كثير» ١: ٢٢٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

وابن عباس وسمرة ـ رضي الله عنهم ـ وعن ثلة من التابعين»[١].

ومن الجوانب التي استفاد فيها القاسمي من تفسير ابن كثير الكلام على الأحكام:

ومن أمثلة هذا ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾[٢]، حيث قال: «قال ابن كثير: وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر، لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾[٣]، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، وحديث (العنبر) في الصحيح، وفي المسند والموطأ والسنن قوله ﷺ في البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»»[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[٥]، بعدما بين تحريم النساء على المعتكف كما رُوي ذلك عن ابن عباس قال: «قال ابن كثير: وهذا هو الأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفًا في مسجده، ولوذهب إلى منزله لحاجة لابد له منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك، من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له

---

(١) «محاسن التأويل» ٦: ١٨٣٢ـ ١٨٣٤، وانظر «تفسيرابن كثير» ٢: ١٣ـ ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٦.
(٤) «محاسن التأويل» ٣: ٣٧٨، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٠٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

أن يقبل امرأته ولا يضمها إليه، ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ـ ثم قال ابن كثير: المراد المباشرة بالجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به . . . »[١].

ومن ذلك تفسير القرآن بالقرآن:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[٢]، قال: «قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[٤]، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[٥]»[٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[٧]، قال: «قال

---

(١) «محاسن التأويل» ٣: ٤٦١، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٥) سورة ق، الآيتان: ٣٩ـ ٤٠.
(٦) «محاسن التأويل» ٣: ٤٢٩، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٧١.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٣٨.

ابن كثير: هذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(١)»(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾(٣)، قال: «قال ابن كثير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٤)»(٥).

ومن ذلك أسباب النزول، ومكانه:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾(٦)، حيث نقل القاسمي عن ابن كثير قوله: «ذكر غير واحد من المفسرين: إن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولاشك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن اللفظ لفظ العموم وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٢) «محاسن التأويل» ٦: ٢٥٢١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ١٨٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٣.
(٥) «محاسن التأويل» ٦: ٢٥٩١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ١٩٧ـ ١٩٨.
(٦) سورة الليل، الآيات: ١٧ـ ٢١.

تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائرالأوصاف الحميدة»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾﴾[٢]، نقل عنه ما ذكره عن ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها نزلت في عبدالله بن أم مكتوم ثم قال: «قال ابن كثير: وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبومالك وقتادة والضحاك وابن زيد، وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم، والمشهور أن اسمه عبدالله، ويقال عمرو والله أعلم»[٣].

كما نقل عنه الأقوال في مكان ووقت نزول قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[٤]، كما تقدم، ونقل عنه أن سورة الزلزلة مكية[٥]، وغير ذلك.

ومن ذلك نقل تفسيره وكلامه على بعض الآيات:

فعند تفسير سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾ قال القاسمي: «قال ابن كثير: «المراد بالفتح فتح مكة قولاً واحدًا...»[٦].

---

(١) «محاسن التأويل» ١٧: ٦١٧٩، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٥٢١.
(٢) سورة عبس، الآيتين: ١ـ ٢.
(٣) «محاسن التأويل» ١٧: ٦٠٥٦، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٤٧٠ـ ٤٧١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٥) انظر «محاسن التأويل» ١٧: ٦٢٣١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٥٣٨.
(٦) «محاسن التأويل» ١٧: ٦٢٨٦، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٥٩٣.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[١]، ذكر بعد تفسيره لهذه الآية تنبيهات ثلاثة جاء في الثالث منها قوله: «قال ابن كثير: لما ترددت هاجر في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة، تطلب الغوث من الله تعالى، متذللة خائفة مضطربة، فقيرة إلى الله عز وجل ـ كشف الله تعالى كربتها، وآنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها ماء زمزم . . .»[٢].

وهكذا نرى القاسمي ينقل عن تفسير الحافظ ابن كثير في الأحاديث والآثار ونقد الأسانيد، وفي الأحكام، وتفسير القرآن بالقرآن، وأسباب النزول، وكلامه على بعض الآيات، وغير ذلك، وهو أكثر المفسرين نقلاً عن تفسير الحافظ ابن كثير، ويمتاز بنسبة كل نقل إلى مصدره.

٣ـ «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشيخ محمد أمين الشنقيطي:

وقد استفاد المؤلف في هذا التفسير من تفسير الحافظ ابن كثير في عدة جوانب من أهمها:

تفسير القرآن بالقرآن:

وقد تأثر به تأثرًا كبيرًا في هذا الجانب، وسار على طريقته في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) «محاسن التأويل» ٣: ٣٥٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ١٩٩.

ذلك، وسأذكر بعض الأمثلة لنرى مدى توافق هذين التفسيرين في هذا النوع من التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[١]، قال الشنقيطي: «ونظير الآية على القول الذي يشهد له القرآن، وهو قول السدي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[٢]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[٣] ـ وقال أيضًا ـ: وقد يوجه قول ابن عباس وقتادة ومجاهد بأن المراد تكذيبه وإعراضه ـ أنه لم يؤمن بها قلبه، ولم تعمل بها جوارحه، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾[٤]، ونحوها من الآيات الدالة على اشتمال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه..»[٥]، وهذاالكلام كله مستفاد من تفسير ابن كثير[٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[٧]، قال: «قال ابن كثير: وهو كقوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٦.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٨.
(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٣١ـ ٣٢.
(٥) «أضواء البيان» ٢: ٢٥٢ـ ٢٥٣.
(٦) انظر «تفسير ابن كثير» ٢: ١٩٢ـ ١٩٣.
(٧) سورة النحل، الآية: ٩.

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[١]، وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[٢]»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾[٤]، جاء في كلا التفسيرين تفسير هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[٥]، وقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾[٦]، وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾[٧][٨].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٩]، قال الشنقيطي: «صرح في هذه الآية الكريمة بأن المنافقين يحذرون أن ينزل الله سورة تفضحهم، وتبين ما تنطوي عليه ضمائرهم من الخبث، ثم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤١.
(٣) «أضواء البيان» ٣: ٢٢٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٥٦٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠.
(٦) سورة الحج، الآية: ٤٥.
(٧) سورة القصص، الآية: ٥٨.
(٨) انظر «أضواء البيان» ٢: ٢٥٨، و«تفسير ابن كثير» ٢: ٢٠١.
(٩) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

بين أنه مخرج ما كانوا يحذرونه، وذكر في موضع آخر أنه فاعل ذلك وهو قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ـ إلى قوله ـ: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[١]»[٢].

وهذا مستفاد من كلام ابن كثير على هذه الآية حيث قال في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾: «أي إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[٣]»[٤].

ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[٥]، بما جاء في سورة النساء، حيث قال الشنقيطي: «... وبيَّن هذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[٦]»[٧]، وبهذه الآية فسر ابن كثير آية النحل فقال: «وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبدالله ابن مسعود حين قرأ على رسول الله ﷺ صدر سورة النساء،

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٩ـ ٣٠.
(٢) «أضواء البيان» ٢: ٤٢١.
(٣) سورة محمد، الآيتان: ٢٩ـ ٣٠.
(٤) «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٦٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٧) «أضواء البيان» ٣: ٣٣٥.

فلما وصل إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ فقال له رسول الله ﷺ «**حسبك**» فقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «فالتفت فإذا عيناه تذرفان»[١].

ومن خلال هذه الأمثلة نرى مدى التوافق بين هذين التفسيرين في هذا الجانب من التفسير: مما يدل على استفادة الشنقيطي من تفسير الحافظ ابن كثير في ذلك، وليس معنى هذا أنه اعتمد عليه في كل ما أورده من تفسير القرآن بالقرآن كلا، بل إن هناك كثيرًا من الآيات جاءت مفسَّرة في «أضواء البيان» بآيات أخرى علمًا أنها في تفسير الحافظ ابن كثير لم تفسَّر بتلك الآيات ومن أمثلة هذا ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾[٢]، حيث قال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أصحاب الكهف ليس لهم ولي من دونه جل وعلا بل هو وليهم جل وعلا، وهذا المعنى مذكور في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾[٤]، ... وبيّن في مواضع أخر: أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض كقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ

(١) «تفسير ابن كثير» ٢: ٥٨٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٤) سورة يونس، الآية: ٦٢.

ءامَنُوا﴾[١]، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢]، وبيَّن في مواضع أخر أن نبينا ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٣]، وبيَّن في موضع آخر أنه تعالى مولى المؤمنين دون الكافرين، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[٤]»[٥].

وعند تفسير ابن كثير لهذه الآية لم يذكر شيئًا من هذه الآيات[٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[٧]، قال الشنقيطي: «وقد كرر في القرآن نهي نبيه ﷺ عن اتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾[٨]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾[١٠]، إلى غير ذلك من الآيات، وقد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٤) سورة محمد، الآية: ١١.
(٥) «أضواء البيان» ٤: ٨٩.
(٦) انظر «تفسير ابن كثير» ٣: ٧٩ـ ٨٠.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٨) سورة الإنسان، الآية: ٢٤.
(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٤٨.
(١٠) سورة القلم، الآيات: ٩ـ ١٣.

أمره في موضع آخر بالإعراض عن المتولين عن ذكر الله.. وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[1]»[2].

وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾[3] «أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا له ولا محبًا لطريقته، ولا تغبط بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[4]»[5].

وهكذا نرى أن الشيخ الشنقيطي لا يقف عندما ذكره الحافظ في تفسيره من تفسير القرآن بالقرآن، بل إنه في كثير من المواضع يزيد عليه، وهذا لا يعني نقصًا في تفسير الحافظ ابن كثير، حيث عرفنا أنه لم يقصد استيفاء جميع ما ورد من تفسير القرآن بالقرآن، لهذا نراه في كثير من المواضع بعدمايفسر بعض الآيات يقول إلى غير ذلك من الآيات[6].

وهناك جوانب أخرى متعددة استفادها الشنقيطي من تفسيرابن

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٩.
(٢) «أضواء البيان» ٤: ٩٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٤) سورة طه، الآية: ١٣١.
(٥) «تفسير ابن كثير» ٣: ٨١.
(٦) انظر «التفسير» ١: ٣٩٠، ٣: ٢٨، ٦٤.

كثير: منها نقل الأحاديث والآثار عنه، ونقل كلامه على الأسانيد، وتفسيره لبعض الآيات، وذكر أسباب النزول، والكلام على الأحكام إلى غير ذلك من الجوانب:

ومن الأمثلة على نقله بعض الأحاديث عنه وكلامه على بعض الأسانيد ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، حيث ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب الكندي، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم فلما سلم قام رسول الله ﷺ فتناول وبرة بين أنملتيه فقال: «**إن هذا من غنائمكم، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخيط والمخيط، وأكبر من ذلك وأصغر، ولا تغلوا فإن الغلول عار ونار على أصحابه في الدنيا والآخرة، وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد، ولا تبالوا في الله لومة لائم، وأقيموا حدود الله في السفر والحضر، وجاهدوا في الله فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم**»، قال الشنقيطي: «قال ابن كثير بعد أن ساق حديث أحمد هذا عن عبادة بن الصامت: هذا حديث حسن عظيم ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه، ولكن روى الإمام أحمد أيضًا وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبدالله ابن

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

عمرو، عن رسول الله ﷺ نحوه في قصة الخمس والنهي عن الغلول، وعن عمرو بن عتبة أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بعير من المغنم فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير ثم قال: «**ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم**» رواه أبو داود والنسائي»[(١)].

ومن الأمثلة على نقله الآثار ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]، حيث قال: «قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وأما الكنز فقال مالك، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر: هو المال الذي لا تؤدى زكاته، وروى الثوري وغيره عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: ما أدي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز، وقد رُوي هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفًا ومرفوعًا، وقال عمر بن الخطاب نحوه: أيمامال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض . اهـ»[(٣)].

ومما نقله عنه في أسباب النزول:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن

---

(١) «أضواء البيان» ٢: ٣٢١ـ ٣٢٢، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣١١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٣) «أضواء البيان» ٢: ٣٨٦، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٥٠.

﴿صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾[١] حيث قال: «نهى الله المسلمين في هذه الآية الكريمة أن يحملهم بغض الكفار أن صدوهم عن المسجد الحرام في عمرة الحديبية أن يعتدوا على المشركين بما لا يحل لهم شرعًا، كما روى ابن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله هذه الآية» أهـ. بلفظه من ابن كثير»[٢].

ومما نقله عنه من كلامه وتفسيره لبعض الآيات :

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[٣]، حيث قال: «قال ابن كثير في تفسيره: تخرج من أفواههم أي: ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم، ولذا قال: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، ثم عقب الشنقيطي على كلام ابن كثير بقوله: «وهذا المعنى الذي يذكره ابن كثير له شواهد من القرآن كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾[٤]»[٥].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٢) «أضواء البيان» ٢: ٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٥ ـ ٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٥) «أضواء البيان» ٤: ١٣ ـ ١٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣: ٦٩.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[١]، قال: «قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية الكريمة: وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ماأصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن»[٢].

ومما نقله عنه فيما يتعلق بالأحكام:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٣] حيث ذكر أن القول الحق عند الأصوليين أن الأمر بالشيء بعد تحريمه يدل على رجوعه إلى ما كان عليه قبل التحريم من إباحة أو وجوب، فالصيد قبل الإحرام كان جائزًا فمنع للإحرام، ثم أمر به بعد الإحلال بقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ فيرجع لما كان عليه قبل التحريم وهو الجواز...، ثم قال: «قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبر أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجبًا رده واجبًا، وإن كان مستحبًا فمستحب، أو مباحًا فمباح»[٤].

وقد يستهدى بترجيحه في بعض المواضع كماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[٥]، حيث ذكر أن في معنى هذه الآية

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.
(٢) «أضواء البيان» ٤: ٤٧ـ ٤٨، وانظر «تفسيرابن كثير» ٣: ٧٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٤) «أضواء البيان» ٢: ٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٥.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩.

الكريمة وجهان معروفان للعلماء، وكل منهما له مصداق في كتاب الله، إلا أن أحدهماأظهر من الآخر عنده: «الأول منهما أن معنى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ : أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله، أي موصلة إليه، ليست حائدة ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته، ﴿ومنها جائر﴾ أي ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه» وبعد أن ذكر مايؤيد هذاالتفسير من القرآن قال: «وهذا الوجه أظهر عندي، واستظهره ابن كثير وغيره، وهو قول مجاهد»[١].

٤ـ «في ظلال القرآن» لسيد قطب[٢]:

ويعتبر تفسير الحافظ ابن كثير من أهم المصادر التي اعتمد عليها سيد قطب في تفسيره إن لم يكن أهمها، حيث إننا نجد توافقًا كبيرًا بين اختيارات كل منهما وترجيحاته، إلا أن سيد قطب لم يكن يعتني بذكر الأقوال وقائليها كماهي طريقة ابن كثير، ولكنه في الأعم الأغلب يقتصر على ذكر القول المشهور القوي الذي يراه راجحًا بين الأقوال، وقد يشير إلى ما سواه من الأقوال في بعض المواضع .

ومن أهم الجوانب التي استفاد فيها صاحب الظلال من تفسيرابن كثير ـ نقل بعض الأحاديث عنه كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ

---

(١) «أضواء البيان» ٣: ٢٢٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٥٦٣.
(٢) ولد سنة ١٩٠٦م وتوفي سنة ١٩٦٦م.

ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾[(١)]، حيث قال: «وفي تفسير ابن كثير: روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ: أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم مَّن رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي المدينة، وكان رئيسًا في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ، وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال: «**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**»[(٢)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ﴾[(٣)]، نقل عنه ما رُوي عن ابن عباس قال: «ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مماقال أبو هريرة عن النبي ﷺ : «**إن الله تعالى إذا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[(٤)]».

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٢) «في ظلال القرآن» ٤ : ٢٠٢ـ ٢٠٣، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٤٨.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٤) «في ظلال القرآن» ٧: ٦٢٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤ : ٢٥٥ـ ٢٥٦.

ومنها نقل بعض الآثار عنه:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾(١)، أورد ما رواه ابن جرير عن طلحة بن عبيد ابن كريز قال: «رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقصَّاص يقص ـ يعني والقاري يقرأ ـ، فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ـ يعني قوله تعالى: ﴿لعلكم ترحمون﴾، قال فنظرا إلي، وأقبلا على حديثهما، قال: فأعدت، فنظرا إلي، وأقبلا على حديثهما، قال فأعدت الثالثة قال: فنظرا إلي فقالا: إنما ذلك في الصلاة ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ ـ قال سيد قطب ـ: قال ابن كثير وهو يروي هذا الخبر: وكذا قال سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ قال: في الصلاة، وكذا رواه غير واحد عن مجاهد، وقال عبدالرزاق عن الثوري، عن ليث، عن مجاهد قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم»(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾(٣)، قال: «قال ابن كثير في التفسير: قال شعبة بن الحجاج، عن سماك بن خالد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) «في ظلال القرآن» ٣: ٧٢٢، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٢٨١.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١ ـ ٦.

ابن عرعرة أنه سمع عليًا ـ رضي الله عنه ـ وشعبة أيضًا عن القاسم ابن أبي برزة، عن أبي الطفيل: أنه سمع عليًا ـ رضي الله عنه ـ وثبت أيضًا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾؟ قال علي ـ رضي الله عنه ـ الريح، قال: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ قال ـ رضي الله عنه ـ: السحاب، قال: ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ قال ـ رضي الله عنه ـ السفن، قال ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ قال ـ رضي الله عنه ـ: الملائكة»[1].

ومن ذلك نقل تفسيره وكلامه على بعض الآيات، واختياره:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ۝٢٠٦﴾[2]، حيث قال: «قال ابن كثير في التفسير: يأمر الله تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرًا، كماأمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩﴾[3]، وقد كان هذاقبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وهذه الآية مكية، وقال ههنا: بالغدو

---

(١) «في ظلال القرآن» ٧: ٥٧١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٢٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآيتين: ٢٠٥ـ ٢٠٦.

(٣) سورة ق، الآية: ٣٩.

وهوأول النهار. والآصال: جمع أصيل كما أن الأيمان جمع يمين. وأما قوله ﴿تضرعا وخيفه﴾ أي اذكرربك في نفسك رغبة ورهبة، وبالقول لا جهرا، ولهذا قال: ﴿ودون الجهر من القول﴾، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداءًا وجهرًا بليغًا، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١]، قال سيد قطب: «ولم يقبل قول ابن جرير، وقبله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة.. وقال.. فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه، بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد في الغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ الآية، وإنما ذكرهم بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم»، ثم قال سيد قطب بعد هذا: «ونحن نرى فيما أورده ابن كثير من المناسبة والأحاديث النبوية مدى ما كان هذا القرآن وكانت التربية النبوية تنقل إليه نفوس العرب من المعرفة بحقيقة ربهم...»[٢].

وهكذا نرى سيد قطب ـ رحمه الله ـ ينقل بعض كلام ابن كثير على هذه الآية ويميل إلى ما ذهب إليه في تفسيرها، وفي رده على ابن جرير

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) «في ظلال القرآن» ٣: ٧٢٣ـ ٧٢٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٢٨١ـ ٢٨٢.

وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم هنا .

ومنها نقل مناقشته لبعض الأسانيد والأقوال :

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[١]، حيث قال سيد قطب في كلامه على هذه الآية: «فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به فهذا أنفى لهذا الزعم، فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله وحفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرون ـ قال: وهذا الوجه من أظهر الوجوه في معنى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، فلا هنا نافية لوقوع الفعل وليست ناهية. . »ـ قال: وقد رُوى حديثان يقرران معنى آخر وهو أن لا يمس القرآن إلا طاهر قال: ولكن ابن كثير قال عنهما: وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا لا يتعين الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني عن عمرو ابن حزم وعبدالله بن عمر وعثمان بن أبي العاص، وفي إسناد كل منها نظر، والله أعلم»[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]، ذكر في كلامه على هذه الآيات بعض الروايات

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٢) «في ظلال القرآن» ٧: ٧٠٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ٢٩٨.
(٣) سورة الأحقاف، الآيتان: ٢٩ـ ٣٠.

المتعددة في الحادث الذي تشير إليه هذه الآيات كما تشير إليه سورة الجن، فذكر ما أخرجه البخاري وأحمد والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وكذا ما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي بإسناده عن علقمة عن ابن مسعود، وما رواه ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق والذي جاء فيه خبر النفر من الجن بعد خبر خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف بعد موت عمه أبي طالب، وذكر ما حصل له من الأذى منهم، حيث أغروا به سفهاءهم وأطفالهم، وابتهاله إلى الله بالدعاء، ورجوعه إلى مكة قال: «**حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى** . . .» قال سيد قطب بعد سياق ما رُوِيَ عن ابن إسحاق: «ويعقب ابن كثير على رواية ابن إسحاق بقوله: «وهذا صحيح ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، كمادل عليه حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المذكور، وخروجه ﷺ إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم»، قال سيد قطب: «ونحن نعتمد من جميع هذه الروايات الرواية الأولى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لأنها هي التي تتفق مع النصوص القرآنية ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ. . .﴾[1]».

---

(١) «في ظلال القرآن» ٧: ٤٢٩ـ ٤٣١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤: ١٦٣ـ ١٦٧.

وعند تفسير مطلع سورة الأنفال، وفي أثناء الكلام على مكان نزولها، وأنها مدنية ـ ذكر أن بعض الروايات ذهبت إلى أن الآيات من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1] أنها مكية، ثم قال: «والروايات التي تذكر أن هذه الآية مكية ذكرت في سبب النزول مناسبة هي محل اعتراض، فقد جاء فيها أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ ما يأتمر به قومك؟ قال: «**يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني**» فقال من أخبرك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أنااستوصي به بل هو يستوصي بي خيرًا**» فنزلت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾الآية، ـ إلى أن قال سيد قطب ـ: وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية واعترض عليها بقوله: وذكر أبي طالب في هذا غريب جدًا بل منكر، لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كانت ليلة الهجرة سواء، وذلك بعد موت أبي طالب بنحو ثلاث سنين، لماتمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه»[2].

كما نقل عنه في أسباب النزول:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٣٠ـ ٣٦.

(٢) «في ظلال القرآن» ٣: ٧٣٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٠٢.

وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا . . . . ﴾ الآيات[١]، قال: «قال ابن كثير في التفسير: «سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، وقد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين بريقه،وبارز بالعداوة وظاهر بها . . . - إلى آخر ماجاء في السبب من قصة بناء مسجد الضرار، وطلب المنافقين من الرسول ﷺ أن يصلي فيه، ونزول الآيات عليه بشأن ذلك قبل مقدمه المدينة من تبوك، فنهي الرسول ﷺ عن الصلاة فيه، فأرسل عليه الصلاة والسلام من هدمه. . . »[٢].

هذا وكما أشرت مقدمًا أن سيد قطب اعتمد اعتمادًا كبيرًا على تفسير الحافظ ابن كثير، واستفاد منه ليس فقط فيمانقله عنه بالنص وأشار إليه، حيث أن نقله في ذلك ليس بالكثير، وإنما الذي يدل على اعتماده عليه وتأثره به هو موافقته في كثير من اختياراته وترجيحاته وإن لم يشر إلى ذلك، حيث إن طريقة سيد قطب كما أشرت الاكتفاء بذكر القول الراجح المشهور غالبًا.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٠٧- ١١٠.

(٢) «في ظلال القرآن» ٤ : ٣٠٤- ٣٠٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٨٧- ٣٨٨.

٥ ـ «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا:

لقد استفاد المؤلف من تفسير الحافظ ابن كثير في عدة جوانب من أهمها:

نقل كثير من الأحاديث والآثار والكلام على الأسانيد:

ولهذا أمثلة منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1]، حيث نقل عنه قوله: «وأما حديث «**أنا أفصح من نطق بالضاد» فلا أصل له**»[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾[3]، أورد أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾، ومنها قول الحسن أنهم الشياطين والجن، قال: «**رووا فيه حديثاً عن عبدالله بن عريب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ أنه قال**: «**هم الجن، ولا يخبل الشيطان إنسانًا في داره فرس عتيق**»، قال الآلوسي: وروى ذلك عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ. أيضًا، واختاره الطبري، وإذا صح الحديث لا ينبغي العدول عنه. اهـ. قال صاحب المنار: وهو ظاهر في اختياره له بظنه أن الحديث صحيح، وبمثل هذه الروايات المنكرة عن المجهولين يصرفون المسلمين عن المقاصد المهمة التي عليها مدار شوكتهم وحياتهم إلى مثل هذا المعنى الخرافي

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٢) «تفسير المنار» ١: ١٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

الذي حاصله أن اقتناء الخيل العتاق يرهب الجن ويحفظ الناس من خبلهم، كأنها تعاويذ للوقاية من الجنون لا عدة لإرهاب العدو، وهو خلاف المتبادر من الآية، ومن سائر السياق الذي هو قتال المحاربين من أعداء المؤمنين، قال: والحديث فيه لم يصح، قال الحافظ ابن كثير بعد أن أورده: وهذا حديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[٢]، قال: «ووقع في حديث يعلى عند أحمد عن علي: لما نزلت عشر آيات من براءة بعث بها النبي ﷺ مع أبي بكر ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال: (أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ منه الكتاب، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء فقال: (لا، إلا أنه لن يؤدي عني ـ أو لكن جبريل قال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك) ـ ثم قال ـ: قال العماد ابن كثير: ليس المراد أن أبا بكر رجع من فوره، بل المراد رجع من حجته ـ ثم ذكر تضعيف ابن كثير لسند هذا الحديث فقال ـ: وأقول إن الحافظ قال في حديث علي في نزول عشر آيات المذكور أخيرًا ـ وقد ذكر إسناده عن عبدالله بن أحمد ـ: هذا إسناد فيه ضعف. ثم أخذ المؤلف في بيان الضعف الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير فقال: وأما ضعف إسناده الذي ذكره ابن كثير فمن حنش بن المعتمر الكناني الكوفي»[٣].

---

(١) «تفسير المنار» ١٠: ٦٤، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٢٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢.
(٣) «تفسير المنار» ١٠: ١٥٧ـ ١٥٨، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٣٣.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[1] قال: «وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية قول بعض المفسرين والمتكلمين في استدارة الزمان . . ثم قال: وزعموا أن حجة الصديق في تسع كانت في ذي القعدة، قال: وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث: أنه اتفق في حجة الوداع حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله أعلم»[2].

ومنها نقل كلامه وتفسيره لبعض الآيات:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[3] حيث قال: «قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق فعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق، وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين، وهما طريقة اليهود والنصارى - ويستمر المؤلف في النقل عن ابن كثير فينقل عنه قوله: «إنماجيء بلا لتأكيد النفي، لئلا يتوهم أنه معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وللفرق بين الطريقتين ليتجنب كل واحدة

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.
(٢) «تفسير المنار» ١٠: ٤٢٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢: ٣٥٦-٣٥٧.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم..، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى ...»[١].

ومنها نقل كلامه فى الأحكام واللغة :

فمن الأول ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝﴾[٢]، حيث قال: «قال العماد ابن كثير في تفسير الآية: والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا ـ أعطي أمانا ما دام مترددًا في دار الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوزأن يمكن من الإقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ»[٣].

ومن الثاني: وهو النقل عنه في اللغة ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾[٤] حيث قال: «قال الحافظ

---

(١) «تفسير المنار» ١ : ٩٧ـ ٩٨، وانظر «تفسير ابن كثير» ١ : ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) «تفسير المنار» ١٠ : ١٧٩، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٣٧.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

ابن كثير في تفسيره: والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجهما، وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ولأن كلاً من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم».

وقد عقب المؤلف على كلام ابن كثير هذا بكلام مضمونه وجود الفارق بين مخرج كل من الضاد والظاء قال: «لكنه فارق قريب وليس بعيدًا كما زعم الزمخشري»[1].

وقد ينقل كلامه في بعض المواضع ليناقشه ويرد عليه:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[2]، حيث قال: «قال ابن كثير في تفسير هذه الشرطية: أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل»، وقد عقب محمد رشيد رضا على هذا بقوله: «وهذا القول على إطلاقه ضعيف بل مردود، وإنما يصح في حال ضعف المسلمين في الدين

---

(١) «تفسير المنار» ١: ١٠٠ـ ١٠١، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

والعلم، واختلاطهم بمن هو أعلم منهم بالجدل وإيراد الشبهات في صورة الحجج، مع تعصبهم في كفرهم ودعوتهم إليه، كحال هذا الزمان في بلاد كثيرة ـ ثم قال ـ: ولولا هذا التنبيه لما نقلت هذاالقول»[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ ﴾[٢]، أورد تفسير ابن جرير لهذه الآية، وأنه حملها على الغنيمة والفداء، حيث قال ابن جرير: «لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم»، قال رشيد رضا: «ثم ذكر رواياته في هذه الوجوه وصوب إرادتها كلها، وهذا خلط بين الغنائم والفداء، واشراك بين تفسيرهذه الآية وتفسير الآية التي بعدها، واختار ابن كثير الجمع بينهما وفاقا لابن جرير، والأظهر المختار: أن مسألة الفداء غير مسألة الغنائم، فإن الغنائم أحلت في أول هذه السورة في أول هذا الجزء منها»[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾[٤] قال: «وقد أورد ابن كثير روايات أخرى في يوم الحج الأكبر، منها عدة أحاديث مرفوعة، نقلها من تفسيرابن جرير، وابن أبي حاتم، لكنها ضعيفة لا أصل لشيء منها في الصحيح، إلا حديث ابن

---

(١) «تفسير المنار» ١٠ : ١١٢، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٣٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٨.
(٣) «تفسير المنار» ١٠ : ٩١، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٢٦.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣.

عمر الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر فيما تقدم عنه آنفًا . . »[١] .

إلى غير ذلك من الجوانب التي تأثر فيها صاحب «تفسير المنار» بتفسير الحافظ ابن كثير وهي كثيرة جدًا. قال صاحب كتاب «منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم»[٢] : والخلاصة أن صاحب المنار كان متأثرًا بابن كثير في تفسير القرآن، من حيث الاهتمام بالرواية، والتوفيق بين النصوص المتخالفة في الظاهر، والعناية بأحداث التاريخ المتعلقة في القرآن، والاهتمام بالتفريعات الفقهية، والأبحاث الأصولية، وتأثر الاثنان بابن تيمية فنزعا منزع المدرسة السلفية، وكثيرًا ما كان صاحب المنار ينقل آراء ابن كثير في سياق الإكبار والإعجاب، خصوصًا في المتشابه وما تعددت فيه آراء المفسرين» .

تفاسير وكتب أخرى استفاد أصحابها من تفسير ابن كثير:

إضافة إلى ما تقدم هناك تفاسير أخرى استفاد أصحابها من هذا التفسير العظيم، كتفسير المراغي، و«التفسير الفريد للقرآن المجيد» للدكتور عبدالمنعم الجمال، وغير ذلك من كتب التفسير .

وكما قلت سابقًا: إنه ليس من السهل حصر التفاسير التي استفاد أصحابها من هذا التفسير، ولا أكون مبالغًا إذاقلت إن جميع المفسرين ممن جاء بعد ابن كثير واطلع على هذا التفسير قد استفاد منه بين مقل

---

(١) «تفسير المنار» ١٠ : ١٦٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢ : ٣٣٤ـ ٣٣٥ .

(٢) ص٢٢٩ وانظر ص ٢١٤ - ٢٢٨ .

ومكثر، وتأثر به.

ونظرًا لاشتمال تفسير الحافظ ابن كثير على كثير من العلوم في شتى فنون المعرفة كالتفسير وأصوله، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة، والتاريخ، والأخلاق والآداب، وغير ذلك ـ فقد أصبح مرجعًا مهما لكثير من الباحثين من غير المفسرين في كثير من المجالات، كنقل الأحاديث والآثار، والكلام على الأسانيد تصحيحًا وتضعيفًا، والكلام في تفسير بعض الآيات، وفي نقد الأخبار الإسرائيلية، وذكر بعض الأحكام الأصولية والفقهية واللغوية، وغير ذلك .

ويعتبر نقد أسانيد الأحاديث والآثار والأخبار الإسرائيلية في المرتبة الأولى من الجوانب التي استفادها المفسرون وغيرهم من هذا التفسير، وذلك لما كان عليه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ من اطلاع واسع في الحديث وعلومه، ومن معرفة تامة بأحوال الرجال .

لهذا نرى ـ المغفور له ـ أحمد شاكر يعتمد على كلامه في كثير من الأحاديث تصحيحًا أو تضعيفًا في كثير من الكتب التي حققها وخرّج أحاديثها، كمسند الإمام أحمد، وتفسير الطبري وغيره، كما اعتمد في «عمدة التفسير عن ابن كثير» عليه في ذلك، خصوصًا في الأسانيد والمتون التي تكلم عنها، واعتبر كلامه حجة في ذلك .

وسأسوق هنا نماذج من نقوله عن تفسير الحافظ في تحقيقه لتفسير الطبري :

من ذلك ما جاء في مقدمة التفسير: عندما ذكر ما رواه الطبري عن العباس بن عبدالعظيم قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة قال: حدثني جعفر بن محمد الزبيري، قال: حدثني هشام، عن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: «**ما كان النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيًا بعدد علمهن إياه جبريل**» وكذا قوله: حدثنا أبو بكر محمد بن زيد الطرسوسي: قال: أخبرنا معن، عن جعفر بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: «**لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل ـ عليه السلام**» فعندما ذكر أحمد شاكر هذا الحديث علق عليه بقوله: «هو بإسنادين، ونقلهما ابن كثير في التفسير ١ :١٤ـ١٥ عن الطبري وقال: حديث منكر غريب، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث»، ثم قال أحمد شاكر: «وجعفر الزبيري راوي هذا الحديث ذكر في الإسناد الثاني منسوبًا إلى جده، وهو جعفر بن محمد بن خالد كما بينه ابن كثير»[١].

وعندما جاء للحديث الذي ذكره الطبري في تحريم التفسير بالرأي: حدثنا العباس بن عبدالعظيم العنبري، قال: حدثنا حبان ابن هلال، قال: حدثنا سهيل أخو حزم، قال: حدثنا أبو عمران الجواني،

---

(١) «تفسير الطبري» ١ : ٨٤ ـ ٨٥ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٦.

عن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**» قال: «قال ابن كثير ١: ١١-١٢، ونقل الخبر عن الطبري: وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي، وقال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل»[١].

وعندما ذكر الحديث الذي رواه الطبري في فواتح السور وأنها دالة على معرفة المدد ـ تكلم عليه وبين ضعفه، وأطال في ذلك، وبين سبب ضعفه ثم قال: «ولله در الحافظ ابن كثير، فقد وضع الحق في موضعه حين قال في التفسير ١: ٦٩-٧٠: أمامن زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته ـ ثم نقل هذا الحديث من هذا الموضع من الطبري ثم قال: فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحًا: أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم»[٢].
كمانرى الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان» يعتمد على كلام ابن كثير

---

(١) تفسير الطبري» ١: ٧٩، وانظر أيضًا ١: ٧٧ الطبعة السابقة.
(٢) تفسير الطبري» ١: ٢١٦ ـ ٢١٨ الطبعة السابقة.

في نقد بعض الأسانيد، فعندما ما ذكر ما ورد من التفسير مرفوعًا إلى النبي ﷺ ذكر أنه ترك من المرفوع ثلاثة أحاديث ـ ثم قال: «منها حديث الفتون طويل جدًا في نصف كراس، يتضمن شرح قصة موسى، وتفسير آيات كثيرة تتعلق به، وقد أخرجه النسائي وغيره ـ ثم قال السيوطي بعد هذا: لكن نبه الحفاظ ـ منهم المزي وابن كثير ـ على أنه موقوف من كلام ابن عباس، وأن المرفوع منه قليل صرح بعزوه إلى النبي ﷺ قال ابن كثير : وكأن ابن عباس تلقاه من الإسرائيليات. . . »[1].

وقال أيضًا: «وأما ما أخرجه البزار عن عائشة قالت: «**ماكان رسول الله ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيا بعدد علمه إياهن جبريل**» فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير[2]».

ولما ذكر أن من ضمن الطرق عن ابن عباس طريق السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وناس من أصحاب النبي ﷺ قال: «وقد قال ابن كثير: إن هذاالإسناد يروى به السدي أشياء فيها غرابة»[3].

كما ينقل عنه ويعتمد عليه أيضًا الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون»، ففي أثناء رده على جولد زيهر في اتهامه لابن عباس التناقض فيما رُوي عنه في المراد بالذبيح، فُرويَ عنه أنه إسماعيل،

---

(١) «الإتقان» ٢: ٢٠٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣: ١٥٣.
(٢) المصدر السابق ٢: ٢٠٥، وانظر «تفسير ابن كثير» ١ :٦.
(٣) «الإتقان» ٢: ١٨٨ وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٧٦.

ورُويَ عنه أنه إسحاق قال الذهبي: «وأيضًا فإن الرواية التي يذكرها ابن جرير عن ابن عباس مرفوعة إلى رسول الله ﷺ ومفيدة أن الذبيح هو إسحاق في سندها الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان، والحسن بن دينار متروك، وعلي بن زيد منكر الحديث، كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره»[١].

كما ذكر تحقيق ابن كثير في أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ حديث في تحديد القنطار، وما ورد من ذلك فموقوف على بعض الصحابة[٢].

كمانرى الدكتور رمزى نعناعة في كتابه «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» ينقل عنه الشيء الكثير في نقد الإسرائيليات، والأسانيد، وفي تفسيره لبعض الآيات[٣].

وأخيرًا ـ فإن تفسير الحافظ ابن كثير قد استفاد منه الكثير من المفسرين وغيرهم، في شتى جوانب المعرفة، فزيادة على أنه مرجع أصيل في التفسير يعتبر أيضًا مرجعًا للباحثين في شتى الفنون: الحديث وعلومه، والفقه وأوصوله، واللغة، والتاريخ، والآداب وغير ذلك.

ب ـ اهتمام المسلمين عمومًا بهذا التفسير، واستفادتهم منه، واعتباره مرجعًا أوليًا في تفسير القرآن:

يحتل تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير منزلة عالية بين عامة

---

(١) «التفسير والمفسرون» ١ : ١٦٢، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤ : ١٧.

(٢) انظر «المصدر السابق» ١ : ٤٧، وانظر «تفسير ابن كثير» ١ : ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) انظر ص٤٦، ٧٨ـ ٧٩، ٨٢، ٩١، ١٠١، ١٠٨، ١٢١، ١٢٩ وغير ذلك.

المسلمين، ويعتبر مرجعًا أوليًا في تفسير القرآن الكريم في الجامعات الإسلامية، ولدى طلاب العلم عمومًا في شتى الأقطار الإسلامية، وذلك يرجع إلى الميزات التي امتاز به تفسير الحافظ ـ رحمه الله ـ والتي جعلته بحق التفسير المثالي الذي يجد فيه دارس التفسير بغيته، من بيان وإيضاح لمعاني آي القرآن، بأسلوب ميسر، وعبـارة موجزة.

ولقد ظهرت آثار تلك القيمة وهذا الاهتمام في الأيدي التي خدمت هذا التفسيرالعظيم بالتحقيق تارة، والتحقيق والاختصار تارة أخرى، وبالطباعة والنشر . فمن العلماء من حاول تحقيقه واختصاره كالمغفور له أحمد شاكر، حيث نوى ـ رحمه الله ـ القيام بعملين فيمايختص بهذا التفسير، الأول: طباعته طباعة محققة متقنة، والثاني: وضع مختصر محقق منه للقارىء يحفظ عليه مقاصده، وقد بدأ العمل في المختصر، وخرج بعضه إلى حيز الوجود، وقد وافته المنية قبل إتمام هذا المختصر، وقبل البدء بالعمل الأول، وهو تحقيق كامل التفسير، وقد مر بيان هذا .

كما قام الأساتذة محمد إبراهيم البناء، ومحمد أحمد عاشور وعبدالعزيز غنيم بتحقيق هذا التفسير،وطبعته دار الشعب. كما بدأ الشيـخ مقبـل الوادعي بتحقيقه وخرج منه المجلد الأول والثاني والثالث .

كماقام كل من الشيخ محمد علي الصابوني، والشيخ محمد نسيب الرفاعي، والشيخ محمد كريّم راجح والدكتور عبدالله محمد ال الشيخ

باختصار هذا التفسير، كما تقدم بيان ذلك.

كماتداولت المطابع طبعه عدة طبعات، منها ماجاء في أربع مجلدات، وهو الغالب كطبعة عيسى البابي الحلبي، وطبعة مطبعة الفجالة، نشر مكتبة النهضة الحديثة. وغيرها من الطبعات الكثيرة.

ومنهاماجاء في سبع مجلدات كطبعة دار الأندلس التي امتازت بفهرس مفصل للأحاديث النبوية، ومنها ما جاء في ثمانية مجلدات كطبعة دار الشعب الآنفة الذكر وهي من أحسن الطبعات لولا ما فيها من نقص، ومنها ما جاء في سبعة مجلدات وقد سبق ذكر هذه الطبعات كلها في الفصل الثالث من الباب الأول: التعريف بتفسير ابن كثير.

وكل هذه الخدمات الجليلة التي أعطيت لهذا التفسير من تحقيق واختصار وطباعة ونشر كلهاتدل على مدى قيمة هذا التفسير لدى العلماء وطلاب العلم، كماأن سهولة أسلوبه دفعت العامة من الناس إلى الإعجاب به واقتنائه، لمايجدون فيه من السهولة في التعبير عن معاني الآيات، ويسر فهمه من غير تكلف أو بذل مجهود فكري يصعب على العامة بذله والوصول إليه.

وكلمة الإنصاف: أن هذا التفسير حقًا من أحسن وأصح كتب التفسير، إن لم يكن أصحها، كما قال الزرقاني فيماسبق، وليس هناك تفسير ينافسه اللهم إلا تفسير الإمام الطبري، علمًا أن كلاً منهما امتاز بميزات كثيرة قد لا توجد في الآخر، غير أنه من المعلوم ما كان للإمام الطبري من فضل على الحافظ ابن كثير في تفسيره، حيث استفاد منه في

كثير من الجوانب التي خاضها، بل وفي طريقته التي سار عليها في ذكر الآثار ومناقشتها والترجيح بينها وغير ذلك، مما يجعلنا نعترف بأن تفسيرالطبري هو عمدة التفاسير، وأن الطبري هو إمام المفسرين، لكن تفسير الحافظ ابن كثير يكاد يتفوق على تفسير الطبري في نظر الكثير من الناس وخصوصًا العامة كما أشرت سابقًا، وذلك لسهولة الأسلوب الذي كتب به هذا التفسير، خلافًا للأسلوب الذي سار عليه الطبري في تفسيره، والذي قد يصعب فهمه على بعض المتعلمين. ونظرًا لاختصار الحافظ ابن كثير للأسانيد ومناقشته لها غالبًا، وموقفه المتشدد من الإسرائيليات، ونزاهة معتقده، ولهذا كله صار تفسيره أشهر ذكرًا وأكثر رواجًا وانتشارًا بين سائر الطبقات من الناس. وهو بحق أهل لذلك كله، بل وأكثر منه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بمنه وفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فمن خلال البحث في منهج ابن كثير في تفسيره في هذه الرسالة تبين أن المنهج الذي اختاره ابن كثير وسار عليه في تفسيره هو أمثل المناهج التفسيرية، وأحسنها، وأصحها، حيث اعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأسباب النزول، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال المجتهدين، وأهل اللغة، وهذه هي أصح مصادر التفسير .

كما تبين لنا أن من أهم ما يميز تفسيرابن كثير عن سائر كتب التفسير : اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، واعتباره مصدرًا أوليًا لا يجوز العدول عنه عند وجوده، وتمسكه بعقيدة السلف في الكلام على آيات العقائد، بل وفي جميع تفسيره، واهتمامه بنقد الأسانيد، وبيان زيف كثير من الأخبار الإسرائيلية .

كما تبين لنا بروز شخصية الحافظ ابن كثير تمامًا في تفسيره، وذلك من خلال مناقشته لما يسوقه من أحاديث وآثار، وبيان الصحيح والضعيف من الأسانيد والمتون، وتوجيه الأقوال، وبيان الصحيح

والراجح منها من غيره، ممايميزه عن كتب التفسير التي لم يتعرض أصحاب لمناقشة الأسانيد والمتون، الأمر الذي جعل بعض العلماء يعتبر هذا التفسير من أصح التفاسير إن لم يكن أصحها على الإطلاق، وليس ببعيد أن يكون هو أصح التفاسير، لأنه ليس هناك تفسير ينافسه على هذه المرتبة سوى تفسير الإمام الطبري، لكن عناية الحافظ ابن كثير بمناقشة الأسانيد أكثر من عناية الإمام الطبري، ولهذا نرى الحافظ ابن كثير يناقش كثيرًا من الأحاديث، والآثار التي ساقها ابن جرير الطبري، بل إنه يناقش كلام الطبري نفسه في تصحيح أو تضعيف بعض الأحاديث والآثار .

كما تبين لنا أيضا أن الحافظ ابن كثير وإن استفاد من كتب الأقدمين في سائر العلوم فإنه يقف من جميع ما ينقله عنها موقف الناقد البصير، فيقبل ما يراه صحيحًا، ويرد ماعدا ذلك، وتبين لنا من خلال اعتماد المفسرين وغيرهم على هذا التفسير، ومن خلال كلام العلماء وثنائهم عليه المكانة التي يحتلها هذا التفسير بين كتب التفسير لدى المفسرين ولدى علماء المسلمين عامة.

كما تبين أيضا مقدار ماخلفه الحافظ ابن كثير للمكتبة الإسلامية من تراث عظيم، ومؤلفات لا تحصى كثرة، انتشر صيته بسببها في حياته، وحملت ذكره خالدًا بعد وفاته، وجعلته موضع ثناء العلماء من معاصريه، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا.

هذا وأسأل الله العلي القديرأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل،

وأن يوفقنا وجميع المسلمين لما في الخير والسعادة والفلاح والنجاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـــع

١ـ «الآداب والأحكام المتعلقة بدخول الحمام» للحافظ ابن كثير، طبع دار الكتاب الجديد ببيروت سنة ١٩٧٧م، تحقيق صلاح الدين المنجد.

٢ـ «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠هـ، طبع مطبعة مصطفى الحلبي بمصر.

٣ـ «الاجتهاد في طلب الجهاد» لابن كثير، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧هـ، نشر جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

٤ـ «أحكام القرآن» لابن العربي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢هـ، مطبعة عيسى الحلبي، تحقيق علي محمد البجاوي.

٥ـ «أسباب النزول» للواحدي، طبع مؤسسةالحلبي للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ.

٦ـ «الإسراء والمعراج»، استخلصه من تفسير ابن كثير ورتبه وأضاف إليه إسماعيل الأنصاري، نشر مكتبة الرياض الحديثة.

٧ـ «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير «للدكتور محمد أبي شهبة، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة ١٣٩٣هـ.

٨ـ «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، لمحمد أمين الشنقيطي، طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٨٦هـ.

٩ ـ «الأعلام» للزركلي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ.
١٠ـ «إعلام الموقعين» لابن القيم، نشر دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببيروت سنة ١٩٧٣م.
١١ـ «الأم» للشافعي، طبع دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ.
١٢ـ «إنباه الغمر بأبناء العمر» لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ، طبع حيدر آباد.
١٣ـ «الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث» لابن كثير، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، تحقيق أحمد شاكر.
١٤ـ «البداية والنهاية» لابن كثير، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤هـ، نشر مكتبة المعارف ببيروت.
١٥ـ «البدر الطالع» للشوكاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ، طبع مطبعة السعادة.
١٦ـ «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ، تحقيق أبوالفضل إبراهيم.
١٧ـ «تاريخ آداب اللغة» لجرجي زيدان، نشر دار الهلال سنة ١٩٥٧م، مراجعة الدكتور شوقي ضيف.
١٨ـ «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان، نشر دار المعارف.
١٩ـ «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين، نقله إلى العربية فهمي أبوالفضل، نشر الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٩٧١م.
٢٠ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٢١ـ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، طبعة مكتبة النهضة الحديثة،

وطبعة دار الأندلس، وطبعة دار إحياء الكتب العربية، وطبعة دار الشعب.
٢٢ـ «التفسير القيم» لابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، وحققه حامد الفقي، نشر لجنة التراث العربي والمركز الدولي للتراث العربي ببيروت.
٢٣ـ «التفسير الكبير» للرازي، الطبعة الثانية، نشر دار الكتب بطهران.
٢٤ـ «تفسير المراغي» الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٩هـ، بمطبعة الحلبي.
٢٥ـ «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦هـ، طبع مطبعة السعادة، نشر دار الكتب الحديثة بمصر.
٢٦ـ «تفسير المنار» لرشيد رضا، الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣هـ، طبع دار المنار بمصر.
٢٧ـ «تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر» تهذيب عبدالقادر بن بدران، طبع مطبعة الترقي، نشر المكتبة العربية بدمشق سنة ١٣٤٩هـ.
٢٨ـ «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» للرفاعي، الطبعة الأولي سنة ١٣٩٢هـ بيروت.
٢٩ـ «جامع البيان في تفسير القرآن» لأبي جعفر الطبري، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣هـ بمطبعة بولاق، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٤هـ، تحقيق محمود وأحمد شاكر.
٣٠ـ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦هـ، دار العلم بالقاهرة.
٣١ـ «جامع المسانيد والسنن» لابن كثير، مخطوط مصور في مكتبة

الرياض السعودية.
٣٢ـ «جهود ابن كثير في الحديث دراية ورواية» للعجمي خليفة دمنهوري.
٣٣ـ «حسن المحاضرة» للسيوطي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ، طبع دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي.
٣٤ـ «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لمحمد بهجت البيطار، الطبعة الثانية، نشر المكتب الإسلامي.
٣٥ـ «خطط الشام» لمحمد كرد علي، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ، نشر دار العلم للملايين ببيروت.
٣٦ـ «الدارس في تاريخ المدارس» لعبد القادر النعيمي، طبع مطبعة الترمذي بدمشق سنة ١٣٦٧هـ، تحقيق جعفر الحسني.
٣٧ـ «ذيل تذكرة الحفاظ» للحسيني، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٣٨ـ «ذيل تذكرة الحفاظ» للسيوطي، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٣٩ـ «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي، الطبعة الأولى، نشر المكتب الإسلامي ببيروت، تحقيق زهير الشاويش.
٤٠ـ زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
٤١ـ «سنن أبي داود» طبع مطبعة الحلبي بمصر، سنة ١٣٧١هـ.
٤٢ـ «سنن الترمذي» نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ.

٤٣ـ «السيرة النبوية» لابن كثير، استخلصه من «البداية والنهاية» وحققه مصطفى عبدالواحد، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٣٩٦هـ.

٤٤ـ «الشافعي ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه ـ» لأبي زهرة، طبع سنة ١٣٦٧هـ.

٤٥ـ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت.

٤٦ـ «شمائل الرسول» لابن كثير، اختصره من سيرة الرسول ﷺ في «البداية والنهاية» مصطفى عبدالواحد.

٤٧ـ «الصحاح» للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

٤٨ـ «صحيح البخاري» مع شرحه «فتح الباري» لابن حجر، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

٤٩ـ «صحيح مسلم» مع شرح النووي، طبع المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ.

٥٠ـ «طبقات المفسرين» للداودي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ.

٥١ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» اختصار وتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف.

٥٢ـ «الفتاوى» لمحمود شلتوت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧١م، دار الشروق للنشر والطباعة.

٥٣ـ «فتح القدير» للشوكاني، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٣هـ.

٥٤ـ «الفصول في اختصار سيرة الرسول» لابن كثير، الطبعة الأولى سنة

١٣٨٥هـ بالقاهرة.

٥٥ـ «فضائل القرآن» لابن كثير، طبع بمصر سنة ١٣٤٧هـ، تصحيح محمد رشيد رضا.

٥٦ـ «الفهرست» لابن النديم، نشر مكتبة خياط ببيروت.

٥٧ـ «في ظلال القرآن» لسيد قطب، الطبعة السادسة.

٥٨ـ «القاموس المحيط» للفيروزبادي، نشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.

٥٩ـ «قصص الأنبياء «لابن كثير» استخلصه من «البداية والنهاية» وحققه مصطفى عبدالواحد، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ.

٦٠ـ «الكشاف» للزمخشري، نشر دار الكتاب العربي ببيروت.

٦١ـ «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

٦٢ـ «لسان العرب» لابن منظور، نشر دار صادر ببيروت.

٦٣ـ «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٣١هـ، طبع دائرة المعارف بحيدرآباد.

٦٤ـ «مباحث في علوم القرآن» لصبحي الصالح، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤م، نشر دار العلم للملايين ببيروت.

٦٥ـ «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان» منشورات العصر الحديث سنة ١٣٩١هـ.

٦٦ـ «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع وترتيب عبدالرحمن

ابن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ بمطابع الرياض.
٦٧ـ «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي، نشر دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي سنة ١٣٧٦هـ.
٦٨ـ «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦هـ، بألمانيا الغربية، نشر دار القرآن الكريم.
٦٩ـ «المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن» لجولد تسيهر، نقله إلى العربية علي عبدالقادر، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٣هـ بمطبة العلوم..
٧٠ـ «معالم التنزيل» للبغوي، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ مع «تفسير ابن كثير» طبع بمطبعة المنار.
٧١ـ «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، الطبعة الأخيرة بمطبعة دار المأمون.
٧٢ـ «معجم المؤلفين» لرضا كحالة، نشر مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ببيروت.
٧٣ـ «مقدمتان في علوم القرآن» مقدمة كتاب «المباني» ومقدمة «ابن عطية»، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٧٤ـ «مقدمة في أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ، نشر دار القرآن الكريم بالكويت ومؤسسة الرسالة ببيروت.
٧٥ـ «مناهل العرفان في علوم القران» للزرقاني، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٧٦ـ «منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم» لعبد الله شحاته، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة.
٧٧ـ «منهج ابن القيم في التفسير» لمحمد أحمد السنباطي، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامي سنة ١٣٩٣هـ.
٧٨ـ «مولد الرسول ﷺ» لابن كثير، نشر دار الكتاب الجديد ببيروت، تحقيق صلاح الدين المنجد.
٧٩ـ «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردى.
٨٠ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير الجزري، نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناحي.

فهرس الموضوعات